دعاء الامام الاعظم قبل الدرس

اللهم افتح بالخير واجعل عاقبة امورنا
بالخير برحمتك يا ارحم الراحمين

١

الاول من ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن

انشاء الامام العالم الراسخ الوارث المحقق العارف

المتبحر ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن احمد الطائي

الحاتمي رضي الله عنه رواية خادمه وتلميذه وربيبه

[illegible] اسمعيل بن سودكين عنه سماعا محققا ثابتا في شهور

سنة اثنتين وعشرين وستمائة والحمد لله

على منه واحسانه حمدا طيبا كثيرا

مباركا فيه وصلى الله على محمد

وآله وسلم

تسليما





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فمما جاءت
به صلوات الله عليهم الصحف المطهرة والكتب المنزلة
المشرفة وكل صحيفة وكتاب بلسان قوم الرسول الذى
انزلت عليه تلك الصحيفة او الكتاب ومن جملة الكتب
المنزلة هذا القرآن العربي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
على طريق الاعجاز عن المعارضة فهو الكتاب الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فهو
محفوظ عن ان يزاد فيه او ينقص منه بطريق التغيير لكونه
معجزة انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون من التغيير والتبديل
والتحريف ولم يكن ذلك لغيره من الكتب لان سائر الكتب

لم تنزل على طريق الاعجاز فلذلك حرف فيهما من حرف وبدل
فيهما من بدل ومع هذا فاذا حدثنا اهل الكتاب بحديث
عن كتابهم فلا نصدقهم ولا نكذبهم بل نقول آمنا
بالله ورسوله فان كانوا صادقين لم نكذبهم وان كانوا
كاذبين لم نصدقهم كذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما طهر الله سبحانه كتابنا هذا وقدسه عن التحريف جعله
قرآنا مهموزا ولما جمع فيه ما تفرق في سائر الصحف والكتب
وجميع ما يحتاج اليه من المعارف والعلوم سمي قرآنا بغير همز
ولهذا قال النبي عليه السلام اوتيت جوامع الكلم جمع كلمة و
لما ضم حروفه واياته وسوره ومعانيه بهذا النظم المعجز
سماه كتابا ولما ازال به شبه الضلالات وظلمة الشكوك و
اوضح به المشكلات سماه نورا ولما ابان به عن الحق المطلوب
وحسن نظمه وبلاغته وجعله مغايرا لسائر الكتب بما حفظه
من التحريف جعله عربيا ولما ذكر فيه قصص الاولين والآخرين
وشرائع المتقدمين ومنازلهم ومراتبهم وسابقتهم ومآلهم
جعله ذكرا وسماه به ولم يجمع لغيره من الكتب هذه الاسماء
كلها وسائر اسماء الكتب مندرجة في هذه الاسماء التي خص
بها كتابنا فالحمد لله الذى جعلنا من حامليه ومن اهله وممن خوطب
به وشرفنا باتباع من انزل عليه صلى الله عليه وسلم وسميت هذا الكتاب

ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن

فلله الشكر حق الشكر الذي ينبغي له ويرد ذلك منه وله الحمد
في الاخرة والاولى وبه التأييد واستعين الترجمة عن فاتحة الكتاب
البسملة عندي اية من القران حيث ما وقعت منه وان تكررت
للفصل بين السور فقد تكررت قصة آدم وموسى وغيرهما
وذكر الانبياء في مواضع كثيرة من القران ولم يقل احد ان
ذلك ليس من القران وان اسقطت في بعض الروايات كقراءة
حمزة بن حبيب الزيات فكاسقاط هو من سورة الحديد والبا
من الزبر ولم يخرج اسقاطها في قراءة من اثبتها من القران واما
في الفاتحة وفي النمل فما احد من القراء اسقطها راسا الا بسملة
الفاتحة في الصلوة فمنع مالك قراءتها سرا وجهرا في المكتوبة و
اجازها في النافلة واما الثوري وابو حنيفة فقالا يقراها
سرا في كل ركعة قال الشافعي يقراها ولا بد في الجهر جهرا وفي
السر سرا وهي عنده اية من الفاتحة وهو مذهب ابي ثور واحمد
ومن بعض اقوال الشافعي ان البسملة اية من كل سورة وبه نقول
واما قراءة الفاتحة في الصلوة قال تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران
علم ان سيكون منكم مرضى فروي عن عمران الصلوة تجوز بغير قراءة
وروي عن ابن عباس انه لا يقرا في صلوة السر واوجب الشافعي قراءة
فاتحة الكتاب في كل ركعة من الصلوة وهي اشهر الروايات عن مالك

وروي عنه انه ان قراها في ركعتين من الرباعية اجزاه
وقال الحسن البصري وكثير من فقهاء البصرة تجوز في ركعة
واحدة قال ابو حنيفة يجب قراءة اي اية اتفقت في
الركعتين الاوليين ويستحب فيما بقي من الصلوة التسبيح
دون القراءة وبه قال الكوفيون وجمهور العلماء يستحبون
القراءة في الصلوة كلها بسم الله العامل في الباء من بسم الله
ما في الحمد لله من معنى الفعل اي يضمر له افعل من لفظه مثل ص
حمدته او احمد وبه تتعلق الباء من بسم الله وهكذا في
كل سورة في القران اولها الحمد وفي بعض سور القران تكون
في اولها افعال تطلب الباء من بسم الله اذكرها في موضعها
ان شاء الله الله اسم للذات وان كان يجري مجرى العلمية
له سبحانه فان المفهوم منه مع هذا باول الاطلاق بين له
نعوت الالوهية من الكمال والتنزيه والجلال وفي طريق الاشتقاق
فيه تكلف وتعسف وهو اسم مختلف في اشتقاقه فاضربنا
عن الخوض في ذلك لقلة فائدته غير ان الغالب عليه ان يجري
مجرى الاسماء الاعلام وهو اسم محفوظ من ان يسمى به غيره سبحانه
على هذه الصورة الخاصة الرحمن الرحيم من وقف عند قوله
سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى اجراه مجرى لاسم الله في العلمية فاتحد المدلول

وهو الذات وهو فعلان فان كان هذا اللفظ مشتقاً
من لفظ الرحمة وهو الاظهر فمعناه الذى له تعميم الرحمة فى
خلقه اي هذه النسبة اليه صحيحة وان كان المرحومون
معدومين والرحيم تخصيص الرحمة بالسعداء فى الدنيا
بالتوفيق والهداية وفى الاخرة بالنجاة من العذاب و
حصول النعيم وسيأتى جميع ذلك فى الفاتحة الحمد لله
باسم الله اي الثناء عليه باسمائه الحسنى وهذا يدلك على
ان اسماءه سبحانه تجرى مجرى النعوت لا مجرى العلمية
لان الاسماء الاعلام لا يكون بها الثناء وانما يقع الثناء على
المثنى عليه بما تدل عليه هذه الالفاظ من نعوت الجلال
له سبحانه فبها يحمد فمن المفهوم الثانى من الاسم الله يكون
الاسم الله ثناءً عليه سبحانه بل اتم الثناء لجمعيته مراتب
الالوهية فلذا علقنا الباء بما فى الحمد من معنى الفعل يقول
سبحانه الثناء لله من حيث انه مثنىً عليه سبحانه ومثنى
اسم فاعل واسم مفعول لجميع اوصاف الثناء دل على الاول اللام
من لله فلا حامد ولا محمود الا هو وكل ثناء من غيره وعلى
غيره فهو راجع اليه بما يكون منه وهو عليه فله عواقب
الثناء كله وله الحمد فى الاولى والاخرة فى الحالتين معا ودل
على الثانى الالف واللام لاستغراق اجناس الثناء فالثناء عليه

هنا سقط سطر منها شيخى المؤلف نسخة الاصل
والرحمن
من الاسم الرحمن والنعت وان كان يأتى
لرفع اللبس فقد يجاء به لمجرد المدح
والثناء قيل لهم اعبدوا الله لم يقولوا
وما الله قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن فعلى كل النعت فيه اولى
ولا يلتفت لما قاله الطبري فى ذلك
فانه مدخول معلول من عدم معرفة العرب
بالرحمن

سبحانه بوجهين بما هو عليه من نعوت الجلال وبما
يكون منه من الانعام والاحسان وهذا النوع الواحد
يسمى شكراً والحمد يجمعهما فمن فسر الحمد هنا بالشكر خاصة
فقد قصر وما اعطى الكلمة حقها فى الدلالة يقول العبد
فى الصلوة الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى
وما قال شكرنى عبدى فصح ما ذكرناه من عموم الثناء هنا
انه مراد ولله متعلق ايضا بما فى الكلام من معنى الفعل و
هو كائن ومستقر اشارة اللام من لله الخافضة حرف فهى
عبد اذ الحرف يدل على المعنى والعبد يدل على الله الهاء من
لله معمولة للام بما حصل لها من الخفض الحوقمد لول دليل العبد
من عرف نفسه عرف ربه فجعله دليلا على معرفته فكان
العلم به معمولا للعلم بنا وكونه حفظ لانه تعالى عن ان تعرف
حقيقته فلا نعلم منه الا ما بينا سببنا ولهذا نتخلق باسمائه
الحسنى التى بايدينا فهذا معنى الخفض لانها معرفة نازلة عن
علمه بنفسه سبحانه قوله رب العالمين يقول مصلح العالم
واسم العالمين هنا كل ما سوى الله والرب هو المصلح والمربى
والسيد والمالك والثابت والعالم اذا كان مشتقا من العلامة
اي هو دليل عليه فاصلاح الدليل ان يكون سادًّا لا يدخله خلل
واذا لم يكن مشتقا فهو سبحانه مصلح العالمين بما جعل فيهم

من صلاح دنياهم واخرتهم وجميع اسبابهم كما انه سبحانه
من هذا الاسم مغذيهم ومربيهم كما انه سيدهم ومالكهم
وهو الثابت وجوده الذى لا ينقطع فيكون العالم محفوظا
ببقائه وثبات وجوده اشارة والرب هنا ايضا معمول
للام الجر والعالمين فى موضع خفض بالاضافة لا باللام فان
الرب هنا هو المضاف الى العالم ولما كان حرف الباء من الرب
معمولاً للام لله لم يكن العالم من طريق المعنى مرفوعا فبقي
على اصله من الخفض فلا وجه للرفع هنا اصلا لفظا ومعنى
وقد نبهتك على ماخذ الاشارات كيف هي عند اصحابنا
فانها لا تجرى مجرى التفسير ولكن تجرى مجرى الدلالة فارجع
الى الترجمة من غير اشارة تتخللها والحمد لله قوله
الرحمن الرحيم اعلم انه مهما وقع ذكر العالم مجاوراً لاسم الالهي
او بين اسمين من اسماء الله فلا بد ان يكون للاسم معنى فيه فينبغي
للمفسر ان لا يغفل عن هذا القدر فالرحمن هو الذى وسعت
رحمته كل شئ باخراج كل شئ من العدم الى الوجود وبما خلق
فى الموجودات من الرحمة التى يتعاطفون بها بعضهم على بعض
وذلك سار فى كل حيوان وهي لهم من باب المنة ومن حكم هذه
الرحمة اجترأ من اجترى على مخالفة اوامر الله من المؤمنين فانهم لا
يقنطون من رحمة الله قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم

تقنطوا

لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي حديث
الشفاعة يقول الله وبقي ارحم الراحمين فاني بنعت الرحمة
ومن رحمته تلقين عبده حجته يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم ليقول له العبد كرمك فتلطف به فلو قال
الشديد العقاب ذهل وتحير وقد يمكن ان يجرى الرحمن
الرحيم مجرى الاسم الواحد المركب مثل بعلبك ورام هرمز لما
قيل فى مسيلمة رحمن اليمامة ولم يطلق على احد قط مجموع الاسمين
وقد يكون الرحيم مبالغة فى رحمته بعباده السعداء فان
رحمته قد خصها بقوله فساكتبها للذين يتقون اي اوجبها على
نفسي لهم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية فهؤلاء ياخذونها
من طريق الوجوب لقيام الاسباب التي جعلها الحق موجبة
لها بهم ومن عدى هؤلاء فينتظرونها من باب المنة فان
التقييد من صفة الخلق لا من صفة الحق حتى ان ابليس يطمع
فيها من باب المنة اذ لا مكره له وان دخلوا النار يقول
العبد فى الصلوة الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدي وهو
قولنا ان اسماءه لا تجرى مجرى الاعلام قوله مالك يوم الدين
يقول ملك يوم الجزاء وهو يوم الدنيا والاخرة لانه المجازى
فى الدنيا والاخرة فاما فى الاخرة فمعلوم عند الجميع واما
فى الدنيا فيما شرع من اقامة الحدود وجزاء الاعمال المنصوص عليها

كالزنا والسرقة والمحاربة وغير ذلك وبما شرع من مكافاة
المحسن وشكر المنعم وبما اخبر عليه السلام من جزاء الله تعالى
الكافر في الدنيا بما فعله من الخير وهذا يدلك على ان الكل مخاطبون
بفروع الشريعة مؤاخذون بها مجازون عليها كما خوطبوا
باصولها سواء وان الشرايع قد عمت جميع الخلق من ادم الى
نبينا محمد صلى الله عليهما قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وقال وان من امة الا خلا فيها نذير وقال وما من دابة
في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وكل نذير من
جنس من بعث اليه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا يعني من جنسهم فالجزاء محقق في الدنيا والاخرة
وقد قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا فجعله جزاء وقال وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم وهذا هو الجزاء فمن خصه بيوم
الاخرة فما اعطى الاية حقها يقول العبد في الصلوة ملك
يوم الدين يقول الله فوض الي عبدي وفي رواية مجدني عبدي
وهو قولنا ان الدين هنا هو الجزاء في الدارين فان التفويض
تكليف ومحله الدنيا بل لا يصح ان يكون الا فيها وهو حض من
مجدني عبدي فان التمجيد له في الدارين وهو الشرف والتفويض

من

٨

من العبد لا يكون الا هنا فان الاخرة لا يصح فيها تفويض من
العباد اذ لا دعوى هناك بل الامور كلها مكشوفة للعباد
انها بيد الله ولا يفوض المفوض الا ما له فيه تصرف وليس
ذلك هناك فتامل قوله اياك نعبد واياك نستعين
افرد نفسه بالكاف في الموضعين لانه المعبود وحده لا يعبد
غيره والمطلوب منه الاعانة لانه المعين وحده بكل وجه
يؤيد ذلك قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه والالهة
هي المعبودة من كل معبود ولكن اخطؤا في النسبة فشقوا
شقاوة الابد وكذلك هو المعين بما يوجده ويخلقه
في خلقه من اسباب المعونة وجمع عباده بالنون فهما الان
العابدين والمستعينين كثيرون سواء كان العابد شخصا
واحدا او ما زاد عليه فان الشخص وان كان واحدا فان كل
عضو منه عليه عبادة فصحت الكثرة في الشخص الواحد فلهذا
له ان ياتي بنون الجماعة قال عليه السلام يصبح على كل سلامى
منكم صدقة وهي العروق وقال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم لسترها عنا ولهذا قال في الاية
انه كان حليما غفورا والغفر الستر وسياتي الترجمة عنها في موضعها
كما انه سبحانه اذا كنى عن نفسه بالنون في مثل نزلنا وخلقنا ونحن
فالناس يجعلون ذلك للعظمة وليس في الاصل بصحيح بل هي على

بابها من الجمع في الدلالة وغاية من قدر على معناها وقرب
ان قال اذا قال بقوله جماعة لمكانته وشرفه ولا يرد له قول
فبذلك الاعتبار يكنى بالنون عن الواحد وليس كذلك ولكنه
اقرب الوجوه بل الوجه الصحيح ان الكناية هنا عن الاسماء التي
عنها تقع الاثار على اختلافها وان جمعتها ذات واحدة فهو العالم
من حيث كذا والقادر من حيث كذا والمريد من حيث كذا و
الرزاق من حيث كذا فكثرت الوجوه والنسب فطلبت النون
ومعنى نعبد نتذلل يقال ارض معبدة اي مذللة وسمي العبد عبداً
لذلته يقول العبد في الصلوة اياك نعبد واياك نستعين
يقول الله هذه الاية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يعني
الكاف له والنون للعبد والسؤال هنا الاستعانة فقد وعد
بها بل هي له في الوقت فانه لولا معونته ما قام الى الصلوة فليس
يطلب الا استصحاب المعونة فالذي لنا القيام بالعبودة وطلب
المعونة منه اذ لا حول ولا قوة الا بالله والذي له اعطاء المعونة
وتعيين ما عبد من اجله كل على حسبما القي فيه من القصد
فمن عابدٍ لما تقتضيه الربوبية من التعظيم ومن عابدٍ وفاءً
بحق العبودة والعبودية معاً ومن عابدٍ طمعاً فيما وعد ومن
عابد حذراً مما اوعد وهذا تقتضيه العبودة قوله
اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الاية يقول بين لنا الطريق

الموصل الى سعادتنا عندك اذ كل طريق موصلة اليه
قال تعالى واليه يرجع الامر كله والا الى الله تصير الامور
وما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط
مستقيم فاتى به نكرة لانه على كل صراط شهيد وجاء الصراط
في هذا بالتعريف فهو صراط مخصوص فلذا فسرناه بالصراط
المؤدي الى السعادة ولما كان الانسان تعتريه في اكثر الاوقات
الشبه المضلة الصارفة عن طريق العلم بالله من حيث
توحيده وما يجب له وغير ذلك ولا سيما لارباب الفكر
والنظر احتاج ان يقول بين لنا طريق الحق في ذلك والمطلوب
هنا بالصراط المستقيم الاجتماع منه على اقامة الدين
مطلقا حتى لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض لما ذكرناه و
نون الجماعة في اهدنا هي النون في نعبد وانما قلنا للاجتماع
على اقامة الدين لقوله صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ يعني من
النبيين فانه جعل لكل نبي شرعة ومنهاجاً وقال تعالى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه اي في اقامته فهذه الصفة هي الجامعة لكل ذي شرع
وهو قوله تعالى لما ذكر الانبياء والنبيين صلى الله على جميعهم اولئك
الذين هدى الله فبهديهم اقتده اي فيما ذكرناه لا في فروع الاحكام

والظهر في شرعنا من فروع شرع من قبلنا فمن حيث هو
شرع لنا وقد يقع الاتفاق بين الانبياء في بعض الاحكام
كالتوحيد والايمان بالاخرة وما فيها لاينكر ذلك وكلا
الصراطين معرفة فالتعريف للصراط بالاضافة اخرج الصراط
المستقيم من حكم ماتعطيه الالف واللام من استغراق
الجنس الى حكم ما تعطيه من العهد وقوله غير المغضوب
عليهم يعني المرضي عنهم ولا الضالين يعني المهتدين
ولذا قال اهدنا كما هديت هؤلاء فهما نعتان للذين
انعمت عليهم وهو من الاسماء النواقص يقول العبد في الصلوة
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين الى اخر السورة يقول
الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سال فقد ضمن الاجابة ه
تنبيه وان كان النصف الاول له فقد جاء فيه ذكر
العالمين وجاء في النصف الذي لنا ذكره سبحانه في انعمت
بضمير المخاطب ه لو اتى باسم ظاهر تخيل ان الامر مربوط
بما تعطيه حقيقة ذلك الاسم ونسبة الاسماء الى الضمير
نسبة واحدة كما انه اتى بالعالمين وما ذكر عالما مخصوصا
حتى لايخرج من العالم احد فالعالم مفتقر الى حقائق الاسماء
الالهية كلها وايضا لو اتى به مضمرا لم يجد الضمير على من يعود

وان قال في بضمير المخاطب لانه لم

والبا

والثناء يجد على من يعود لانه قد تقدم سورة البقرة
قوله بسم الله الرحمن الرحيم اية من هذه السورة
والباء من بسم الله متعلقة بما في المتقين من معنى الفعل
كانه يقول الذين اتقوا الله باسمائه وان شئت علقتها بفعل
امر محذوف وهو قولك اقرا بسم الله لاينبغي ان يضمر
له غير ذلك وان كان يجوز ولكن اتباع الله فيما اوحى به
اولى قال تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق فالعالم الاديب
لايضمر الا هذا الفعل على هذه الصيغة فاما ما يتضمنه
من الرحمة فهو رحمته سبحانه محمد عليه السلام بالكتاب
الذي انزله عليه حين سال الكفار انزاله فقالوا ولن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فاعطاه الاسرى
المعراج والقران فقال له الم ذلك الكتاب الذي سالوك
منك هو هذا الكتاب لاشك فهذا من اثر الرحمة من بسم الله
الرحمن الرحيم قوله الم وقع النطق باسماء هذه الحروف
المعينة على طريق البناء على السكون الذي هو الثبوت فلا
يتغير واما ما تدل عليه فلا يعرف ذلك على الحقيقة الا
من جانب الحق وليس هذا مما يدرك بالراي وكل ما قيل فيه
فليس بمرضي ولا يفيد علما وكلام الله لاينبغي ان يترجم
بالحدس ولا بالظن والتخمين والعرب لاتعرفه وكلما

ذكره المفسرون في ذلك ونسبوه للعرب فلا يشبه هذا
اذا حققته وكان سبب نزول هذه الحروف ان الكفار
قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه فكانوا اذا
راوا النبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه يكثرون اللغط فلما
سمعوا التلفظ باسماء حروف المعجم ارادوا ان يعرفوا ما
اريد بها عساه يفسر بعد ذكرها ما يدل على المراد بها
فيسكتون وتتوفر دواعيهم الى ذلك فيسمعون ما اراد الحق
ان يخاطبهم به من القرآن فهذا وجه انزالها ومع هذا
فلها معانٍ لا يعلمها الا هو ومن انزلت عليه ثم انها كتبت
على صورة ما تلفظ بها ولما كتبت ما قيدت بحركات
مخصوصة بل تركت مهملة وهذا كله يدلك على انه
من فسرها برأيه فما اصاب والله اعلم او قد اجترا فيما ذكره
ولو اصاب فان ذلك مما لا يدرك بالاجتهاد قوله
ذٰلِكَ الْكِتَابُ الاية ذا اشارة والالف واللام للعهد فالاشارة
للكتاب المسؤل المعهود هو هذا ولا وجه لقول من قال الم في موضع اعراب
ومن اعربه فقد اخطا فان اعراب الكلام تابع لمعرفة معانيه
وهذا مجهول المعنى ولا سيما في الخط حيث لم يقيد بحركة
وقوله لَا رَيْبَ فِيهِ يقول لا شك فيه فيحتمل ان يكون العامل
في فيه ما في الريب من معنى الفعل او في الهدى من كان فان

له تعلقا بالريب وتعلقا بالهدى وفي القران من ذلك
كثير مثل هذا في يس في قوله مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا
هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ فله وجه الى ما ووجه الى مرقدنا
وكذلك وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ في سورة
النور بطلبه يسبح بالفاعلية ويطلبه الابتداء الخبرية
وضمير لا يلهيهم يعود عليهم في الوجهين معا وكذلك
هذا يجوز الوقوف على فيه ويجوز الابتداء به فيقرا
فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ هدى اي بيان اي ان الكتاب
يتضمن بيان ما اراد الله ان يخبر به عباده من طريق السعادة
التي من سلك عليها نجا وخص المتقين بالذكر فان المتقي
هو الذي يحذر ويخاف فيؤديه حذره الى البحث والتفتيش
عن الامر الذي تكون فيه سعادته فيتبين له من القران
ذلك فيما هو معجز يحصل له التصديق بالمخبر به وهو
النبي صلى الله وبما يتضمنه من المعاني يحصل له التصديق
بها فان الله هو الصادق في خبره لا يجوز عليه الكذب
ولا يشترط في المتقي هنا ان يكون مؤمنا في حال تقواه
فانه صاحب نظر وطلب واستكشاف عن بيان الامر
فاذا تبين له آمن واذا آمن استصحبه التقوى والحذر
من مخالفة الله فيما امر به ونهى وفيما يطرا على القلوب من

الشكوك والشبه المضلة فلا تزال التقوى له صفة
قوله الذين يؤمنون بالغيب هو نعت للمتقين وقد يكون
مبتدأ ويكون الخبر الجملة من قوله اولئك على هدى من ربهم
ثم اعلم ان المعلومات على قسمين معلومات تستقل
العقول بادراكها كالعلم بوجود الحق سبحانه وتوحيده
ولنسب نعوت الكمال والجلال اليه وما يجب له وما يستحيل
عليه وما يجوز ان يكون منه في خلقه كل ذلك لا يفتقر
الى خبر ولا مخبر وقسم اخر لا تستقل العقول بادراكه
وهو وقوع ما يجوز ان يكون منه او عدم وقوعه فهذا
القسم مغيب عن العقول فلا تدركه الا بالخبر الصدق
فاذا ورد عليها صدقت به فهو قوله الذين يؤمنون
بالغيب وهو ما وقع به الاخبار من الله مجملا او مفصلا
مثل فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت و
لا خطر على قلب بشر ومثل قوله حور مقصورات
في الخيام وفيهما فاكهة ونخل ورمان وما اشبه
ذلك ومن الغيب ما هو من مجازات العقول وهو ما وقعت
فيه فلم يحكم عليه بوجوب ولا جواز ولا احالة وقد
يمكن ان يكون من ذلك رؤية الله سبحانه فاذا اقرها
الخبر الصدق تعلق الحكم وان ذلك من قبيل الممكنات

قوله ويقيمون الصلوة يقول يتمون نشأتها كما امروا
بها والالف واللام للتعريف بالصلوة المشروعة لا اللغوية
واتمام نشأتها وكمال صورتها يختلف باختلاف الحالات
بحصرها ثلاثة احوال الواحدة ان يصلي الرجل وحده
فيتم ركوعها وسجودها وما تحوي عليه من الاقوال والافعال
كما علمها الشارع لنا وهذا سار في كل مصل على كل حال
والثانية ان يكون المصلي مع امام وحده فمن تمام صلوته
واقامته الاقتداء به فلا يرفع حتى يرفع ولا يفعل شيئا
قبل فعل امامه والحالة الثالثة ان يكون في جماعة
فمن تمام صلوته التراص في الصف والزاق المناكب وتسوية
الصف فهذا اقامة الصلوة وسميت صلوة لانها في المرتبة
الثانية من شهادة التوحيد وتلك السابقة وهذه متأخرة
عنها تأخر المصلي عن السابق في الحلبة فانه يليه في الحديث
الصحيح بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
واقام الصلوة فاتى بها ثانية تابعة بلفظة الاقامة وهكذا
جاءت هنا يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة واذا وقع الايمان
بالله فليس من حيث الدليل وانما هو من حيث ما جاء به الخبر
في قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وشبه ذلك فصدقنا قوله
فذلك التصديق هو الايمان وهو نور يقذفه الله في قلب من يشاء

من عباده قوله تعالى وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ من هنا
للتبيين ولها وجه الى التبعيض والاية وردت على جهة
المدح بصفة الكرم فعلى هذا سواء كان ذلك الرزق
حراما او حلالا ومن حمل الرزق على انه الحلال خاصة وهو
قوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم وهو الاظهر هنا فانه جا
هذا المدح للذين يومنون بالغيب وقد نقول ان المومن
اذا عصى بكسب المال الحرام فله التصرف فيه والتصرف
فيه رده الى من غصبه او الى ورثته او الى بيت المال وان
لم يوجد شيء من ذلك كله تصدق به عن صاحبه فتعم هذه
الاية واتى بلفظ ينفقون من نفقت الدابة اذا هلكت
وقد ورد في الصحيح فيمن اتاه الله مالا فسلطه الله على هلكته
في الله فهو يخرجه هكذا وهكذا وقوله مما رزقناهم ولم يقل
من اموالهم فاضاف الرزق اليه لقوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه فهم فيما ايديهم وكلا الله تعالى في التصرف
فيه على حد ما شرعه الموكل كالسلطان على بيت المال واجر
في ذلك اجر الوكيل الموفي حق مرتبة الوكالة فلنفقته و
انفاقه وجهان وجه من حيث انه المباشر للعطا ووجه
انه معط ما هو موكل فيه ليس هو ماله من النافقا وهو
الجحر الذي له بابان قال تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا

في الارض فاختلف الناس في مسمى الرزق هل يسمى الحرام
رزقا ام لا فمن جعله رزقا لمن هو بيده كان المدح
بصفة الكرم ومن منع ذلك كان المدح ايضا بصفة
الكرم والمدح بالوقوف عند ما حد له رب المال
قوله وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ يقول والذين يصدقون بما انزل اليك وهو ما
اوحى به اليه من القران وقوله لتحكم بين الناس بما اراك
الله فراية شرع وان الله اراه ذلك فالمومنون يومنون
بذلك كله وقوله وما انزل من قبلك يعني من الكتب و
الصحف والشرايع المنزلة وقوله وما انزل من قبلك
ولا يلزم من الايمان بالشيء العمل به الا حتى يكون فيما انزل
العمل بما انزل او ببعض ما انزل فالتصديق يعم قال تعالى
آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
فامنا بما انزل من قبلنا من حيث ما انزل على نبينا لا من حيث
ما نقل الينا وقد يدخل في هذه الاية من اسلم من اهل الكتب
وهو قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بما اخبركم به محمد
صلى الله عليه وسلم كما امنتم به من حيث اخبركم به موسى وعيسى
قال تعالى يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يأمرهم

فالضمير يعود عليهم بانه نبي مبعوث اليهم ايضاً في كتبهم فمن ايمانهم بكتبهم ايمانهم به صلى الله عليه وسلم وما من اية الا ولنزولها سبب ولكن ليس المقصود معرفة السبب الا اذا كان مقصوراً على السبب فيتعين عند ذلك ذكر السبب وكون المنزل مقصوراً عليه فلذلك لا يتعرض في هذا التفسير لاسباب النزول في اكثره قوله وبالآخرة هم يوقنون من يقن الماء في الحفرة اذا استقر فيها فلما استقر الايمان بالغيب وبما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة سماهم موقنين فاخبر عنهم بفعل الحال والى هنا انتهت جملة المبتدأ اذا كان الذين مبتدأ وقوله بالآخرة لما قال وما انزل من قبلك وذكر ما كان قبله قال وبالآخرة وهو ما يكون بعد ما لم يكن وهو من وقته الى قيام الساعة الى دخول الجنة والنار الى الخلود فيها الى ما لا يتناهى ولا ينقطع مما وردت به الاخبار الالهية قوله أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون اولا حرف اشارة يشار به الى المتقين لقوله فيه هدى للمتقين فهو قوله أولئك يعني المتقين على هدى من ربهم في توفيقهم الداعي لهم الى البحث عن نجاتهم حتى يتبين فهم على هدى من ربهم في ذلك فمن كان على بينة من ربه وهو الهدى والرب هنا بمعنى المصلح وهو

الاوجه

الاوجه من سائر مدلولاته والمربي ايضا وقوله وأولئك هم المفلحون حرف اشارة يشار به ايضا الى المتقين والى الذين يؤمنون سواء كان نعتا او مبتدأ وفيه بشرى ونوع تقوية لمن يقول ان المجتهد مأجور وان اخطأ وان الاجتهاد في الاصول كما هو في الفروع والمفلحون معناه الناجون من عذاب الله الباقون في دار كرامة الله قال تعالى وما هم منها بمخرجين وفي هذه الآيات من اول السورة الى هنا تكذيب لقول من قال لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى فكذبهم في التحجير قوله ان الذين كفروا الآية يقول بكل ما تقدم ذكره الكافر هو الساتر للحق والساترون الحق على قسمين قسم يسترون الحق مع معرفتهم بانه الحق فلا يمكن ان يستروه عن نفوسهم بل يستروه عن الغير بما يوردونه من الشبه المضلة والتشكيكات الصارفة عن ظهوره وهو قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم فهؤلاء جاحدون والقسم الآخر هو الذي ستر الحق عن نفسه بما ظهر له من الشبه فكان منه له ستراً بينه وبين الحق فسمي هذا ايضا كافراً لانه ما وفى النظر حقه في الادلة فالاول معاند والثاني مفرط قال الله لنبيه عليه السلام سواء عليهم ولم يقل عليك أأنذرتهم

يقول خوفتهم واعلمتهم باسباب السعادة والشقا أم لم
تنذرهم يقول او سكت عنهم لا يؤمنون يقول لا
يصدقون اما عنادا او جحودا واما جهالة والاظهر هنا
ارادة القسم الواحد وهم الجاهلون من اجل ما يأتي بعد من
ذكر القلوب فالمعاند عالم ومصدق في الباطن غير مظهر لما
هو به مصدق فانه لا يقدر في نفسه ان ينكر علمه بالشيء
ولا ان يجعله جهلا فهو لا ايضا هم الذين جعل الله جزاهم
عدم المغفرة في قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ولم يقل عليك فانه
ليس عليه صلى الله عليه سواؤهم سواء دعاؤه اياهم او سكوته
عنهم ما يتغير عليهم الحال في نفوسهم وهذا يؤيد ان المراد
بالذين كفروا هنا من جهل لا من عاند مع علمه لا يؤمنون اي
لا يصدقون بما اعلمتهم والتصديق حالة قلبية قوله
ختم الله على قلوبهم الاية العالم بالشيء ما ختم على قلبه
لكن الجاهل بالشيء مختوم على قلبه قوله ختم الله على قلوبهم
وما ذكر الطبع هنا بل ذكره في موضع اخر قال تعالى أولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فالطبع
النقش الذي يكون في الختم والختم هو القفل فقال تعالى ام على
قلوب اقفالها وقال هنا ختم الله على قلوبهم اي الذي قالوا قلوبنا

في اكنة مما تدعونا اليه هو منا ثم قال وعلى سمعهم اي وختم
على سمعهم حين قالوا وفي آذاننا وقر اي هو منا وقال تعالى وعلى
ابصارهم غشاوة لقولهم ومن بيننا وبينك حجاب اي هو منا
ثم قالوا فاعمل اننا عاملون فقال الله ولهم عذاب عظيم
وهو الذي قالوه وطلبوه العمل فالختم الذي على السمع هو بينه وبين
القلب لا بينه وبين الكلام فانه سمع الكلام من الرسول بلا شك
ولكن لجهله بما سمع انه حق في نفس الامر وعدم تصديقه كان
عنده كمثل الصوت من الانسان عند البهائم التي لا تعقل معناه
وهو قوله تعالى كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
صم بكم عمي فهم لا يعقلون ان ذلك المصوت به حق فيما يدعو
اليه وكذلك قوله وعلى ابصارهم غشاوة وما جعله ختما اي
حايل بينه وبين القلب ان يعلم القلب ان ذلك المبصر من المعجزات
الموقوفة على ادراك البصر انها حق مثل نبع الماء من بين اصابعه
ورؤية الطعام القليل حين اشبع الكثير فان العلم به لا يحصل
الا من جهة البصر فاين فلو كان الغشا بينه وبين المبصر
ما صدق هذا القول فكان الغشا بلا شك على البصر من جهة
القلب فلا يبصر البصر القلب الذي يقبل ما جاء به بل جعله القلب
من قبيل السحر والخيال فتعظيم العذاب هو العذاب من وجهين
فصاعدا فلهم عذاب الجهل وعذاب التكذيب قال تعالى فانها لا تعمى
الابصار فانها ادركت بلا شك وانما تعمى القلوب اعني البصائر

وهو النظر في مقدمات الادلة وترتيبها التي في الصدور وقد
يكون من الرجوع عن الحق قال تعالى يجادلونك في الحق بعد ما
تبين لهم قوله **ومن الناس من يقول امنا بالله** الى قوله
يشعرون الناس اسم جمع لا واحد له من لفظه كقوم ومعشر
ورهط وقد قيل في تصغيره نويس فلا اصل له في الهمز وقد
تكلموا في اشتقاقه وقالوا انه من النوس وهو الصوت وهذا
كله لا فائدة فيه اذ قد علمنا لفظة الناس على من ينطلق
فاقول وان كان سبب نزولها قوم مخصوصون فلا حاجة لذكرهم
بما بين الله من صفتهم فكل من قامت به تلك الصفة فهو المراد
بالاية الى يوم القيمة قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر فلم يخبر تعالى انهم قالوا لا اله الا الله ولا انهم
قالوا اليوم الاخر حق وانما اخبر عنهم انهم قالوا آمنا بالله فالمفهوم
الاول التصديق بوجود الله ووجود اليوم الاخر فيتصور ان
يكون هنا طائفتان ثم اخبر تعالى بنفي الايمان عنهم فيما ادعوه
قولا واعتقادا فقال وما هم بمؤمنين بوجود الله فيكون الاخبار
عن المعطلة وهم على قسمين معطلة من حيث الاصل ومعطلة
بعد وجود فقوله **وما هم بمؤمنين** اي بمصدقين اعتقادا ولا
ذكرا انهم تلفظوا به فتحقق نفي الايمان عن قلوبهم وبقي الاحتمال
في هل تلفظوا ام لا واليوم الاخر واما الطائفة الاخرى فقد
يكونون مؤمنين بالله من حيث وجوده وان كانوا مشركين

ولا يؤمنون باليوم الاخر ولو كانوا موحدين من حيث
الدليل فيكون الحق قد نفى بقوله تعالى وما هم بمؤمنين يعني
بما جئت به من الغيب عنا وباليوم الاخر والاظهر انه
اراد المثبتين وجوده سبحانه سواء وحدوا واشركوا
بقوله فيهم **يخادعون الله والذين امنوا** وهذا ايضا
قوله والذين امنوا يقوى ما ذهبنا اليه في تفسير نفي الايمان
انه الايمان بوجود الله فيكون يخادعون الله على دعواكم
ان ثم الاها والذين امنوا يخادعون حقيقة فانهم موجودون
ولا يبعد جميع ما ذكرناه فان هؤلاء الاصناف كلهم
موجودون وقد دخلوا فيمن بعث اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان رسالته عامة فينسحب الخطاب عليهم والخداع
مأخوذ من المخدع فدخلوا فيه ليعصموا دماءهم واموالهم
لما رأوا دين الله ظاهرا فدل بقوله يخادعون الله على
جهلهم بالله وصورة الجهل ان كان يعلم ما يلفظوا به
من كلمتي الشهادة فهو يعلم ما في نفوسهم من عدم التصديق
بها وان كان لا يعلم عدم تصديقهم فلا يعلم ايضا انهم
تلفظوا بالشهادة فالاظهر ان مخادعتهم لله على زعمكم ان
ثم الها فيبقى الخداع على الحقيقة للذين امنوا الذين يخافون
منهم ان يقتلوهم ولذلك قال **وما يخادعون الا انفسهم**
اي امثالهم مثل قوله فلا تزكوا انفسكم ومثل قوله كخيفتكم

انفسكم يريد امثالكم ويحتمل ان يريد بقوله الا انفسهم
ان يكون الخداع راجعا عليهم قال تعالى يخادعون الله وهو
خادعهم اي خداعهم هو خداع الله بهم يؤيد ذلك قوله
وما يشعرون اي لا يتفطنون لذلك انه من خداعنا بهم
واما قوله يخادعون الله ببنية المفاعلة لان المخادعة تفعل
فاعلين وذلك ان من شرط الخداع ان لا يعلم به المخدوع و
الله بكل شيء عليم فقال تعالى وهو خادعهم اسم فاعل من خدع
ولم يقل يخادعهم فانه يخدعهم حقيقة وهم لا يقدرون ان
يخدعوه فلم تختلف القراءة في الاول واختلفت في الثاني
وهو قوله وما يخدعون ويخادعون فان المفاعلة تصح
بينهم في جنسهم لكن العالم قد يصح ان يخدع فهو متخدع
بمعنى ان يظهر لهم انه مخدوع بعدم المؤاخذة في الحال فيوهمون
لحلمه انهم خدعوه قوله في قلوبهم مرض الاية يقول في قلوبهم
مرض الجهل بالله فزادهم الله مرضا بانزاله سور القران
قال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم كما قال في المومنين
زادهم هدى وزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وهؤلاء
يتذلك يتالمون والالم هو المرض عينه وهو ايضا قوله
تعالى اذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة وما قال بالله اي انقبضت لما وجدت من الرئسة
الوحدة لله في الالوهية ومما يدل على جهلهم بالتوحيد قولهم

اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب فبعث
الرسل للكفار زادهم مرضا لخطاب الوقت فزادهم الما ولهم
عذاب اليم اي موجع والالم هو العذاب نفسه وقد يطلق
العذاب على سبب الالم كما ان النعيم انما هو اللذة نفسها و
قد تطلق على سببها المعهود وقوله تعالى بما كانوا يكذبون
هذه باء السبب اي بسبب تكذيبهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
من الخبر عنا فان التكذيب متعلقه الخبر فهذا عذاب
مخصوص من اجل صفة مخصوصة وما قال ولهم عذاب اليم
بمرضهم الاول والمزاد وجاء بلفظة العذاب ولم يكتف به
حتى قال اليم وذلك لان العذاب فيه ضرب من اللذة ومنه
في صفة الماء عذب فرات ولما كان في ايلام الكفار بالله و
برسوله سرور للمؤمنين قال ويشف صدور قوم مؤمنين
ويذهب غيظ قلوبهم سماه عذابا للعذوبة التي تحصل منه
للمؤمن ومن قرا يكذبون مخففا من الكذب في قولهم امنا
بالله وباليوم الاخر فهي زيادة مرض اخر فالمرض الاول اعتقادهم
التكذيب بقلوبهم فزادهم الله مرضا اخر نكرة وهو ان نطقهم
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ولكل جنس من المرضين عذاب
مخصوص فلذلك وردت القراءتان معا اي انهم مجازون
على التكذيب بالنار التي تطلع على الافئدة وعلى الكذب بالنار
التي تتسلط على الجوارح قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا

الآية الضمير في لهم يعود على الذين كفروا خاصة
قالوا انما نحن مصلحون في زعمهم قال تعالى افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل الذي هو قول الله لا تفسدوا في الارض
فلما كانوا على عمل هو فساد عند الله تعالى وصلاح في نظرهم
اعتقدوا ان ما خالف عملهم من الاعمال المقابلة لها وان ترك
اعمالهم هو الفساد فاعتقدوا ان المؤمنين على فساد لمخالفتهم
ما هم عليه فقال تعالى في مقابلة هذا الاعتقاد وان لم يجر له
لفظ الا انهم هم المفسدون دل عليه المعنى ولكن
استدراك لا يشعرون اي لا يفطنون لذلك فلم يكونوا
معاندين ولا جاحدين بل هم جاهلون قوله واذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس الآية الضمير ايضا يعود
على الذين كفروا خاصة فان الآخرين قالوا آمنا بالله وباليوم
الآخر وان كانوا كاذبين في مقالتهم تلك كما آمن الناس
يعني المؤمنين قالوا انؤمن كما آمن السفهاء السفه عدم
الرشد والتصرف على ما لا تقتضيه الحكمة وضعف الرأي
قال الله لهم مخبرا لنا الا انهم هم السفهاء يقول هم
الضعفاء الرأي لا انتم فعاد ما نسبوه للمؤمنين اليهم قال
عليه السلام انما هي اعمالكم ترد عليكم وجاء في الصحيح من قال
لاخيه كافر فقد باء به احدهما اي بوصف الكفر ان كان

كما

كما قال فصح الوصف وان لم يكن كما قال جاز ذلك على القائل
لانه من قال ان الاسلام كفر فقد كفر فالسعيد من استبرأ
لدينه وعرضه لا يكفر احدا من اهل القبلة بذنب فالعلم
واسع والوجوه كثيرة ثم قال ولكن لا يعلمون انهم هم
السفهاء فان السفه عندهم ترك ما هم عليه ومخالفته قوله
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الى يعمهون الضمير
في لقوا يعود على الناس الذين قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر
وما هم بمؤمنين كانوا ويكونون الى يوم القيمة من هذه صفتهم
اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا اي صدقنا بالذي صدقتم
به ليعصموا دماءهم واموالهم ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض طوعا وكرها فهؤلاء سجدوا كرها وآمنوا
كرها لظهور اهل الايمان بالسيف عليهم واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم الى هنا بمعنى مع
يقول واذا خلوا مع شياطينهم من الانس الباقين على
كفرهم او خلا بعضهم مع بعض يقولون ذلك فانهم كلهم
شياطين قال تعالى شياطين الانس [والجن] يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا وهو قدحهم في اهل الايمان
من حيث ايمانهم وتزيين ما هم عليه من الباطل قال تعالى في اليهود
والنصارى بعضهم اولياء بعض اي ينصر بعضهم بعضا
قالوا انا معكم اي على الدين الذي انتم عليه ما غيرنا ولا بدلنا

انما نحن مستهزئون بهم وتقية لما يجري في ذلك الينا
من المصالح في انفسنا واموالنا وذرارينا يقولون نسخر بهم
فقال تعالى الله يستهزئ بهم اي يسخر بهم وذلك على
وجهين الوجه الواحد ان استهزائهم بالمؤمنين هو عين
استهزاء الله تعالى بهم من حيث لا يشعرون ومنه ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ان عين ما اعتقدوه
انه مكر بكم هو مكري بهم ومن هذا الباب ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون وقوله تعالى يخادعون الله والذين
هو خادعهم والوجه الاخر يتقسم الى وجهين وجه يقتضيه
العدل فيكون جزاء ووجه يقتضيه الاستهزاء جزاء ايضا
في عمل واحد وذلك انه اذا كان يوم القيمة وهو قوله تعالى
كما تسخرون فسوف يعلمون مخلصة للاستقبال وهو يوم
القيمة يحشر الله هذه الامة وفيها منافقوها فاذا انبعث
كل امة ما كانت تعبد ودخلت الامم النار ونصب الصراط
على جسر جهنم اتى بهؤلاء المنافقين الذين اظهروا الايمان
بالسنتهم وصلوا وصاموا وقاموا بفروع الشريعة في الصورة
الظاهرة كما قام المؤمنون اتى بهم الله تعالى حتى انفهقت لهم
الجنة بما تحويه من الخير والسرور فتنعموا برؤيتها وظنوا انهم
داخلوها فكانت تلك النظرة والفرح الذي قام لهم بالطمع بدخولها
جزاء لما جاؤا به من الاعمال الظاهرة ظاهرا بظاهر عدلا منه

سبحانه

سبحانه فاذا طابق الجزاء اعمالهم واخذوا حقهم وهم
لا يعلمون انهم يصرفون عنها ضرب الله بينهم وبين الجنة سورا
باطنه الجنة وظاهره من قبله العذاب فيؤمر بهم الى
النار فهذا هو استهزاء الله بهم وسخرية الله بهم فجمع سبحانه
في هذا الفعل الواحد بين العدل والاستهزاء كما جمعوا بين الاسلام
والكفر وليس للمنافقين من النار الا الدرك الاسفل وهي
النار التي تطلع على الافئدة قال تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وليس لهم في اعلاها مكان لا على قدر
صياحهم الظاهرة فالكافر يتعذب في النار علوا وسفلا
بخلاف المنافق وكلهم في جهنم جميعا وهذا من عدل الله
فانه ليس في الجنة موضع ولا في النار موضع الا وله عمل يطلبه
من فعل وترك الا ما في الجنة من اماكن الاختصاص وليس
في النار ذلك ولهذا ما ورد في القران يختص برحمته من يشاء
فالنار ينزل فيها بالاعمال والجنة ينزل فيها بالاعمال والاختصاص
الالاهي ولذا قال سبقت رحمتي غضبي الى الاختصاص والله
واسع الرحمة كما قال ولم يقل ذلك في النقمة فتحقق ما ذكرناه
ثم قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون يقول يملي لهم مما
هم فيه قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والحجريك من بعك
سبعة ابحر وقوله في طغيانهم اي في تعاليهم فيما ارتفعوا
فيه من الضلالة في بواطنهم اذ كانوا مع المؤمنين وفي ظواهرهم

٢٧ ورد يختص برحمته من يشاء

اذا كانوا مع اشكالهم من شياطينهم من طغى الماء اذا ارتفع
وزاد على حده انا لما طغى الماء حملناكم اي ارتفع وقوله تعالى
يعمهون اي يحارون والعمه الحيرة والضلال قوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة الآية حرف اشارة اشار بها الى
كل من تقدم ذكره من منافق وكافر فاما اخبار الله
تعالى عنهم انهم اشتروا الضلالة بالهدى دل على انه كان عندهم
هدى باعوه بهذه الضلالة وان الذين اشتروا منهم الضلالة
كان عندهم ضلالة فالترجمة عن ذلك كل مولود يولد على
الفطرة وابواهما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
والفطرة التي فطر الناس عليها هو الاقرار منهم لله بالربوبية
عليهم في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فهذا هو الهدى
الذى كان بايديهم ومامن هدى الا وفي مقابلته ضلالة
وهو تركه فجاء المؤمنون الذين بقوا على هداهم او رجعوا الى
هداهم باجابتهم دعوة الحق بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم حين
دعاهم وجاء الذين لم يجيبوا داعي الله فاخذ المؤمنون هداهم
وعوضوهم عن ذلك الضلال الذي في مقابلة هداهم لو لم يهتدوا
فضل هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بما عوضوا به زيادة
على ضلالتهم قال تعالى فزادتهم رجساً الى رجسهم يعني هذه
الصفقه وهي السورة المنزلة وازداد المؤمنون هدى الى هداهم

قال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداهم الذى كان لهم زادهم
هدىً وهو الهدى الذى باعه الكفار منهم فكان للمؤمنين
نور على نور وكان للكافرين ظلمات بعضها فوق بعض
فهم في ظلمات لا يبصرون والمؤمنون نورهم يسعى بين
ايديهم فقال تعالى في صفقة الكفار فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين اي خسروا في متجرهم لكونهم سفهاء
وهو تأكيد لقوله تعالى الا انهم هم السفهاء واي سفه
اعظم من سفه تاجر لا يدرى كيف يحفظ راس ماله
الذى هو الدين هنا قال تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم قيل وما هي قال تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيله فابوا واختاروا العمى على الهدى
واشتروا الكفر بالايمان من المؤمنين ليزداد المؤمنون
ايمانا مع ايمانهم قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
يرجون تجارة لن تبور فقوله وما كانوا مهتدين هنا اي
ما رشدوا ولا اتخذوا سبيل الرشد سبيلا ثم ان الله تعالى
ضرب لنا فيهم مثلا اذا لقوا المؤمنين مثلا وضرب لنا
مثلا اخر فيهم وفيما انزل من القرآن فقال تعالى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى قوله تعالى فهم لا يرجعون
هذا هو المثل الاول قوله مثلهم كمثل الذي صفتهم كصفة
الذى استوقد نارا ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي

صفة الجنة ومنه ولله المثل الاعلى اي الوصف فقال
مثلهم اذا لقوا المؤمنين قد يمكن ان يكون اللقاء هنا
منهم عن قصد ليؤكدوا عندهم ايمانهم فان المؤمن الحقيقي
يدل بايمانه والذي في قلبه خلاف ما تلفظ به يتخيل انه
يطلع على ما في باطنه فتراه ابدا يحرص على اظهار الايمان
ابتداء من غير استدعاء ليؤكد عند السامع انه بتلك
الصفة وان كان من لقيك فقد لقيته ولكن ما قال
اذا لقيهم المؤمنون ويؤكد ما ذهبنا اليه ما ذكره في
التشبيه في قوله كمثل الذي استوقد نارا وما قال كمثل
الذي وجد نارا او الوقود من الواقد لا يكون الا بقصد فلهذا
رجحنا ان اللقاء كان عن قصد لما ذكرناه فقال تعالى مثلهم
اذا لقوا المؤمنين كمثل الذي استوقد نارا اي اوقد نارا او
طلب وقود نار وهو ما يشرعون فيه مع المؤمنين اذا لقوهم
من قولهم لو آمنا فما داموا مجتمعين على ذكر الايمان
وفضائله هو قوله **أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ** في التشبيه وقال
ما حوله ولم يقل فيه فانه ما عنده من الايمان الا ذكره
ليس فيه منه شيء ولذلك عصم ظاهره فانه حوله ولم
يعصم باطنه فانه ليس فيه ايمان ثم شبه انصراف المؤمنين
عنهم فينصرف نور ذكر الايمان لانصرافهم بقوله **ذَهَبَ
اللهُ بِنُورِهِمْ** ثم شبه رجوعهم الى انفسهم وشياطينهم من امثالهم

بقوله **وَتَرَكَهُمْ** يعني المؤمنين بانصراف النور عنهم
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ يقول في طغيانهم لا يهتدون
لان من لا يبصر لا يهتدي ولا يعلم ما حدث له في طريقه
ثم قال **صُمٌّ بُكْمٌ** عن سماع دعي الحق **بُكْمٌ** لا يتكلمون في حق **عُمْيٌ**
لا ينظرون في الاشياء نظر اعتبار كما قال وتراهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون وقال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون
والموتى يبعثهم الله ثم قال **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** الى طريق الهدى
لان الله ختم على قلوبهم وسمعهم واعمى ابصارهم قوله
أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ الى قوله قدير اتى باو التي للشك
اتساعا فعدلوا بها عن الشك والاولى ان لا يعلل كلام الكر
بمثل هذا بل يقال ترد في اللسان للشك وترد للتخيير وكلاهما
لغة تقول جالس فلانا او فلانا فمعناه انظر في هذا المثل
ان شئت او في هذا المثل الاخر ان شئت او فيهما فالمشبه
الكتاب المذكور في اول السورة الذي انزل اليه صلى الله عليه وسلم
والمشبه به الصيب الذي هو المطر المنحدر من السماء وهو
السحاب هنا نزل به الروح الامين على قلب محمد وشبه
القرآن في حيوة القلوب به للمؤمنين بالمطر الذي به حيوة
الارض ثم قال **فِيهِ** يعود الضمير على السماء وهو السحاب
ظُلُمَاتٌ شبه بها ما يحوي عليه القرآن من الاخبار

التي اخبر الحق بها عن الكفار من قولهم ان الله فقير ونحن
ابناء الله واحباؤه وان الله هو المسيح ابن مريم ويد الله
مغلولة فهذه الاقوال الظلمات القرآن ورعد ما فيه من
الايات الزواجر وبرق ما فيه من الايات الدالة على التوحيد
والتنزيه والذي وقع التشبيه بها هنا والله اعلم في البرق
انما هي ايات مكارم الاخلاق وصنايع المعروف التي هي محبوبة
لكل نفس ولذا قال تعالى كلما اضاء لهم مشوا فيه
والكافر لا تضئ له آية التوحيد حتى يمشي فيها وانما ذلك
ايات الوعد والرغبة ومكارم الاخلاق وقوله يجعلون
اصابعهم في اذانهم من الصواعق من اجل سماع
الايات الزواجر جمع صاعقة اي سماع هذه الايات يجعلهم
يصعقون ويخافون الصعق لئلا يكون فيه موتهم اي تنخلع
قلوبهم بما سمعوه كما اتفق لبعض زعما المشركين وذلك
انه لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يتلو فان اعرضوا فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ضرط وتخبط في عقله
وقال ان هذا كلام جبار ثم قال والله محيط بالكافرين
بالاخذ من احاطهم العدو فلا يجدون مفلتا ولا منفذا
قال تعالى وظنوا انهم احيط بهم واحيط بثمره فالمثل الاول في
المنافقين وهذا المثل الاخر في الجميع وفي نزول القرآن وما يحويه

ثم قال

ثم قال يكاد البرق يخطف ابصارهم
كلما اضاء لهم مشوا فيه يقول يكاد ما يسمعونه
من ايات الوعد والتحضيض على مكارم الاخلاق يخطف ابصارهم
عن العمى ويردهم الى الحق مما يفرحون بسماعه ثم قال واذا
اظلم عليهم قاموا يقول واذا سمعوا الايات
التي حكاها الحق عنهم رجعوا اليها وقاسوا على كفرهم اي
ثبتوا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم عن
الباطل وعن رؤية الظلمات الى الحق والى النور كانه يقول
ولو شاء الله لهداهم ان الله على كل شئ قدير
اي على كل مقدور ان يوجده ان كان معدوما او يعدمه
ان كان موجودا قال تعالى ان يشا يذهبكم اعدام الموجود
ويأت بخلق جديد ايجاد المعدوم وما ذلك على الله بعزيز
بممتنع قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الى قوله خالدون نادى الشاردين من عباده الذين تمادوا
في اعراضهم عن توحيد خالقهم فان لفظة يا في النداء
وضعت للبعد وكذلك ايا وهيا كما ان الهمزة واي للقرب
واي حرف مبهم والهاء للتنبيه ولا بد من مفسر ياتي
بعد يا ايها فكان الناس هنا فقال يا ايها الناس اعبدوا
ربكم اي تذللوا واطيعوا مصلحكم ومربيكم تعريفا بالنعم

دينهم

الذي خلقكم اوجدكم والذين من قبلكم
وخلق من قبلكم فذكر الخلق تنبيها لاعتكافهم على عبادة آلهتهم
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
افلا تذكرون فلما تمدح بالخلق دل من مضمون الكلام ان
لا خالق للاشياء كلها الا هو من افعال العباد وغيرها
ولو كانت افعال العباد خلقا لهم لم يكن ذكره للخلق تمدحا مانعا
لوقوع الاشتراك فتحقق مذهب اهل الحق في ان لا موجد ولا
فاعل الا هو وقوله والذين من قبلكم اي انها مخلوقة له ايضا
تاكيد لما ذكرناه ومن قبلنا كل ما تقدمنا في الخلق من مخلوقات
الله من عقول ونفوس واجسام وجسمانيات فان كثيرا
من الناس يضيفون الافعال بطريق الايجاد الى النفوس والافلاك
والعقول فبين الله ان الكل من خلقه ثم قال لعلكم
تتقون كلمة ترج وتوقع وكذلك عسى وهي من الكرماء
واجبة والله اكرم الاكرمين والعامل في هذا الترجي عند
الجماعة اعبدوا ربكم وما بعده وفيه بعض الغموض وما يحتاج
اليه من التقدير فيه والاظهر عندي ان ضرب الامثال المتقدمة
تطلبه بقرائن الاحوال ومدلول المعاني وسياق الكلام
اي ضربنا لكم هذه الامثال لعلكم تتقون اي تحذرون
وتخافون فيردكم حذركم الى الحق فيطابق معنى التقوى ولا ٥

يظهر مثل هذا الى قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم ولا سيما وياتي
بعد تتقون ما يناسب الاول وهو قوله تعالى الذي
جعل لكم الارض فراشا الى قوله رزقا لكم كلها من باب
تقرير النعم التي انعم بها على عباده فكان لعلكم تتقون نصا
مفهما وان لم يسمى مثل هذا مبهما ولكنه في المعنى كذلك
وربما لا يعرف انزال هذه اللفظة في هذا الموضع وفصلها
بين المناسبين الا من يعرف اعجاز القرآن واما حرف الترجي
في هذه التقوى مع علمه بما يكون منهم فمثل قوله ولنبلونكم
حتى نعلم وهو عالم بما يكون منهم وغلب المخاطب على الغائب
في لعلكم لانه المقصود بالخطاب وهو الاوجز من طريق
المعنى لان الله هو المخاطب ولا يغيب شيء عن الله فينسحب
هذا الخطاب على جميع المخلوقات من مضى ومن هو الان ومن يكون
وبلا شك ان من يكون مخاطب بهذه الاية وهو الآن لم يكن ولكن
ما جاء فيه بضمير الغايب فكذلك من قبلنا والكلام قديم
والسامع محدث والمتكلم به كذلك قال تعالى ما ياتيهم من
ذكر من ربهم محدث والذي جاءهم انما هو المتكلم به ثم
قال الذي جعل لكم الارض فراشا خص ذكر الفراش على
المهاد والقرار والبساط للتوالد الذي يذكره فيما بعد
من اخراج الثمرات بانزال الماء من السماء في الارض وذكر
السماء بلفظة البناء للابتناء فجعله سببها بالنكاح فقال

جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من
السماء ماء فعلى السماء على الارض وهي مفترشة قابلة
فانزل فيها الماء فاهتزت تحركت وربت حملت شبه حمل المرأة
فاخرج به اي بسبب هذا النكاح من الثمرات
الالف واللام لاستغراق الجنس رزقا لكم ملكا تنتفعون
به فلا تجعلوا لله الذي خلق هذه الاشيا كلها
اندادا آلهة تعبدونها مخلوقة تنحتونها بايديكم او تتخذون
الكواكب وغيرها آلهة مع الله وانتم تعلمون انهم لا يخلقون
شيأ وان الله هو خالقهم وخالق كل شئ والند المثل المخالف
المناوى وهذا لا يتصور الا فيمن يدعى الالوهية كفرعون وغيره
من الجبابرة لانه كل من يدعى عبد الالوهية وهو والله اعلم
من ند اي شرد فانه شرد من موطن العبودة التي هي حقيقته الى
الربوبية التي ليس له منها وصف ولا له فيها قدم فلهذا سمي ندا
فكانه يقول لهم من ند وادعى لكم انه اله فلا تجعلوه لي ندا اي مثلا
قال عليه السلام من الكبائر ان تجعل لله ندا وهو خلقك فمن عجز
عن الخلق فليس باله فالخلق اخص اوصاف الاله الذي تميز
به عن عباده فليس لمخلوق خلق فعل اصلا ثم قال وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية هذا خطاب
لفصحاء العرب خاصة الذين يعرفون نظم الكلام العربي واعجازه
يقول ان كنتم في شك من القرآن انه منزل على محمد عبدنا من عندنا

عاجزون

عارضوه في سورة مثله حتى تعرفوا انه ليس في مقدوركم
ان يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي
معينا من الجن والانس والظاهر في هذه المعجزة انه ليس من
مقدور البشر لانهم صدوا مع القدرة قبل طلب المعارضة
وهو الوجه الاحرس للاعجاز فترجح الوجه الواحد بقوله نزلنا
يؤيد ذلك فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فهكذا انزل عليه بهذه
الالفاظ المخصوصة فان لم تقدروا كما انه ايضا خارج عن
مقدور عبدنا فادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم
آلهة من دون الله يأتونكم بمثل ما نزلنا على عبدنا
ان كنتم صادقين انهم آلهة اذ الاله هو الذى
لا يتعاصى عليه شئ بل هو على كل شئ قدير فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا الاية يقول فان لم تأتوا بسورة
من مثله وعجزتم عن المعارضة ولن تفعلوا ولن تأتوا بمثله
فنفى بلن الاتيان في المستقبل كما انتفى في الحال فجاشبه المعجز وفيه
فائدة الاخبار بعدم المعارضة في المستقبل تأييد انه خارج
عن مقدور البشر فتبين صدق الرسول عندكم بعدم المعارضة
فضح عنادكم ان لم تؤمنوا وترجعوا عن ضلالتكم فان لم تفعلوا
فاتقوا النار اي اتخذوا الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقاية من النار التي وقودها الناس الذين كفروا بما انزل عليه
والحجارة الالهة التي عبدوها من دون الله نكاية لهم

حيث زعموا انها تشهد لهم انهم على الحق عند الله تعالى
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاتخذوهم شهداء
ولذا قال فادعوا شهداءكم من دون الله فدخولها معهم
زيادة فى عذابهم وقوله **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** يعنى النار وقد
يحتمل ان يقول اعدت الحجارة هنا اى هى معدة لعذابهم
فى النار ثم قال **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**
الآية يقول وقل للمؤمنين الذين عملوا الصلحات قولا يظهر
منه السرور على بشرتهم وهو **أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**
الْأَنْهَارُ يعنى الانهار المعروفة فاتى بحرف العهد والتعريف
قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وسيأتى الكلام عليها فى السورة التى تذكر فيها ولم يعرف
الجنات لان الاعمال التى تقتضيها لم تفصل فتعرف جنة
كل عمل وهذه مسألة عظيمة جليلة الخطب عظيمة الفائدة
لنا فيها باع متسع وقد اهملها الناس لعدم استقصائهم
على مراتب الاخرة فى دار السعادة والشقاء ثم قال **كُلَّمَا**
رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا اى كل وقت وما هنا ظرفية
قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ لشبهه فى الصورة فان
المثل يشبه المثل ولا سيما فى الاسماء فيقولون هذا تفاح
ورمان وغير ذلك فاذا طعموه تبين لهم الفرق بين

المثلين

المثلين كالصلوة تشبه الصلوة الاخرى فى اقامة نشأتها
ولكن الذى يجده المصلى فى كل صلوة مختلف باختلاف
الاحوال فكما كانت الاعمال هنا متشابهة الصورة وكل
ذائق يعرف الفرق فى الاخرة كما عرفه فى العمل فى الدنيا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ولم يقل مطهرات لان
تطهير كل زوجة ما هو تطهير الزوجة الاخرى كالجنات
سواء وما فيها فيقول كل زوج مطهرة ولو لم يكن كذلك
لكان الذوق له من كل واحدة على نسبة واحدة ولا تكرار
فيها اصلا بل ولا فى العالم للاتساع الالهى بل نعيم مجدد
مع تجدد الانفاس وليس اجتماعه بها الاول شبه الثانى
وَهُمْ فِيهَا يعنى فى الجنة **خَالِدُونَ** اى لا يخرجون منها
قال تعالى وما هم منها بمخرجين **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي**
الى قوله الخاسرون الاوجه فى قوله لا يستحى نفى الحياء عن الله
فمن قال بالمفهوم من الخطاب او احتج فى ان الله ذو حياء بحديث
ان الله يستحى من ذى الشيبة فالاوجه فى التأويل فى هذه الآية
ان يكون قول الله جوابا بحكم المطابقة لكلام تقدم من الكفار
وهو اما يستحى رب محمد ان يضرب مثلا بالمحقرات كبيت
العنكبوت والذباب وهم طائفة من الكفار لا حرمة للحق
عندهم او يقولون الله اعلى واجل واعظم حياء ان يضرب مثلا
بما يعاب عليه من ذكره هذه المحقرات فقال ان الله لا يستحيى

كذلك [illegible] متشابهة الصورة

ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا [illegible]

ان يضرب مثلاً ما فيكون جوابا بحكم التطابق لكلامهم
وهل يتصف بالحياء او لا مسالة اخرى فان ورد بذلك
نص عنه اجريناها مجرى ما نسب اليه من اليد والعين وغير
ذلك على الوجهين على ما تاولها الاشاعرة او على ما ذهب
اليه السلف من الوقوف عند ذلك من غير تاويل قوله تعالى
ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما فابهمه بقوله ما اي بكل
ما يجوز ان يضرب به المثل لان القصد من المثل ايصال المعنى
الى المخاطب السامع حتى يفهم المراد منه اذا كان لا يصل الى
معرفة المعاني بغامضات الادلة لبعدها فيتنزل لفهمه المتكلم
في العبارات بضرب الامثال لذلك ولا يتصور ان يكون
ضرب الامثال بالمحقرات اهل الكتاب لانه في كتبهم من ذلك كثير
وهم مؤمنون به الى الان يباهتوا واما ساعدي اهل الكتاب
فقد يسوغ منهم ذلك على الطريقين اللذين ذكرناهما من التعظيم
لله وعدم التعظيم او التعطيل ثم قال بعوضة فما فوقها
في الصغر كالذرة ثم قال فاما الذين امنوا يريد اصحاب
الكتب ونحن وكل من انزل عليه كتاب وامنوا بكتبهم فيعلمون
انه يعني المثل حق اي مطابق للممثل به وان الله قاله
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا
الذي ذكره مثلا اي لاي شيء ضرب المثل وقد يتصور
هذا القول من العالم انه من الحق ومن غيره فيقوله معنى انه

على زعمكم انه قاله سبحانه فقال تعالى يضل به كثيرا
يعني بالمثل يقول ليضل به ويهدي به كثيرا اولم
يذكر المؤمنين وذكر الفاسقين وما يضل به الا الفاسقين
الذين خرجوا عما دخل فيه المؤمنون من الايمان بالله مطلقا
وبرسوله في حق البراهمة وبمحمد في حق من كفر به من اهل الكتب
على الخصوص وما جاء به والفسوق الخروج عن الشيء وفي الشرع
الخروج عن اوامر الله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه مطلقا يريد ميثاق اخذ الذرية
بالاقرار واخذ العهد على اهل الكتاب وقوله ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل من وصل الايمان بالرسل مع
الايمان بالله في حق البراهمة ومن قال بقولهم وفي حق اهل
الكتاب الذين جحدوا نبوة محمد عليه السلام ولم يصلوا ايمانهم
به بايمانهم بالله ورسلهم ويفسدون في الارض اي يعملوا
فيها بخلاف امر الله مطلقا اولئك هم الخاسرون يقول
هم الذين ما ربحت تجارتهم بل خسروا راس مالهم وبعد ان
ذكرنا اصول هذه الاية من الايمان فالمقصود ايضا منها
فروع الاحكام فكل عهد مشروع بيننا بعضنا في بعض وبين
الكفار وبيننا مما الزمنا الحق الوفاء به يدخل تحت هذا العهد
فانه عهد الله الذي شرعه لنا وكذلك ما امرنا الله به ان نوصله
من الارحام واهل ود ابائنا فيلزمنا ايصاله وتلحقنا المذمة

من هذه الآية بقطع ذلك أولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة والكفر
بالايمان والفساد بالصلاح والوصل بالقطيعة ونقض
العهد بالوفا ثم اخذ سبحانه يقرر نعمته عليهم فقال
كيف تكفرون بالله الى قوله عليم كيف حرف استفهام
مثل الهمزة بضرب من التوبيخ والتقرير والانكار عليهم بما
قررهم عليه من النعم التي يذكرها فقال كيف تكفرون بالله
وكنتم بلا حيوة فاحياكم بخلق فيكم الحيوة بخلق الروح الذي
هو المقصود من الانسان ثم يميتكم اي يقبض ارواحكم
اليه لتلقوه فتشرفون بلقائه ثم يحييكم ثم يرد ارواحكم
الى اجسادها ليكون العبد عند ربه بكليته روحا وجسما
كما كان بالموت روحا دون جسم فكان نعمة على نعمة وركب
ارواحكم في اجسادكم لترجعوا اليه سبحانه هال ثم اليه
ترجعون وجعله رجوعا لانه خرج من عنده روحا عبدا
مجردا اورده الى تدبير جسده فرجع اليه واليا ملكا بما ولاه
الله عليه من تدبير جسده ومن ملكه الذي يصل اليه في
جواره في دار الكرامة فان كنتم مؤمنين كنتم بهذه المثابة
من الكرامة وان كفرتم كنتم على النقيض من هذه الصفة
وكان خلق الحيوة والموت في حقكم ابتلاء قال تعالى خلق الموت
والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا فاحسن المؤمنون ونجوا

ولم يحسن الكفار فخسروا حيث لم يقوموا بشكر هذه النعم
ثم اردف هذه النعم بنعم اخر فقال هو الذي خلق لكم
ما في الارض ردا على القائلين بنسبة الخلق المولد في
الارض للطبيعة فاضافه اليه سبحانه وخلق هنا خاصة
بمعنى قدر وهو قوله تعالى وقدر فيها اقواتها وسيأتي
في فصلت وانما قلنا خلق هذا بمعنى قدر لانه قال بعد
هذا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات فجاء
بثم يؤذن بالبعدية فخلق الارض وقدر فيها اقواتها
علما ثم استوى الى السما وكانت واحدة ففتقها وسواها
سبع سموات طباقا فدارت بكواكبها ففتق الارض بما انجح
فيها ومنها من معدن ونبات وحيوان فكان ايجادا عند
دوران الافلاك بعد تقدير وجعل سبحانه هذا الخلق
كله من اجلنا فاية نعمة او اية عناية اعظم من هذه العناية
التي لاجلها خلق هذا الخلق العظيم الكبير ومصداق
كونه من اجلنا انه اذا انتقلنا الى الدار الاخرة مارت السما
وانشقت وزالت الارض وسارت الجبال بزوال الناس الذ
وكان ايضا هذا الابتلاء مدرجا في نعمة او نقمة مدرجة
في ابتلاء مثل خلق الحياة والموت فقال تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال ولنبلونكم حتى نعلم

فقال تعالى وهو بكل شيء عليم اي بما خلق وبما لاجله
خلق وبما يكون ممن خلق وقال تعالى وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه فهو قوله خلق لكم اي من اجلكم
وجعل ذلك آيات لقوم يتفكرون ليعلموا اما مراد الله من
ذلك فمن وجوهه عندنا الابتلاء الذي نبهنا عليه
ثم اردف هذه الاية بنعمة الاستخلاف وتعليم الاسماء
والسجود لهذه النشأة الانسانية فقال تعالى
واذ قال ربك للملائكة الى قوله من الظالمين لما اقتضى
عند الله خلقنا صلاحا في نفس الامر قرن التعريف لمحمد
صلى الله عليه وسلم بالاسم الرب الذي هو المصلح واضافه
الى محمد اعتناء به انه المقصود من هذه النشأة اذ
كان سيد الناس يوم القيمة واخفى في الدنيا ما يجب من تعظيم
لعلو منزلته كما اخفى ما يستحقه جل جلاله من تعظيم عباده
اياه فاطلق الالسنة عليه بان له صاحبة وولدا وبما
وقع به التعريف مما لا يليق به كذلك قيل فيه صلى الله عليه وسلم
انه ساحر مجنون كذاب وغير ذلك فاذا كان يوم القيمة
وظهر الحق سبحانه في عزته وكبريائه فذل كل موجود تحت
عزته على الكشف وذهبت الدعاوى وتبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ظهر ايضا في ذلك اليوم مقام محمد صلى الله عليه وسلم
وسيادته على الناس وافتقار الخلق اليه من سائر الامم في فتح

باب

باب الشفاعة وبان فضله على سائر الانبياء والرسل
فعلم الخلق هنالك عظم منزلته عند ربه كما تظهر عزة
كل مقرب عند سلطان عند ظهور سلطانه ودولته
فاخبر سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما كان
بينه جل علاه وبين ملائكته في حق آدم صلى الله عليه وسلم
ثم جعل لفظة الملائكة بمعنى الرسل كما نصفه فدخل فيهم
ابليس ومن جعله اسما لهم من حيث نشأتهم كما لفظة الانسان
لنا من حيث نشأتنا والجان من حيث نشأتهم ابليس لم يدخل
وان كان سموا به لاستتارهم في هذا الخطاب وقد يكون
الخطاب عاما لهم ولغيرهم من المخلوقين في ذلك الوقت وخصوا
الملائكة بالذكر اعتناء بهم وتهمما وتشريفا فيدخل ابليس
في التعريف وان لم يجر له ذكر واما قوله تعالى اني جاعل
ايها الخلق وناصب في الارض خليفة فان اراد بذلك
من يخلف من مضى في الارض من الامم قبلنا او الملائكة وهو
الاظهر فيدخل تحت هذه اللفظة آدم وذريته الكافر
والمؤمن وان اراد الخلافة النيابة عنه في خلقه فيختص
بذلك الرسل صلوات الله عليهم والوجهان صالحان
لذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك فلهذا تقوى عندنا
وظهر انا خلف من الملائكة في الارض لانهم لو فهموا

من الحق في خطابه ان المراد غيرهم لم يكن هذا جواباً على انهم
اجابوا من حيث ما فهموا وقد يكون الامر في نفسه على ما فهموا
وقد لا يكون وذلك ان كل كلام يحكيه الحق ويخبر به
انه قول لاحد من خلقه لا يلزم ان يكون صحيحاً مدلول ذلك
القول ولا فاسداً او لا اصابة ولا خطأ وانما تتبين صحته
وفساده من دليل آخر سمعي او عقلي والاظهر ما ذهبنا
اليه في مفهومهم ولما ابصرت الملائكة نشأة الانسان
مركبة من طبايع متنافرة دلهم ذلك على انه في جبلة هذا
المخلوق المنازعة في جنسه ومع غير جنسه ويدخل في هذا
الجان والانس وانما لم يذكروا ذلك في الجان وان كانوا من
طبايع متنافرة غير انهم غلب عليهم عنصر النار كما غلب
علينا عنصر التراب فهم اشد منازعة منا للحركة السريعة
التي في لهب النار والسكون الذي في التراب فكل منازعة
تقع منا فمن غلبة طبيعة النار في ذلك الوقت وهو الغضب
والحمية وهو المرة الصفراء لكن الجان لما لم يقل لهم الحق
انهم يخلفونكم في الارض لم يقولوا شيئاً وانما القول في الجان
بالمنازعة اولى لما ذكرناه فقالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء فان ارادوا بالفساد ازالة ترتيب
بعض ما نظم الله عليه بعض العالم مما لهم تسلط عليه
وقوة ونسفك الدماء فيهم وفيما يذبحونه من الحيوانات

ويقتلونها فغيرة منهم على جناب الحق لان له في كل ترتيب
تسبيح مخصوص فاذا فسد ذلك النظام ذهب عين تلك
الصورة فزال ذلك التسبيح والتقديس بزوال المسبح
والمقدس فقالوا حقاً وغيرة وايثاراً لجناب الحق وهو
الظن بهم وان ارادوا بالفساد وسفك الدماء غير
ما شرع لهم فينتهكون حرمة الحق المشروع ويتعدون
حدوده ويخالفون امره فيريدون المخالفين من بني آدم
خاصة وسبب وجود الذرية وجود الاب الاول الذي
هو الاصل وان لم يتعرضوا له ولكن يتضمنه الكلام
وان كان القصد بانزال المطر في طلب العباد له سقي
زراعاتهم فيخرب بيت العجوز الضعيفة بذلك المطر
قالت عائشة يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث فيخسف بالمدينة فيعم الهلاك
الصالح والطالح ويمتازون في القيمة وامتازوا اليوم
ايها المجرمون ثم قالوا عن نفوسهم تحدثاً وثناء على الله
بما انعم عليهم فقالوا ونحن نسبح بحمدك **وَنُقَدِّسُ**
لَكَ اي من اجلك **قَالَ** الله تعالى **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**
من قولكم فيكم وفيمن يخلفكم وذلك ان قولهم نسبح بحمدك
فاضاف فاخر التعريف ولم يقولوا بالحمد الذي لك فالمفهوم
منه تعميم الحمد الذي يليق بالله فان التنكير اعم اي بين في العموم

سئوال حفصة عايشة

من الالف واللام وان كان يقتضي استغراق اجناس الثنا
فيقتضي ايضا التعريف والعهد فلا يختص باحد الوجهين
الا بدليل ومن جملة ما يثني عليه سبحانه به معرفة اسما
الثنا فان الثناء لا يقع الا بعد معرفة الاسماء فانها تدل
على المسميات سواء كانوا حاضرين وغير حاضرين فان
كانوا حاضرين فيغني الثناء بالاشارة وان كانوا غير
حاضرين ولا علم لهم باسماء من غاب ويريدون الثنا على
الله بهم لا يتمكن لهم ذلك لعدم معرفتهم باسمائهم
فقد نقص من عموم ذلك الحمد ما ادعوه فقال اني اعلم ما لا
تعلمون والثناء كلام والكلام انما هو بالاسماء لا بالمسميات
وقولهم ونقدس لك يقولون ونقدس ذواتنا من جهلك
فلا يقوم بها جهل بك فيقال لهم هل تعلمون اسماء هؤلاء
فيقولون لا فيقال لهم فلما لم تقدسوا ذواتكم من جهلكم
بما ينسب الينا من هذه الاسماء فقالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا فرجعوا الى العجز وطلب العلم ولهذا صح قوله
ان كنتم صادقين في دعواكم في عموم ما ينبغي لي من الثناء
وفي تقديس ذواتكم من اجلي عن جهل بامر ما في العلم به زيادة
تعظيم في قلوبكم والدليل على ما ذهبنا اليه في هذا التفسير
والترجمة عن هذا القول قوله تعالى بعد كلامهم
وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة

فقال

فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
وما تقدم لهم في اللفظ ذكر بدعوى علم عام حتى يقال لهم هذا
الا على الوجه الذي ذكرناه واما من جعل قوله ان كنتم صادقين
في قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلا
خفاء على ذي بصيرة ما فيه من الخلل لوجود الفساد وسفك
الدماء الذي وقع من بني آدم وانما يمكن ان يكون جوابهم على
الفساد وسفك الدماء ان لو لم يقع من بني آدم شيء من ذلك
لا مشروع ولا غير مشروع فكان ما اردناه اظهر في
الترجمة فاما قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها يعني اسماء الاشياء
ثم عرضهم يعني اعيان المسميات بتلك الاسماء في حضرة من الحضرات
الوجودية ولكن لم يبين لنا اية حضرة كانت لكنه اخبر
انه وقعت الاشارة عليهم للملائكة فدل على وجود اعيانهم
للملائكة وهل كانوا موجودين لهم من حيث اعيانهم لم يتعرض
لتعريف ذلك في هذه الاية ولو قال عرضها لجاز يعني الاسماء
فيسالهم عن مدلولاتها منهم ولكن ما ذكر الا ان المعروض
هو المسميات بقوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء قالت
الملائكة **سبحانك** اي انت المنزه ان تتصف بجهل شيء
من المعلومات مثل ما اتصفنا **لا علم لنا الا ما علمتنا**
انك انت العليم بكل شيء **الحكيم** اي المرتب للاشيا
على ما ينبغي لها ان تكون ومنها جعلك هذا الانسان خليفة

فى الارض ولولا قرائن الاحوال لكان قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها استعلاما من الحق عن ذلك لا على جهة الانكار
والاعتراض ولهذا اعدلنا به الى غلبة الغيرة عليهم بما
علموه منها لفتنهم لاوامر الله وقد ارى الله الملائكة سفك
الدماء فى ذات الله والفساد فى مرضات الله وانزلهم
يوم بدر مقاتلين فقاتلوا فوقع منهم ما ذكروه مما يقع
من الانسان من سفك الدماء وفساد الاعيان عن ترتيب
ما كانت عليه بطريق متقرب الى الله تعالى فصدقهم الله
فى الواقع لانهم اهل علم وكشف وغيب عنهم كون ذلك يقع
يقع قربة الى الله قال يا آدم انبئهم يقول اعلمهم باسمائهم
فلما انبأهم اعلمهم باسمائهم قال الله للملائكة
الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
لكلام قد تقدم له سبحانه مع ملائكته لم يذكره لنا
ثم قال واعلم ما تبدون يقول ما تظهرون وما كنتم
تكتمون يقول ما هو مكتوم فيكم مما لا تعلمونه انتم
وما هو مكتوم عند كم بعضكم من بعض وهو قوله يعلم السر
واخفى فالسر ما بين العبد والحق والاخفى ما يعلمه الحق
من العبد ولا يعلمه العبد من نفسه انه يكون فيه
ثم اعلم سبحانه نبيه فقال ايضا واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم تقدم قبل هذا ان ضمير الجماعة فى جانب

الحق

الحق يعود على الاسماء من جهة ما تطلبه الحقائق فى تلك
القصة فقد انعم على آدم باشياء متفردة بايجاد عينه وبما
علمه من العلم مع انه لا يقوى فى تصفية نشأته تصفية
الملائكة فانهم مخلوقون من نور وآدم مخلوق من حمإ مسنون
ومن صلصال ثم نفخ فيه روحا ملكيا فى مثل هذه النشأة
الترابية وخلقها بيديه وهذه كلها اسباب اسماء
مختلفة النسب فكل اسم له نسبة اثر فى آدم له ان
يقول انا فاذا اجتمعت الاسماء صدق القائل ان يقول
قلنا فقال واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فاحدث لهم
خدمة بالسجود لله سبحانه من اجل خلق آدم وما انعم به
عليه حيث ابدى لهم فى وجوده من العلم بالاسماء ما لم
يكونوا يعلمون فالسجود لله وجرت العادة فى الملوك
اذا انعموا على شخص بحضور خاصته ان يخدموه بما جرت العادة
ان يخدموه به ولا سيما اذا اعاد عليهم من ذلك الشخص
منفعة من جانب الملك لهم بسببه فتكون تلك الخدمة
من اجل ذلك الشخص للملك وابى ابليس واستكبر حسدا
وظلما وعلوا للجنسية فانه رأى نفسه مخلوقا مثله من
الطبائع الاربع ورأى ان العنصر الذى غلب عليه اشرف
من العنصر الذى غلب على نشأة الانسان فهذا استكباره
واما اباته فقد نبهنا ان النارية تقتضى له ذلك

ويكون الاستثناء متصلا بوجه ومنقطعا بوجه فمن رأى
نشاءته وجنسه قال انه استثناء منقطع ومن رأى
انه في الملائكة كالمستهلك فيهم لكثرتهم واتصاله بهم في جميع
في عباداتهم ومشاركته لهم فيها جعله استثناء متصلا
ودل على انه كان مأمورا بالسجود قوله تعالى ابى ولا يقع الا
الابعد توجه تكليف وقد يكون السجود سجود تحية كسجود
ابوي يوسف واخوته له والاول اوجه بعضد ما قلناه الحديث
الصحيح قال عليه السلام لو اذن لاحد ان يسجد لاحد لاذنت
للمرأة ان تسجد لزوجها واما سجود التحية فغير منكور فيمن
تقدم وهو من فعل الاعاجم وهو هذا الانحناء الذي يكون
منهم عند التقاء بعضهم بعضا وكون السجود مكروها لغير الله
او محرما هو امر مشروع ليس لذاته بخلاف العبودية فانه
ممتنع لذاته ان يكون عبد الغير الله حقيقة **وَكَانَ
مِنَ الْكَافِرِينَ** هنا اي من الفاسقين الخارجين عن امر
الله بدليل قوله كان من الجن ففسق عن امر ربه فسماه كافرا
بذلك ثم قال **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ** الاية قال يا ادم اسكن
أَنتَ وَزَوْجُكَ يعني حواء **الْجَنَّةَ** اي اتخذها مسكنا و
منزلا وعطف زوجك على قوله انت واما تعريف الجنة
بالالف واللام فيمكن ان يريد جميع الجنات ويمكن ان يكون جنة
معينة وعلى اي وجه كانت فهو يتبوأ منها حيث يشاء

اي يسكن منها حيث شاء وحيث شئتما معمول لاسكن
بقول اسكن انت وزوجك الجنة حيث شئتما منها **وَكُلَا
رَغَدًا** اي اتسعا في عيشكما لان الرغد هو الاتساع في
العيش وهذا اوجه من ان يكون العامل في الظرف كلا
ومنها قد يكون متعلقا بكلا وقد يكون بقوله اسكن
واما في الاعراف فقد بين هنالك ان قوله فكلا هو العامل
في قوله من حيث شئتما والجمع بين الايتين اذ كانت القصة
واحدة ان المعنى اسكن من الجنة حيث شئت وكلا
من **حَيْثُ شِئْتُمَا** من ثمرها وهو معنى قوله في الزمر نتبوأ
من الجنة حيث نشاء فرفع التحجير ثم قال **وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ
الشَّجَرَةَ** عينتها الاشارة والاظهر تعيين واحدة
من الجنس ودون هذا تعيين الجنس وما ذكر الله تعالى
اية شجرة هي ولا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا
لا يدرك بالاجتهاد لكني اشير الى اللفظ بهذا الاسم وذلك
ان الشجرة مشتقة من التشاجر لتداخل اغصانها بعضها
على بعض كالمتشاجرين يدخل كلام بعضهم في كلام بعضهم
بالمخالفة والمنازعة وربما انه ما في الجنة شجرة على هذه
الصفة الا هذه وسائر شجر الجنة لا تدخل اغصانها بعضها
على بعض ولذلك ما ذكر الله تعالى في القران الا ثمرات الجنة فانه
جعلها منزل موافقة فقد يكون ان اغصانها تخرج على الاعتدال

والاستقامة وذكر ذلك في النار فقال انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم وقال والشجرة الملعونة فان جهنم دار نزاع
وتشاجر قال تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار فوصفهم
بالمخاصمة وهي المشاجرة ومنها قالت اولاهم لاخراهم
وقالت اخراهم لاولاهم وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا ولم
يقل شيء من هذا في اهل الجنة فكانه سبحانه اشار لهما
بالشجرة النهي عن مخالفته فيما نهاهما عنه وموافقته
تنبيها لهما على ذلك واخبرهما انهما ان خالفا امره سبحانه
كانا من الظالمين لانفسهما حيث عرضا بانفسهما للعقوبة
وهذا يدلك على ان لنفسك عليك حقا وكذا قالا ربنا
ظلمنا انفسنا وكان غرضنا ان نجمع في هذه السورة
ذكر قصص ادم كلها في سائر السور وهكذا كل قصة
تكرر ثم اني رايت من الادب ان الله فرقها في السور لحكمة
علمها فينبغي لنا ان نذكر الترجمة عنها في المواضع التي
ذكرها الحق من سور القران حتى لا احدث شيئا والاتباع
اولى باهل السعادة من الابتداع فنقول قال تعالى
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا الاية لما كان متعلق النهي
القرب لا الاكل لذلك عدل ابليس الى الاكل ولم يقل لهما
اقربا منها فينذكر ان نهي الله عن القرب وعلم انهما لا يقطفا

منها ثمرة حتى يقربا وهذا من علمه بمواقع الشرود ولما كانت
الشجرة المنهي قربها كان ذلك سببا لوسوسة ابليس
فضمير عنها يعود على الشجرة اي عنها صدرت الوسوسة
من ابليس لعنه الله كما سياتي ان حب الخير لسليمان عن ذكر
ربه اي صدر ذلك الحب من سليمان عن ذكر ربه ولذلك
مسح بسوقها واعناقها فرحا بها وسياتي ذلك في سورة
ص فقوله تعالى فازلهما اي ذهب بهما وازالهما والمعنى متقارب
فَأَخْرَجَهُمَا يعني ادم وحوا مِمَّا كَانَا
فِيهِ من النعيم والكرامة لسعادتهما وشقاوته ثم قال تعالى
وَقُلْنَا اهْبِطُوا الضمير يعود على ادم وحوى وابليس وجمعهم
في ضمير واحد لاشتراكهم في المخالفة فان ابليس خالف
الامر وادم وحوى خالفا النهي وقد انحصر التكليف
الذي يوجب الوعد والوعيد فعله او تركه بينهما واشتركوا
في الهبوط غير ان ادم هبط الى الارض للخلافة كما تقدم
لا عقوبة فان المؤاخذة وقعت بظهور السوآت لهما
وهبطت حوا لانها محل الولادة للتناسل واهبط ابليس
عقوبة لانه لا يعود اليها وان مصيره الى دار الشقاء
ان اشتركوا في الهبوط ولكن المقاصد مختلفة وقوله
جَمِيعًا تاكيد لم يتاخر بعضهم عن بعض ولم نستوف
تمام القصة هنا لان الله ما استوفاها هنا ويقع الاستيفاء

لها بالوقوف على تكرار ذكرها في كل سورة ان شاء الله تعالى
وقوله بعضكم لبعض عدو اي يعد وبعضكم على بعض
فيعدوا الشيطان على بني آدم بتزيين مخالفة اوامر الله ونواهيه
ويعدو بنوا آدم على الشيطان بان يردوا وسوسته في
نحره وكلامه في وجهه ويمتثلون امر الله ونواهيه
فيغيظه ذلك فهذه عداوة بني آدم لابليس واما الذين يسمعون
منه فهم اولياؤه واحباؤه ورفقاؤه في النار فالمؤمنون
كلهم اعداؤه وما عدى المؤمنين كلهم اولياؤه فالمخالفات
الصادرة من المؤمنين غير مؤثرة في ايمانهم لانهم ليسوا
على يقين من مؤاخذة الله بها فان الله قال لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولو دخل المؤمن
النار في الاخرة فكما يمرض في الدنيا ويتألم حينا ومعنى
ومقره ومآله السعادة الابدية في النعيم الدائم وليس
مقصود ابليس هذه المخالفات الواقعة من المؤمنين و
انما مقصوده الاشراك بالله وكل ما يؤديهم الى الخلود
معه في الشقا في دار البوار فاهل النار الذين هم اهلها هم
اولياء الشيطان ولهذا اسماهم الله شياطين الانس
والجن وقال من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس وقوله تعالى ولكم في الارض
مستقر يقول اقامة وقرار ومتاع يقول الاستمتاع

وهو

وهو كل ما يستمتع به من اكل وشرب ولباس ونعيم
الى حين يقول الى حلول آجالكم يقول مدة اعماركم
فان القبر اول منزل من منازل الاخرة ثم قال فتلقى
آدم من ربه كلمات الآية قرئ برفع آدم ونصب
كلمات وبالعكس اي من تلقاك فقد تلقيته فاذ
الملاقاة فعل فاعلين والاولى بمنصب آدم ان يكون
الكلمات تستقبله لوجهين الوجه الواحد التعريف
بعناية الله بحيث اعطاه ما اداه استعماله الى
اعادة السعادة اليه والوجه الثاني التعليم لانه ليس
له ان يدعوه بنية التقريب والقربة الا بوحي
منزل عليه فاذا رفعت آدم فمن حيث انه استقبل
الكلمات حين استقبلته من عند الله ويحتمل عدم
ذكر واسطة الملك انه سبحانه اوحى اليه بها منه
اليه بلا واسطة تشريفا له وتعريفا بالحال ان الوصلة
بيني وبينك ما انقطعت بمخالفتك نهيي والاظهر
في ماهية الكلمات انها المذكورة في سورة الاعراف
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين فلما قال آدم الكلمات التي تلقاها من ربه اخبر
تعالى انه تاب عليه اي رجع عليه بالسعادة بان مآله بعد
موته الى الجنة في جوار الرحمن انه هو التواب الرحيم

الرجاع بالرحمة على عباده وهو الذي يكثر منه الرجوع في
مقابلة كل مخالفة تقع من العبد لان كل مخالفة خروج
فاذا عاد العبد بالاستغفار وطلب الرحمة من الله عند
كل ذنب عاد الحق اليه بالرحمة والمغفرة فلذلك جاء
ببنية المبالغة في التواب **قلنا اهبطوا منها جميعا**
فاما يأتينكم مني هدى الى قوله خالدون كرر
الهبوط لانه فصل بين الهبوط المذكور اولا وبين ما
له من اتيان الهدى بالكلام الذي قد تقدم من العداوة
والاستقرار والتمتع فطالت القصة وبعد الذي اهبط
له منه فكرر الهبوط ليدل ايضا على الفصاحة والاعجاز
حيث زاد الكلام تكراره جمالا وبلاغا تعرف ذلك فصحاء
الاعراب لا نحن فقال تعالى **فاما يأتينكم مني** هذا شرط
وجوابه الشرط الثاني وجوابه وهو قوله **فمن تبع هداي**
فالفاء جواب الشرط الاول **فلا خوف عليهم** فالفاء جواب
الشرط الثاني الذي هو من فصيح الكلام اهبطوا فان جاءكم
مني هدى واتبعتموه فلا خوف عليكم والفاء في فاما
جواب الامر وجاء بلفظة الشك مع تحقق اتيان الهدى
عند الله لكن في نفس الامر هو من الممكنات فيستوي بالنظر
اليه الطرفان وجود الاتيان وعدمه وتارة يرد الخطاب
بما هو الكائن في علم الله وتارة يرد الخطاب بما هو الامر عليه

في نفس

في نفسه فيؤذن بان ذلك الاتيان ليس بواجب على
الله اذ لا يجب عليه شيء كما يقوله مخالفو اهل الحق مع انا لا نمنع
ان يوجب على نفسه فمن جملة الهدى الذي جاءه من عند الله
تلقي الكلمات ولذلك الهبوط الثاني هو الهبوط الاول عينه
ثم قال فمن تبع هداي اي من اتبع ما شرعت له على حد ما شرعت
ارتفع عنه خوف العذاب ولم يحزن ولم يذكر الجنة ولا
الخلود كما ذكر فيمن كفر وكذب باياته لان اهل السعادة
على قسمين قسم يعملون لما يقتضيه حق الربوبية وهم
الاعلون وقسم يعملون لاجل الجنة وهم دونهم ولهؤلاء
خوف الحجاب ولهؤلاء خوف فقد النعيم وحزنه فذكر ارتفاع
الخوف والحزن لكونه يعم الطائفتين ولم يذكر الجنة لئلا
ييأس الاعلون من الطائفتين فتهمم الحق بهم اذ كانوا الطبقة
العليا والهدى هنا ما بينه لهم في التعريف المنزل المشروع
لهم ثم قال **والذين كفروا** اي ستروا على ما تقدم في اول
السورة في قوله ان الذين كفروا وقوله **وكذبوا** يريد المعاندين
وغير المعاندين **باياتنا** اي بالعلامات التي جعلناها
ونصبناها ادلة على القربة الينا ومعرفتنا وفي كل شيء
له اية يدل على انه واحد غير ان الايات على قسمين معتادة
وغير معتادة فارباب الفكر والمستبصرين الموفقون هي
عندهم سواء يتخذونها ادلة وما عدى هؤلاء فلا يتخذ

الرجاع بالرحمة على عباده وهو الذي يكثر منه الرجوع في
مقابلة كل مخالفة تقع من العبد لان كل مخالفة خروج
فاذا عاد العبد بالاستغفار وطلب الرحمة من الله عند
كل ذنب عاد الحق اليه بالرحمة والمغفرة فلذلك جاء
ببنية المبالغة في التواب **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا**
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى الى قوله خالدون كرر
الهبوط لانه فصل بين الهبوط المذكور اولا وبين ما
له من اتيان الهدى بالكلام الذي قد تقدم من العداوة
والاستقرار والتمتع فطالت القصة وبعد الذي اهبط
له منه فكرر الهبوط ليدل ايضا على الفصاحة والاعجاز
حيث زاد الكلام تكراره جمالا وبلاغا تعرف ذلك فصحاء
الاعراب لا نحن فقال تعالى فاما يأتينكم مني هذا شرط
وجوابه الشرط الثاني وجوابه وهو قوله **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ**
فالفاء جواب الشرط الاول **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ** فالفاء جواب
الشرط الثاني الذي هو من ضمن الكلام اهبطوا فان جاءكم
مني هدى واتبعتموه فلا خوف عليكم والفاء في فاما
جواب الامر وجاء بلفظة الشك مع تحقق اتيان الهدى
عند الله لكن في نفس الامر هو من الممكنات فيستوي بالنظر
اليه الطرفان وجود الاتيان وعدمه وتارة يرد الخطاب
بما هو الكائن في علم الله وتارة يرد الخطاب بما هو الامر عليه

في نفسه

في نفسه فيؤذن بان ذلك الاتيان ليس بواجب على
الله اذ لا يجب عليه شيء كما يقوله مخالفوا اهل الحق مع انا لا نمنع
ان يوجب على نفسه فمن جملة الهدى الذي جاءه من عند الله
تلقي الكلمات ولذلك الهبوط الثاني هو الهبوط الاول بعينه
ثم قال فمن تبع هداي اي من اتبع ما شرعت له على حد ما شرعت
ارتفع عنه خوف العذاب ولم يحزن ولم يذكر الجنة ولا
الخلود كما ذكر فيمن كفر وكذب باياته لان اهل السعادة
على قسمين قسم يعملون لما يقتضيه حق الربوبية وهم
الاعلون وقسم يعملون لاجل الجنة وهم دونهم ولهؤلاء
خوف الحجاب ولهؤلاء خوف فقد النعيم وحزنه فذكر ارتفاع
الخوف والحزن لكونه يعم الطائفتين ولم يذكر الجنة لئلا
ييأس الاعلون من الطائفتين فتعمهم الحق بهم اذ كانوا الطبقة
العليى والهدى هنا ما بينه لهم في التعريف المنزل المشروع
لهم ثم قال **وَالَّذِينَ كَفَرُوا** اي ستروا على ما تقدم في اول
السورة في قوله ان الذين كفروا وقوله **وَكَذَّبُوا** يريد المعاندين
وغير المعاندين **بِآيَاتِنَا** اي بالعلامات التي جعلناها
ونصبناها ادلة على القربة الينا ومعرفتنا وفي كل شيء
له اية يدل على انه واحد غير ان الايات على قسمين معتادة
وغير معتادة فارباب الفكر والمستبصرين الموفقون هي
عندهم سواء يتخذونها ادلة وما عدى هؤلاء فلا يتخذونها

الا فى الايات الغير معتادة فيحصل لهم استشعار الخوف
فيردهم ذلك القدر الى الله قال تعالى وكاين من اية فى السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ثم ان الذين يتخذون
الغير معتادة اية منهم من يخلصها دليلا على الله ومنهم من
يشرك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون لمعرفتهم
بالاسباب المولدة لتلك الايات كالزلازل والكسوفات
وما يحدث من الاثار العلوية فالله ينور بصائرنا ويرزقنا
التوفيق قال تعالى **اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**
باقون وقوله اصحاب النار اى اهلها كما ورد فى الصحيح اما اهل
النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون وقال
فى الذين يخرجون منها ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم او قال
بخطاياهم واماتهم الله فيها اماتة ثم ذكر خروجهم من النار
الحديث بكماله فعم سبحانه بقوله الذين كفروا وكذبوا جميع الاشقياء
واما قوله اهبطوا فحظ ابليس من هذا الهبوط لما تكبر وعلا
عند نفسه لان اصله من لهب النار ولهب النار ابدا يطلب
العلو فلهذا تكبر ولما كان لهبا كان اذا جاءه الهواء من
اعلاه عكس راس اللهب الى السفل قسرا وقهرا كذلك
ابليس لما جاءه هواه من تكبره على آدم لنشاته عكسه الى الارض
فاهبط ولم يقف الامر هنا بل اهبط الى اسفل سافلين فى دار
الخزي والهوان فهواه اهبطه ولما كانت الملائكة نورا

عمت

عمت جميع الجهات فلا اثر للهوا فى النور الا ترى النور الذى
فى الشمس والسراج وفى كل جسم مستنير نسبته الى
العلو والسفل والجنبات نسبة واحدة والملائكة مخلوقون
من النور فلا اثر للهوى فيهم فلا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ولما غلب على ادم فى نشاته التراب وله السكون
بخلاف لهب النار ثبت على عبوديته وتواضعه فسعد وكان
هبوطه رجوعا الى اصله وسياتى الكلام ان شاء الله على
نشاته فى موضعها ان شاء الله وكونه من حماءٍ مسنون ولهذا
يتغير كل ما يحل فيه من الاطعمة والاشربة ويستحيل الى
الروائح القبيحه ويندرج فى هذا الكلام النشاة الاخرة وبيان
استحالة ما يحل فيها من الطعام والشراب الى الروائح الطيبة
وتحقيق ذلك فى موضعه ان شاء الله **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** الاية
اضافهم الى يعقوب فهو اسرائيل اى صفوة الله **اُذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ** وقد ذكر الله ما انعم الله به على
بنى اسرائيل من المن والسلوى وتفجر الماء من الحجر ومشيهم على
البحر وانجائهم من عدوهم وتظليل الغمام وغير ذلك فان الله
يمن على عباده بما يمتن عليهم من المنن الجسام ولذا سميت
منناً وليس للعباد ان يمتنوا لان النعم ليست الا لمن خلقها
فلهذا كان المن من الله محموداً لانه ينبه عباده بما انعم عليهم
ليرجعوا اليه وكان مذموماً من العباد لانه كذب محض قال تعالى

يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان ثم قال تعالى لهم وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ اي اوفوا بما اخذت عليكم من الميثاق كما اخبرنا
بذلك لنسمع حتى نفي بما عاهدنا عليه الله وهذا من لطفه
سبحانه بنا في الخطاب فهو مثل القائل
إِيَّاكِ أَعْنِي فَاسْمَعِي يَا جَارَهْ
فهذا التكليف بتعريف وقوله اوف بعهدكم جزاءٌ بطريق
المناسبة وفاءً بوفاء فانه عهد الينا اذا امنا به ووقفنا
عند حدوده ان يدخلنا دار كرامته في جواره وينجينا من
عذابه قال عليه السلام فمن جاء بهن يعني الصلوات لم يضيع
من حقهن شيأ كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة
ومن لم يأت بهن استخفافا بحقهن فليس له عند الله عهد
ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة فجعل العبد عهدا عنده
سبحانه وقوله وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ من الرهب والرهبانية
وان كانتا ترجعان الى معنى واحد يقول فاياي فخافوني و
فاعبدوني ولهذا رفع عنهم الخوف في قوله لا خوف عليهم
وهو خصوص وصف في العبودية ثم قال وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
الآية الضمير في امنوا يحتمل ان يعود علينا وعلى غيرنا من
اهل الكتاب وغيرهم لانه قال وامنوا بما انزلت مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ مصدقا حال لانزلت قلنا من هذا الخطاب

الايمان

الايمان بما انزل لمن قبلنا لما معنا مما انزل الينا وهو القرآن
ولاهل الكتاب من هذا الخطاب وامنوا بما انزلت على محمد
مصدقا لما معكم مما انزلته عليكم ولغير اهل الكتاب وامنوا بما انزلت من كل كتاب
مصدقا لما معكم من الادلة والبراهين على وحدانيتي
في الوهيتي وما ينبغي لي من صفات الجلال فيكون ايمانكم بما
انزلت مصدقا لما معكم من العلوم المستفادة من البراهين
فهو خطاب يعم الجميع وهذا من جوامع الكلم وقوله وَلَا تَكُونُوا
أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ صفة لمحذوف يعني كل مخاطب به في كل زمان
حتى يبقى العموم في الضمير على اصله فيكونون اولا في اهل
زمانهم في الكفر به اي بما انزل قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وان كان له وجود قبل مجيئه اليهم وقوله وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا لما كانوا هم اهل الكتاب
حيث انزله الحق اليهم فصار ملكا لهم ولما كان الكتاب
حاكما عليهم بالانقياد والسمع والطاعة لمن جاء به
وهو الرسل وفي المخاطبين رؤساء واكابر وممن يسمع له
ويطاع صعب عليهم ان ينقادوا لما امرهم به في الكتاب
المنزل فاستبدلوا به رياسة الدنيا فان البيع والشراء
استبدال ومعاوضة فاختاروا رياسة الدنيا على رياسة
الاخرة التي اعطتهم اتباع هذا الكتاب فاقام الايات مقا
مقام ما تدل عليه من رياسة الاخرة وعزها لمن عمل بها

فكانوا كمن اشترى الحصى و الياقوت والتراب بالمسك و
العنبر وجعله ثمنا قليلا لكونه ينقطع بالموت او بالعزل و
ورياسة الاخرة باقية دائمة ثم قال **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**
اي اتخذوني وقايتة وهو قوله اتقوا الله قال صلى الله عليه وسلم
اعوذ برضاك من سخطك فجعل الرضا وقاية من السخط وقال
وبمعافاتك من عقوبتك فجعل المعافاة وقاية تحول بينه
وبين العقوبة ولما عزت اسماء الحق تعالى ان تنخرط مع الاثار في
سلك واحد قال وبك منك وانما احدث لها استعاذة
اخرى فقال عليه السلام واعوذ بك فجعله وقاية وليس
له سبحانه ما يقابله والاستعاذة تستدعي مستعاذا منه
فقال منك فجعله سبحانه في مقابلة نفسه اذ لا مثل له وهو
قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فهو المتكبر
سبحانه الجبار والعبد اذا اتصف بما تناقض حقيقته من
اوصاف العظمة والكبرياء التي تستحقها الربوبية فلهذا قال
منكر لي ان اكون متكبرا جبارا فهو يستعيذ من كبريائه
بكبريائه سبحانه ثم قال تعالى **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**
الآية يقول لا تخلطوا الحق بالباطل وهو قوله سبحانه عنهم
نؤمن ببعض وهو الحق ونكفر ببعض وهو الباطل فخلطوا بينهما
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ حال من الضمير وهو الاوجه اي لا تلبسوا الحق

بالباطل كاتمين للحق يؤيد هذا قوله **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**
انه الحق قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وان فريقا منهم وهم هؤلاء ليكتمون الحق وهم يعلمون
يقول ان الحق ابلج لا لبس فيه لقوة الدلالة عليه ولذلك
قال ذلك الكتاب لا ريب فيه اي لا شك ولا لبس
فهم يتخيلون ان الحق يختلط بالباطل وليس كذلك ولذلك
كثيرا ما يصف سبحانه الآيات انها بينات ومبينات
اسم فاعل واسم مفعول وهو قوله وانتم تعلمون انه الحق وانه
لا يلتبس فهما معلومان لهم ثم قال **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**
الآية تقدم الكلام في اقامة الصلوة في اول السورة **وَآتُوا**
الزَّكَاةَ المفروضة عليكم التي يؤدي اعطاؤها الى نمو
اموالكم وزيادتها والى تطهيركم مما يلزمكم من امساكها وقوله
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ اي صلوا في الجماعة ففي ذلك
الحث على حضور الجماعة في الصلوة وان كان الضمير يعود
على اهل الكتاب فان صلوتهم على ما قيل لا ركوع فيها فيقال
لهم صلوا صلوة المسلمين وقد يريد اركعوا اي انقادوا
لهذا الدين كانقياد المؤمنين اذ الركوع الانقياد والخضوع
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ الآية خطاب لكل من امر بالبر
ولم يعمل به البر الاحسان اجمعه وكل من احسن لمن امر بالاحسان
اليه فقد احسن لنفسه والامر بالاحسان من الاحسان فقال تعالى

منكرا على من يأمر بالاحسان ولا يأتيه اتأمرون الناس
اي غيركم بالبر اي بالافعال الحسنة وتنسون انفسكم
اي وتتركون انفسكم يقول لا تأمرون انفسكم بالفعل الحسن
وانتم تتلون الكتاب اي تجدون في الكتاب اذا قرأتموه
انكم مخاطبون بان تأتوا البر في كل حال افلا تعقلون يقول
اليس لكم عقل تفهمون به عن الله ما انزل في كتابه اليكم والنسيان
الترك عن غفلة فكانه يقول وتغفلون عن انفسكم واذا لم يكن
عن غفلة فهو التناسي واستعينوا بالصبر الآية لما كان
من قول العبد فيما شرع له واياك نستعين بين الحق له ما يقع
له به المعونة على عدوه ابليس فقال لعباده واستعينوا على
عدوكم بالصبر يقول بحبس نفوسكم على طاعتي وامتثال
ما امرتكم به ونهيتكم عنه مطلقا فان ذلك مما يقمع عدوكم
والصلوة فانه ما ثم عبادة ذكر فيها انه فيها مناج ربه
غير الصلوة فلهذا اخصها بالذكر دون جميع الاعمال ليثابر
العبد عليها فيكون ممن قال الله والذين هم على صلوتهم دائمون
وفي مواضع اخر على صلواتهم يحافظون فان الشيطان لا يتمكن
له التمكن من قلب العبد في حال مناجاته لان انوار هيبة الحضرة
تحرقه ولقد يشاهد هذا فيمن يحادث منا ملكا عظيما ذا جلال
وكبرياء لا يقدر احد يقطع عليه كلامه ولا يدخل بينه وبين الملك
لما تقتضيه الحضرة من الهيبة والجلال فجناب الحق اولى بهذه الصفة

ولهذا جاء ابليس لعنه الله الى النبي عليه السلام بقبس من نار
فرماه في وجهه وهو في الصلوة لما لم يكن له سبيل الى قلبه لما
ذكرناه من حضوره مع الحق ومناجاته ثم قال وانها لكبيرة الا
على الخاشعين يقول ان المتكبرين يستكبرونها حيث تنزلهم
عن كبريائهم واما الخاشع فمطمئن وخضع وذل لانه تجلى
الحق على قلبه في كبريائه وعظمته فلا يكبر على الخاشع الوقوف
عند اوامر سيده ثم وصفهم فقال الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم الآية العلم القطع على احد الامرين والشك التردد
بين الامرين من غير ترجيح والظن ترجيح احد الامرين من غير قطع
فالظن هنا على بابه وله وجهان هنا الوجه الواحد ان المؤمنين
قاطعين بانهم الى ربهم راجعون فانه قال واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فالكافر والمؤمن كلهم يرجعون الى الله غير انه
ما كل من يرجع اليه يلقاه قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فلهذا قيل فيهم انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يغلب على ظنهم
ان الله بكرمه يختم لهم بما هم عليه من اعمال اهل السعادة فيكونون
ممن يلقى ربه والوجه الآخر انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم من
حيث هذا الاسم فان العبد المطيع لسيده يغلب على ظنه
ان سيده لا يلقاه بمكروه فان مدلول هذا الاسم خير كله
فانه يجوز ان يلقوا يوم القيمة الاسم المنتقم والضار فلا دليل
والمعرفة حكمت عليهم بان يظنوا فان عاد الضمير في اليه راجعون

فتكون واو العطف تشرك في الظن وان كان الضمير يعود عليه
من كونه الها فيكون وانهم اليه راجعون الواو بمعنى مع
اي مع علمهم بانهم اليه راجعون وقد تكون الجملة في موضع الحال
تقدير الكلام يظنون انهم ملاقوا ربهم في حال رجوعهم اليه
الذي لابد منه ثم قال يا بني اسرائيل اذكروا الآية ذكرهم
بهذا النسب نعمته عليهم فيه حيث نسبهم بالبنوة الى
صفوته وهو يعقوب وحظنا من هذا التعريف ان نذكر نعمته
علينا ايضا فلهذا اعرفنا فقال اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
ولها وجهان اذكروا اي تذكروا لا تغفلوا ولا تنسوا ذلك
والوجه الآخر اذكروا من الذكر اي تحدثوا بما انعمت عليكم وقال
تعالى واما بنعمة ربك فحدث والنعم التي انعم بها على بني اسرائيل
مذكورة في القرآن فلا احتاج الى ذكرها وقوله واني فضلتكم
على العالمين فيه انباء لنا ان نذكر ذلك في قوله كنتم خير
امة اخرجت للناس واما قوله لبني اسرائيل انه فضلهم على العالمين
اي زادهم امورا ظهرت عامة لم يعط عمومها لسائر الملل فان
لخواص هذه ما اعطي سائر الامم من الكشف وطي الارض والمشي
على الماء وفي الهواء وتظليل الغمام والطير وتسخير الرياح وتفجير
المياه وقد راينا كثيرا من هذا على المنقطعين من عباد الله
في حال سياحاتي وطلبي الاجتماع بهم وكان ذلك في بني
اسرائيل يظهر للعام والخاص فالفضيلة في هذا ثم قال

واتقوا يوما لا تجزي الآية الخطاب عام لجميع العباد
فالضمير عام وقوله يوما يريد يوم القيمة وفي الحقيقة الايام
كلها بهذه المثابة فانه ما اراد الله امضاه في خلقه لا تقتضيه
نفس عن نفس شيا وقوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا هو قوله
انهم لن يغنوا عنك من الله شيا بل كل نفس بما كسبت رهينة
وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى
وقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فذلك يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه وقوله ولا يقبل منها شفاعة
اي من شفع من اجلها لا تقبل شفاعته فيها فانهم في ذلك
اليوم يعرفون بل عند موتهم انهم ليسوا ممن يقبل كلامهم
فثبت ما قلناه وهو قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
وقوله ولا يؤخذ منها عدل يقول فداء تعريفا لهم هنا
وهو قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى
به وقوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا
وقوله ولا هم ينصرون هو قوله وان الكافرين لا مولى لهم
اي لا ناصر لهم فان الآخذ هو الله ولا مفر منه سبحانه
ان بطش ربك لشديد وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
واذ نجيناكم من آل فرعون الآية ثم رجع الى ذكر ما انعم
به عليهم فقال واذكروا اذ نجيناكم قوله يا بني اسرائيل وغير

الخطاب يحتمل ان يكون من الله اخبارا لنا على الحكاية بما
خاطبهم به في زمانهم بما انعم عليهم ويمكن ان يكون الضمير
يعود على بني اسرائيل الحاضرين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم
يعدد عليهم ما انعم به على اسلافهم ومن مضى من ابائهم في زمان
موسى عليه السلام وقد يكون للحاضرين هذا الخطاب
حيث انعم عليهم اذ لم يوجدهم في زمان من اولى اسلافهم سوء
العذاب قد يكون ذلك كله مراد الله تعالى في الخطاب والله اعلم
وقوله تعالى من آل فرعون ولم يقل من فرعون لان آله كانوا
المباشرين لعذابهم ولم يكن لفرعون الا الامر بذلك وكذا جرت
العادة في الرؤساء والملوك ولهذا جوزوا فقال تعالى ادخلوا
آل فرعون الذين تولوا عذابهم اشد العذاب في مقابلة سوء
وقرئ بكسر الخاء فقد يمكن ان يقال لبني اسرائيل يوم القيمة
ذلك ليولوهم اشد العذاب بأنفسهم كما فعلوهم بهم في
الدنيا حين ساموهم سوء العذاب وآل الرجل اهله وخوله
وانصاره واتباعه سمعت شيخنا الامام اوحد زمانه في
معرفة كلام العرب ابا ذر مصعب بن محمد بن مسعود
الخشني الخطيب يقول الآل لا يضاف الا للاكابر الزعماء
واما من دونهم فيقال اهل فلان وقوله **يَسُومُونَكُمْ** يقول
يولونكم ما يسوؤكم من العذاب فمن ذلكم قتل اولادكم ذبحا
وجعل ابقاء النساء عذابا لهم مع ان ابقاءهم ينبغي ان يكون

من فرعون نعمة عليهم وذلك ان الرجل في الغالب يسرع
اليه ذهاب الحزن منه بخلاف النساء فابقى النساء حتى
يجددهم على الاباء العذاب بما يجدونه من الحزن لحزن نسائهم
وبكائهم على اولادهم دائما وشغلهم بذلك عن مصالح ازواجهن
فيتجدد العذاب عليهم هذا يسوغ في ابقاء الامهات
واما ابقاء الاناث فيزيد بذلك من قتل ولده حسرة الى
حسرته وحزنا الى حزنه ثم قال تعالى **وَفِي ذَلِكُم** خطاب لنا
بَلَاءٌ اي ابتلاء **عَظِيمٌ** لتشكروه او تكفروه كما قال سليمان
ليبلوني أأشكر ام اكفر فكل عذاب في الدنيا يكون بلاء اذ كانت
دار اختبار ان هذا لهو البلاء المبين واما في الدار الاخرة
فلا يقال له بلاء وانما هو عذاب خالص ولهذا اما اظن والله اعلم
ان الله ذكر عذاب الاخرة بلفظ البلاء على اني ما بحثت على ذلك
لما لم تكن دار تكليف وكان سبب قتل الابناء انه رأى ورؤي
له ان مولودا من بني اسرائيل يولد في دولته يكون هلاكه و
هلاك اتباعه على يديه ثم من نعمة الله على بني اسرائيل قوله
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ الآية وهذا مما يؤيد ما ذكرناه انه
سبحانه يحكي ما خاطبهم به في زمانهم من تقرير النعم عليهم
فمن ذلك واذ فرقنا بكم اي بسببكم البحر لتنجوا من عدوكم وزال
البحر بعضه عن بعض وافترق فظهرت الارض وسكن البحر عن جريته
فانجيناكم مما اهلكنا به عدوكم فان رأيتهم لذلك الطريق

غرقهم فاتبعوكم حتى غشيهم من اليم ما غشيهم فانطبق البحر
عليهم فاهلكهم وانتم تشهدون ذلك ولهذا وجه في انتم تنظرون
وهو انه خرج من الحكاية الى الخطاب للحاضرين من بني اسرائيل
وذلك بان يكون تنظرون بمعنى تنتظرون فقال لهم وانتم
تنظرون اى تنتظرون ان يحل بكم ان لم تؤمنوا بمحمد ما حل بآل
فرعون لما لم يؤمنوا بموسى فاما نسب موسى فهو موسى بن عمران
بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
خليل الله وقيل سمي موسى لانه وجد التابوت الذى كان فيه
بين الشجر في الماء والمو بالقبطية الماء والشا الشجر فركبوا
من ذلك اسم موسى واما فرعون فقالوا اسمه الوليد بن مصعب
وقالوا مصعب بن الريان ثم ذكر من النعم قوله واذ واعدنا
موسى اربعين الايتان لما كان من نعم الله عليهم ما انعم
به على رسولهم اذ لهم الشرف بذلك ذكر جملة النعم مواعدته
لموسى في مناجاته فقال واذ واعدنا فعلا على بين وهو اتم في
التشريف حيث قرنه بنفسه في المواعدة وكذا نزلت وتليت
وقد قرانا وعدنا بغير الف فهو الوعد من جانب الحق تعالى خاصة
وهذا انزه والاول اشرف في حق موسى وقوله اربعين ليلة
يمسك عنده فيها مناجيا مقربا ويحتمل انه بعد انقضاء الميقات
يكون الكلام ليس في هذه الآية دليل على ترجيح احد الوجهين
وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اى من بعد ما فارقكم وجاء

لميقاتنا الذى وعدناه وانتم ظالمون انفسكم اي ظلم
بعضكم بعضا حيث لم يأخذ بعضكم على بعض ولا نهى بعضكم
بعضا في اتخاذكم العجل الها من دون الله ثم عفونا عنكم من بعد
ذلك اشارة الى الاتخاذ اي لم ندخر لكم العقوبة الى الآخرة
وجعلنا عقوبتكم في الدنيا وفرضنا لكم التوبة وهو الرجوع
من شرككم الى توحيد الله كما سيأتي ثم قال لعلكم تشكرون
على هذه النعمة في قبول التوبة ورفع العقوبة عنكم في الآخرة
وقد تدخل نحن في قوله لعلكم تشكرون حيث قصصنا عليهم
ما كان منا في حق الامم من قبلكم فتشكرون نعمة الله عليكم
حيث عافيناكم مما ابتلينا به من كان قبلكم وسنأتي على شرح
هذه القصة في مكانها من الاعراف وطه ثم قال واذ آتينا
موسى الكتاب الآية ومن النعم ايضا على نبيكم موسى
وعليكم ان آتيناه اي اعطيناه وانزلنا عليه الكتاب يعني
التوراة يقول الجامعة لما فيه سعادتكم ان علمتم بها والفرقان
فيها اى وكتبت الفرقان فيها وهو تبعيض ما فيها يقول جعلت
لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل لعلكم تتبينوا ذلك
عند تلاوتكم اياها فتعملون عليه ثم من نعمه قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه يا قوم الآية فنبههم على ذنبهم
وعلى ما شرع الحق في ذلك فقال واذ قال اي يا بني اسرائيل
واذكروا ايضا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل

فاضا فهم اليه وان كانوا قد كفروا وخالفوا دينه يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم اي ظلم بعضكم بعضا حيث لم يرده
عما شرع فيه من مخالفة امر الله باتخاذكم العجل الها من دون
الله فهؤلاء كفار ولبسوا بمشركين ان كانوا لم يتخذوه شريكا
ثم قال فتوبوا الى بارئكم فارجعوا الى الذي خلقكم وبرأكم فان
العجل ما يخلق شيئا فذكر اخص وصف الاله ليدل ان الخلق
لا يكون الا لله خلافا للمخالفين اهل الحق الذين ينسبون الخلق الى
غير الله فاقتلوا انفسكم اي فتوبتكم ان يقتل بعضكم بعضا
عقوبة لكم مناسبة كما لم يرد بعضكم بعضا عن عبادة العجل
وكما لم يرد بعضكم بعضا في ذلك لظلمة الجهل التي عمت بصائركم
كذلك انزل عليكم ظلمة حتى يقتل بعضكم بعضا فيها فارسل
الله عليهم ظلمة بحيث لا يبصر بعضهم بعضا وتقاتلوا
فيها حتى رفع الله عنهم ذلك وقصتهم في التاريخ مذكورة
وغرضنا التنبيه والايجاز وما يدل عليه اللفظ وكيفية
الوقايع موقوف على كتب التاريخ ولو وصلت الينا من طرق
صحاح ربما ذكرناها ومما ظهر لنا ايضا في ارسال الظلمة عليهم
في وقت قتالهم لئلا يدرك الرجل رأفة في ابيه او ابنه او اخيه
او ذي قربى فيؤديه ذلك الى الفتور في اقامة حد الله الذي شرع
لهم كما ورد في شرعنا في جلد الزاني والزانية ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله وهذا ايضا من اكبر النعم على

بني اسرائيل

بني اسرائيل وقال تعالى ذلكم خير لكم عند بارئكم
اي التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم فاضافهم الى الباري
عقيب القتل ليتنبهوا على الاعادة ورجوع الحيوة اليهم
ونبههم ايضا بذلك على انهم شهداء فهم احياء عند ربهم
يرزقون فتاب عليكم اي رجع عليكم برحمته
التي كان الكفر قد سلبها عنكم انه هو التواب الرجاع
الرحيم بالرحمة اليكم وقد تقدم تفسير التواب في قصة
آدم ثم اردف ايضا هذه النعم بنعمة اخرى فقال تعالى وجل
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك الى قوله تشكرون
قص الله علينا هذه الامور ليري الله تعالى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ما قاسى موسى من امته فيعزي نفسه بذلك
قال تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وقال وموعظة وذكرى لنا لنشكر الله على ما اولانا
من نعمه حيث امنا واستسلمنا ولم نكلف نبينا ان يسال
ربه شيئا مثل ما كلفت الامم رسلها فنشكره سبحانه على
هذه النعمة اذ لو شاء لالقى في قلوبنا ما القاه في قلوب الامم
قبلنا ولهذا نشرك انفسنا معهم في الضمير المذكور في قوله
لعلكم تشكرون فقال تعالى اخبارا عن بني اسرائيل
والعامل في اذ كما تقدم في امثاله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن
لك اي لن نصدق بك حتى نرى الله جهرة فالعامل في جهرة

يحتمل ان يكون قلتم ويحتمل ان يكون العامل نرى وهذا من
اعظم ما اجترؤا به على الله تعا واعظم ما كلفوه لموسى فعاقبهم
الله بان ارسل عليهم صاعقة امراً من السماء هائلا
لم ينقل الينا من طريق صحيحة ما كان ذلك الامر فاخذتهم
الصاعقة جهرة وهو قوله **وانتم تنظرون** قال **ثم بعثناكم**
من بعد موتكم اي من بعد ما صعقتم فقد يكون موت
غشي وقد يكون موتا حقيقة والاقرب ان يكون موت
غشي وصعق لان الله يقول لا يذوقون فيها يعني في الجنة الا
الموتة الاولى فافردها وليس بنص ولكن يتقوى به وجه
التأويل على هذا المعنى وسنومي في احياء من مات في ضرب
الميت بالبقرة فحيي ما كانت تلك الحيوة وفي كل حي يحيي في الدنيا
بعد موته قبل حيوة البعث فانه سر لطيف لا يدرك الا من
جهة الكشف ثم قال **لعلكم تشكرون** خطابا لنا ولهم
فهذا تعريف يتضمن تكليفا بالشكر ومن النعم قوله
وظللنا عليكم الغمام الآية لما دعا موسى على قومه
بالتيه حين قالوا ما ذكر في سورة المائدة قال اصحابه لموسى
به ما يقينا من حر الشمس في هذا التيه فظلل الله عليهم الغمام
وهو الضباب والسحاب فقالوا ما ناكل فانزل الله عليهم المن
وهو هذا الذي ينزل على الشجر ويجمعه الناس جعل الله لهم
فيه غذا وهو المعروف عندنا وقد قيل فيه انه شي شبه الخبز النقي

وقيل شبه الذرة واما السلوى فهو طائر واحده
سلواة فقال تعا وظللنا عليكم الغمام **وانزلنا عليكم المن**
والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
من جعل من للتبيين جعل الطيبات الحلال من الرزق واطلق
الرزق على الحلال والحرام ومن جعل من للتبعيض يريد التقليل
من الاكل وهو مشروع جعل الرزق هنا الحلال فان الله
نهى عن اكل الحرام في غير ما موضع من كلامه في كل كتاب
وقوله **وما ظلمونا** اي وما تضررنا بمعصيتهم ولا بمخالفتهم
اذ كان كل مظلوم متضررا **ولكن كانوا انفسهم**
يظلمون اي ما يكون من الضرر في ذلك يعود عليهم
وهذا يدلك ايضا على انه لنفسك عليك حق وهو ان
تسلك بها سبيل النجاة فاذا لم تفعل فقد ظلمتها واورثتها
الضرر والشقاء ثم قال تعالى **واذ قلنا ادخلوا هذه**
القرية الآية ومن نعمه ايضا عليهم بعد ان فرغوا من
اقامتهم في التيه ان قال لهم ادخلوا هذه القرية يعني
بيت المقدس او اريحا ما ثبت عندنا اية قرية هي غير انا
زرنا قبر موسى عليه السلام على قرب من اريحا على قارعة
الطريق الكبرى وقرب من الكثيب الاحمر بارض يقال لها
الريصا ظاهر حجارتها ابيض وباطنها اسود نفطية كنا
نوقدها كما يتقد النفط ورائحتها كرائحته وفيها دهن

والقبر على يمين الطريق اذا طلبت اريحا ثم قال **فَكُلُوا**
مِنْهَا الضمير يعود على القرية **حَيْثُ شِئْتُمْ** اي مما فيها
فاباح لهم الدخول والاكل كيف شاؤا ومما شاؤا وحيث
شاؤا **رَغَدًا** في اتساع عيش من غير تضييق ولا تحجير
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا كلفهم التواضع عبادة بالسجود
عند الدخول **وَقُولُوا حِطَّةٌ** بالرفع اي قولوها كما امرتم
حكاية على الرفع وحطة مثل قِعْدة وجِلسة وقد يكون دعاء
اي حُطّ عنا ذنوبنا حطة وقد يكون المعنى اذا دخلتم
سجدا او فرغتم من عبادتكم فحطوا اي انزلوا رحالكم حطة
ومعناه يتداعوا بها على الرفع بينهم حطة حطة ليحطوا
فاذا فعلتم ذلك **نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** جمع خطيئة
وهو ما كان منكم مما تقدم مما ذكرناه من الذنوب **وَ**
سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ احسانا على احساننا لهم لكونهم
ما خالفوا امر الله واحترموا جانب الحق قال تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة فان تركهم للمخالفة زيادة عمل
مشروع اذا اقترنت به نية الترك وسواء كان الترك لمباح
او ندب او فرض على انه عندنا اذا اتى المباح من حيث انه
مباح شرعا اجر **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا** الآية قيل لهم قولوا
حطة فبدلوا قيل المعنى فاستهزؤا وقيل اللفظ فقالوا
حِطًّا سُمْقًا بالقبطية معناه حِنطة حمراء استهزاء

فعاقبهم

فعاقبهم الله على ذلك فقال **فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** يبين
ان الرجز انما نزل بالظالمين ولم يقل عليهم لئلا يدخل
فيه غير الظالمين لان العذاب قد ينزل فيعم الصالح و
الطالح ويحشر كل انسان على عمله فلهذا اخبر الله ان
الرجز الذي هو العذاب اختص بالذين ظلموا **بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**
اي بخروجهم عن امرنا فيما بدلوه من قولنا قولوا حطة ومن
نعم ايضا قوله **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ** الآية لما
اعطاهم ما يقيهم من حر الشمس وما يأكلون طلبوا ما يشربون
فاستسقى لهم موسى فقال له **اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**
فان الحجارة في الغالب موضع تفجر الماء **فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ**
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا وكانوا اثنى عشر سبطا لكل سبط
سبط عين والحجر قد يكون الالف واللام لحجر بعينه وكذا
ذكر في التاريخ وانه كان صغيرا يحمله في مخلاة فحيثما نزلوا — مخلاة صح
من التيه اخرجه وضربه بعصاه فتفجر عيونا اثنتي عشرة
وقد يحتمل ان تكون للجنس وقوله **قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**
كان لكل سبط عين تخصه وكل سبط كانوا يرجعون — يرجع صح
الى ولد من اولاد يعقوب وهم الاسباط
سبط يرجع الى روبيل ومعناه بالعربية الابيض
وسبط يرجع الى يهوذ ومعناه بالعربية شاكر
وسبط يرجع الى شمعون وهو بالعربية سمعان

والقبر على يمين الطريق اذا طلبت اريحا ثم قال فَكُلُوا
مِنْهَا الضمير يعود على القرية حَيْثُ شِئْتُمْ اى مما فيها
فاباح لهم الدخول والاكل كيف شاؤا ومما شاؤا وحيث
شاؤا رَغَدًا اى اتساع عيش من غير تضييق ولا تحجير
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا كلفهم التواضع عبادة بالسجود
عند الدخول وَقُولُوا حِطَّةٌ بالرفع اى قولوها كما امرتم
حكاية على الرفع وحطة مثل قِعْدة وجِلسة وقد يكون دعاء
اي حُطّ عنا ذنوبنا حطة وقد يكون المعنى اذا دخلتم
سجدا او فرغتم من عبادتكم فحطوا اي انزلوا رحالكم حطة
ومعناه يتداعوا بها على الرفع بينهم حطة حطة ليحطوا
فاذا فعلتم ذلك نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ جمع خطيئة
وهو ما كان منكم مما تقدم مما ذكرناه من الذنوب وَ
سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ احسانا على احساننا لهم لكونهم
ما خالفوا امر الله واحترموا جانب الحق قال تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة فان تركهم للمخالفة زيادة عمل
مشروع اذا اقترنت بنية الترك وسواء كان الترك لمباح
او ندب او فرض على انه عندنا اذا اتى المباح من حيث انه
مباح شرعا اجر فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الآية قيل لهم قولوا
حطة فبدلوا قيل المعنى فاستهزؤا وقيل اللفظ فقالوا
حِطًّا سُمقًا بالقبطية معناه حِنطة حمراء استهزاء

فعاقبهم

فعاقبهم
الله على ذلك فقال فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا بين
ان الرجز انما نزل بالظالمين ولم يقل عليهم لئلا يدخل
فيه غير الظالمين لان العذاب قد ينزل فيعم الصالح و
الطالح ويحشر كل انسان على عمله فلهذا اخبر الله ان
الرجز الذي هو العذاب اختص بالذين ظلموا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
اي بخروجهم عن امرنا فيما بدلوه من قولنا قولوا حطة ومن
نعم ايضا قوله وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ الآية لما
اعطاهم ما يقيهم من حر الشمس وما ياكلون طلبوا ما يشربون
فاستسقى لهم موسى فقال له ربه اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فان الحجارة في الغالب موضع تفجر الماء فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط
سبط عين والحجر قد يكون الالف واللام الحجر بعينه وكذا
ذكر في التاريخ وانه كان صغيرا يحمل في مخلاة فحيثما نزلوا
من التيه اخرجه وضربه بعصاه فتفجر عيونا اثنتي عشرة
وقد يحتمل ان تكون للجنس وقوله قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
كان لكل سبط عين تخصه وكل سبط كانوا يرجعون
الى ولد من اولاد يعقوب وهم الاسباط
سبط يرجع الى رَوْبيل ومعناه بالعربية الابيض
وسبط يرجع الى يهوذ ومعناه بالعربية شاكر
وسبط يرجع الى شمعون وهو بالعربية سمعان

٢ مخلاة م

٧ يرجع م

وسبط يرجع الى يقمئوان ومعناه المطيق
وسبط يرجع الى ربوان ويقال فيه ربالون ولم نر له تفسيرا
وسبط يرجع الى اشر ومعناه الطيب
وسبط يرجع الى انشاخر ومعناه المتأخر
وسبط يرجع الى جاد ومعناه الفياض
وسبط يرجع الى دان ومعناه بالعربية الحكم
وسبط يرجع الى يوسف ومعناه يزيد
وسبط يرجع الى لاوى ومعناه العطاف
وسبط يرجع الى بنيامن ومعناه الشديد شداد
وكلهم اولاد يعقوب وهو اسرائيل ومعناه صفوة الله
ثم قال لهم **كلوا واشربوا من رزق الله** تقدم
الكلام فى الرزق **ولا تعثوا فى الارض مفسدين**
اسم فاعل من افسد يفسد فهو مفسد يقال عاث فى الارض
اذا افسد فيها وبه سمى العوث وهى الدودة التى تاكل
الثياب والكتب ويقال لها ايضا الارضة فقال لهم
لا تفسدوا فى الارض فتسموا مفسدين ثم قال تعالى
واذ قلتم يا موسى لن نصبر الى قوله يعتدون لما كان
فى طبع هذه النشأة الدنيوية اذا استصحبها امر تملّه خلق
الله له من الارزاق انواعا مختلفة المطاعم والالوان والروائح
ولما فرض عليهم العبادات جعلها مختلفة بالنوع وجعل

لها

لها اوقاتا متفرقة من اجل الملل الذى جبلهم الله عليه
ولو كان الرزق من الذ المطاعم سأمه وطلب غيره او تباعد
عنه بالزمان حتى تدعو الحاجة اليه وان كان واحدا
ولما الفوا تكاثر الالهة عندهم لم يلتذوا بالتوحيد
لالتذاذهم بالكثرة ومن حكمة الله فى وحدانيته سبحانه
ان جعل له اسماء كثيرة ندعوه بها فى عموم احوالنا فننتقل
من اسم الى اسم فتتنوع علينا الادعية والاذكار مع
احدية المدعو والمذكور كل ذلك للملل الذى فى جبلتنا
فسبحان اللطيف بعباده وهذا من خفايا اللطائف التى
لا يعرفها الا القليل من عباده فقالوا لموسى **ادع لنا**
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض فى تيههم **من بقلها**
يقولون من انواع بقولها ثم خصوا بالذكر ما كان لهم
فيه رغبة حتى يكون ذلك لمعين من جملة ما يخرج لهم
وقثائها بضم القاف وكسره وهو معروف **وفومها** قيل
هو الثوم وهو الاقرب وقيل الحنطة وقيل الخبز **وعدسها**
وبصلها قال الله لموسى قل لهم **اتستبدلون الذى هو**
ادنى اى اخس واوضع واحقر **بالذى هو خير** منه وهو
ما كانوا فيه من اللحم والحلواء ولا شك ان امرهم متناسب
فى الشكل فمن اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
والكفر بالايمان وكله استبدال لا ينكر عليه فى نفسه

القدرة ان يستبدل المن والسلوى بالثوم والبصل فقال
الله لهم اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم لانهم
سألوا دنيا فاهبطوا من عز رفعتهم بعناية الله بهم وما
اختاره من الطعام الطيب وقوله مصرا منونا اي مصرا من
الامصار ومن لم ينون اراد البلدة المسماة مصر فلما هبطوا
وكفروا بايات الله وقتلوا النبيين بغير الحق وعصوا واعتدوا
ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب
من الله فقوله ضربت عليهم الذلة اي الصقت بهم من
ضربت الطين على الحائط اذا الصقته به يقول لزمتهم
الذلة وهي الصغار والمسكنة الخضوع والسكون تحت
صولة الايمان فلم يرفع الله لهم علما ولا اقام منهم ملك
حيث كانوا في جميع الملل لا يزالون اذلاء صاغرين وباؤا بغضب
من الله اي استحقوا الغضب من الله يقال باء فلان بفلان
اذا كان حقيقا ان يؤخذ به لمساواته اياه في الكفاءة في ذلك
وقال عليه السلام من قال لاخيه كافر فقد باء به احدهما
اي استحق ذلك لا طلاق احد الرجلين اما المقول فيه ان كان
كافرا واما القائل اذا كان المقول فيه مسلما لانه سمى الاسلام
كفرا ومن اعتقد ذلك فقد كفر ذهب الى هذا بعض العلماء
ثم قال ذلك بانهم هذه باء السبب كانوا يكفرون
بايات الله يقول بما نصبه الحق من الدلالات على تصديق

بايات الله قد تقدم شرح الكافر في اول السورة وقوله

ما جاءت به رسله من كتاب وغيره ويقتلون النبيين
بغير الحق سبب اخر زائد على الكفر بالايات يقول عنادا
اي لم يقتلوهم بحق من عندهم فيما يرجع الى دينهم فالالف
واللام للحق المعهود عندهم لا الحق الذي جاءت به الانبياء
صلوات الله عليهم فان ذلك معلوم بلا شك وانما
ذكر الحق فيما ترجمنا عنه ذلك بما عصوا في ردهم الايات
وكانوا يعتدون يتجاوزون الحق الذي اتخذوه دينا
ما وقفوا عنده بل تعدوه وجاوزوه بالمخالفة في قتلهم
الانبياء ان الذين امنوا والذين هادوا الاية يقول
ان الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم فيكون
على هذا من امن منهم بالله يعود الضمير عليهم وعلى الذين
هادوا والنصارى والصابئين مخلصا من قلبه وقد يريد
ان الذين امنوا اخلاصا من قلبه والذين هادوا يعني اليهود
يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في دين اليهودية والنصارى
جمع نصران والصابئين من صبا اذا مال من دينه الى دين آخر
يقول من صدق من هؤلاء المذكورين وامن بالله يقول بتوحيد
اي بوحدانيته واليوم الاخر يقول بالبعث اي بوجود يوم
القيمة وعمل صالحا ولم يدخل في عمله خللا من شرك خفي ولا
جلي فلهم اجرهم جزاء عملهم عند ربهم اي عند سيدهم
الذي استخدمهم وكلفهم الاعمال وهو الله تعالى ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون زائد على الجزاء فما حصلوا من
النعيم في مقابلة ما فعلوا من الجزاء الذي له عين موجودة وما
وصفوا به من نفي الخوف والحزن عنهم فيما تركوا مما امروا بتركه
فسلب لسلب واثبات لاثبات **واذ اخذنا ميثاقكم**
الى قوله للمتقين اما قوله واذ اخذنا ميثاقكم بنون الجمع لوساطة
الرسل في ذلك فهم الذين اخذوا المواثيق لله على اممهم فاخذ
الميثاق من الله ورسوله فلهذا كنى سبحانه بالنون وليس لنا
ذلك الا بامر منه سبحانه وقد قال عليه السلام لمن جمع بين
الله ورسوله في الضمير في خطبته بئس الخطيب انت فهذا
ضمير المخاطبين يعود على كل من اخذ عليه الميثاق مطلقا من
اخذ الذرية الى نبوة محمد عليه السلام وهو الاقرار بالوحدانية
وبما يجيء من عند الله في كتبه او على السنة رسله مما يجب
الايمان به ثم خصص في الخطاب بعض من اخذ عليه الميثاق في قوله
ورفعنا فوقكم الطور اراد بني اسرائيل بهذا الخطاب
خاصة وذلك لما امتنعوا من قبول كتابهم والحفظ له والعمل
به لما فيه من التكاليف الشاقة عليهم فاقتلع الله الجبل ورفعه
عليهم كالظلة ان لم يقبلوا الكتاب ويوفوا بعهد الله و
ميثاقه والا اوقع عليهم الجبل وقال لهم والجبل على رؤسهم
خذوا ما آتيناكم بقوة اي اقبلوا ما اعطيناكم بجد
وعزم على حفظه والعمل به وقد يكون العامل في الباء من بقوة

آتيناكم اي خذوا ما اعطيناكم تقوية على ما كلفتموه لما يتضمن
من الوعد الجميل والثواب الجزيل لمن عمل فيه ولما يتضمن من الوعيد
والتهديد لمن ترك العمل بما فيه فيكون وقوفكم عليه وقراءتكم
له محرضا وتقوية على العمل به ويؤيد هذا قوله **واذكروا ما فيه**
ثم جاء بلفظة اذكروا ما فيه مما تقدم من اخذ المواثيق في ذلكم
عليكم ومما يتضمنه من نعم الله عليكم اذا اوجدكم واصطفاكم
بما ذكره فيه زائدا على ما فيه مما شرع لكم **لعلكم** يقول لهم الرسول
بامر الله لعلكم فيكون الترجي من الرسول ان يتقوا او منهم
ان يكونوا من المتقين وقد ذكرنا تفسير لعلكم تتقون والمتقين
من هو في اول السورة ثم قال تعالى **ثم توليتم من بعد ذلك**
اي اعرضتم لما رفعنا عنكم ما ظننتم انه واقع بكم وهو الجبل
واليه الاشارة بذلك وهو قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون **فلولا فضل الله عليكم ورحمته**
بكم حيث لم يعاقبكم بسقوط الجبل عليكم فتموتون ناكثين
فتكونون من الذين لم تربح تجارتهم وكنتم خاسرين قال لهم
ذلك ليرجعوا عن توليهم واعراضهم ونكثهم فان احتجوا
بالفاء في قوله فلولا فضل الله انها للتعقيب قلنا كذا ورد
فانه سبحانه لما رفع الجبل على رؤسهم لولا فضله ورحمته اسقطه
عليهم ولم ينتظر بهم ان يأخذوا الكتاب لانهم بعد التولي
الثاني تفضل عليهم بالتوبة ثم قال تعالى **ولقد علمتم**

حطابا لبني اسرائيل الذين اعتدوا منكم بعضهم اي
جاوزوا ما حد لهم ان يفعلوه ويتركوه في يوم السبت
من ترك الصيد فيه والمثابرة على طاعته وهم الذين
تولوا ونكثوا وماذكر انه تاب عليهم ثم قال فقلنا لهم
كونوا هو قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وقوله عليه السلام وهو في غزوة تبوك وقد
ابصر شخصًا مقبلا على بعد وهو في اصحابه كن اباذر فكان
ابوذر فكان والكون حرف وجودي عند الجماعة وعندنا
حرف ثبوتي فانه يتوجه على الايجاد والاعدام والعدم
يثبت للمعدوم ولا يكون له وهذه مسئلة عظيمة القدر
فانهم ليس في قوتهم ان يكونوا انفسهم قردة وانما الله يكونهم
قردة اي يقلب صورهم قردة والحقائق لا تتبدل فمن
المخاطب بأن يرجع قردًا فقد يصح هنا قول من يقول ان
الجواهر متماثلة والصور اعراض فيها فسلخ الله الصورة
الانسانية من الجوهر وكساه صورة القرد فان الحرارة
لا ترجع برودة لكن الحار بقبوله الحرارة اذا زالت عنه
زال عنه اسم الحار وقبل البرودة فصح عليه اسم البارد و
ما ثبت عندنا من طريق صحيحة ان ظواهرهم رجعت في صور
القردة والقدرة صالحة فقد يحتمل ان يكون مسخ بواطنهم قردة
مع بقاء الصورة الانسانية ويحتمل ان يكون مسخ ظواهرهم

مع تقاء علمهم بانهم ذلك ليذوقوا العذاب فيكون قردًا
في الظاهر انسانا في الباطن والله على كل شئ قدير
وما يقع التوقف لا من عدم صحة النقل لا من حيث الامكان
وقوله خاسئين اي مبعودين مطرودين من رحمة الله
وقوله فجعلناها يعني هذه الكائنة نكالا قيدًا وحدا يوقف
عنده اذ كان النكل القيد يقف عنده الماضي والاتي معتبرا
وقد يكون قيدًا اي ثباتًا للممسوخين على هذه الصورة
لاجل ما بين يديها وما خلفها وجعلناها موعظة
للمتقين للذين يخافون مثل هذه الاشياء وقد تكون
نكالا من النكول وهو العدول عدل بهم عن رحمة الله
لما عدلوا عن طاعته والوفا بعهده وميثاقه وجعلناها
بمعنى صيرناها في عينها للحاضرين الذين يشاهدونها وفي
الذكر بالخبر عنها لمن يأتي بعدهم وذلك ان الله لما خلق
الانسان خلقه مستقبلا الاخرة فهو يطلبها في سيره ومدة
ذلك عمره واول منزل يلقاه منها القبر واول حالة تدركه
منها الموت والساعة ايضا تستقبله ولذا سميت ساعة
اي تسعى اليه فعند الموت يكون اللقاء بين الانسان والقيامة
قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته ولا يزال في منازلها
يتقلب ويقطعها الى يوم البعث ثم يقطع منازل ذلك اليوم
الى ان يصل الى الجنة او الى النار فلهذا ثبت له الامام لما يستقبله

والخلف لما يأتي بعده وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
القصة كان سبب هذا ان رجلاً قتل عمه وجعله في ارض
قوم ليأخذ ديته ثم استعدى على اهل تلك الارض وتدافعوا
معه بالخصومة فارتفعوا الى موسى عليه السلام وسألوه
ان يبين لهم عن الامر فسأل ربه فامره ان يأمرهم ان يذبحوا
بقرة فيضرب الميت ببعضها فيحييه الله ليريهم كيف يحيي
الله الموتى ولتبرأ ذمة البري مما نسب اليه من ذلك فَقَالُوا
لموسى أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا اي تسخر منا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ فان الجاهل هو الذي يسخر بعباد
الله قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ اي لا هرمة وَلَا بِكْرٌ وهي
التي ولدها ولد واحد عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ والعوان التي
ولد ولدها قد يفهم من هذا ما يخرج في الصدقة من الماشية
حتى لا يعتدي فيها من الطرفين من رب المال باخذ الانفس
ومن جهة المتصدق عليه من اخذ الاخس قَالُوا ادْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا اي بالغ في الصفرة حسناً
وجمالاً يقال اصفر فاقع واسود حالك وابيض يقق
واحمر ناصع وقان تَسُرُّ النَّاظِرِينَ اي يستحسنها من
نظر اليها قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ

تَشَابَهَ عَلَيْنَا اي هذا الجنس كثير ويشتبه علينا فزدنا
بيانا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ فلما تادبوا مع الله في
الاستثناء رزقهم الهداية الى ما سالوه من ذلك فلم
يسألوا بعد ذلك قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ اي
صعبة القياد تُثِيرُ الْأَرْضَ اي لا تنقاد للحرث يقول
ما هي ذلول تثير الارض اي تحرث بها ولا يسقى بها الحرث
اي تدور بالسانية لصعوبتها مُسَلَّمَةٌ صحيحة
لَّا شِيَةَ فِيهَا اي لا لون فيها غير لونها قَالُوا الْآنَ
جِئْتَ بِالْحَقِّ المطلوب لنا اي استوفيت الصفة فَذَبَحُوهَا
ومن كثرة تفتيشهم على صفتها كادوا لا يجدونها فلا يفعلون
نحو قوله وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
واختلف الناس في ذلك البعض ما هو فمن جملة ما قالوه
فخذها ولسانها وفيه مناسبة فان اللسان محل الكلام
والمراد من الميت النطق ليعرفوا الامر واما الفخذ خاصة فقد
ورد لا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فخذه بما فعل اهله
بعده فخص الفخذ بذلك في الدنيا دون غيره من الاعضاء و
هذا الاخبار انما وقع في الدنيا واما في الاخرة فتنطق الجلود
والايدي والارجل والالسنة قال تعالى كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
الْمَوْتَىٰ يعني في قيام الميت حيا من قبره اي تظهر يوم القيمة
حياة القائم بجسمه التي نحن اليوم محجوبون عن ادراكها

السارية في كل موجود من جماد ونبات وحيوان التي
ادركها النبيون واهل الكشف قال تعالى وان من شيء
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما
فلم يؤاخذكم عاجلا بانكاركم ذلك غفورا بما ستر من
ادراك حياتها لابصاركم فلنا حيوة منسوبة الى ارتباط
الروح الناطق بهذا الجسم وهو الذي يظهر حيوته في الجسم
وافتراقه من الجسم يسمى الموت ولنا حيوة اخرى نشترك بها جميع
الاجسام وهي التي اخذ الله بابصارنا عنها فقد يمكن
ان يكون حيوة صاحب البقرة ظهور تلك الحيوة ثم قال
ويريكم اياته اي دلالاته على انه على كل شيء قدير لعلكم
تعقلون اي تمسكون على ذلك ماخوذ من العقال وتثبتون
عليه من غير شبهة تزلزلكم عنه وقوله والله مخرج ما كنتم
تكتمون وهو ما اظهر من كذب ولي المقتول وفيه تنبيه على
اظهاره ما استتر عن عيوننا من حياة الاجسام وهو ما
نبهنا عليه آنفا ونسب الكتمان اليهم لان الامر مستور
فيهم وقوله بقرة بلفظ التنكير حتى لو اخذوا اية بقرة كانت
وقع الغرض ذلك محتمل بالنظر الينا واما في علم الله فبقرة
مخصوصة بهذا الوصف ولو فهموا منه بقرة على الاطلاق
لبادروا اليها فان النفوس قد طبعت على طلب التيسير وقوله
فافعلوا ما تؤمرون من اول سؤال السائلو يؤذن بالزجر عن

لاتعلمون ٥

السؤال



السؤال وكثرته قال عليه السلام انما اهلك من كان
قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم وكذلك جرى
لهؤلاء لما كثر سؤالهم مضى فيها من اموالهم كثير على ما حكي
واما قوله واذ قتلتم وما قتله الا واحد فهو راجع الى
قول بعضهم لبعض انتم قتلتم هذا القتيل وتدافعهم
في ذلك فكانه يقول واذ يقول بعضكم لبعض قتلتم نفسا
فادارأتم فيها واما قوله اضربوه ببعضها لما كان
الضرب يتضمن صفة القهر لذلك جاء بدا اخراج
الشيء من العدم الى الوجود لا يكون الا من قاهر كما
جاء في قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق واضرب بعصاك
الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ومن هذا الباب
قوله تعالى ان نقول له كن فيكون فقرن الايجاد بالامر
اذ في ضمن مخالفته الوعيد وهو من صفة القاهر ثم اخبر
تعالى بعد ما عاينوا ذلك قست قلوبهم فقال تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اي من بعد ما رأيتم
الآيات فما وقع ما ترجاه موسى منكم من عقلها والثبات
عليها فهي يعني قلوبكم كالحجارة في الصلابة والشدة
او اشد قسوة يقول اقوى في الصلابة من الحجارة قال تعالى
لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله وذلك لمعرفته بقدر ما انزل عليه وماذا

بنوا اسرائيل مع كثرة الايات والنعم تكثر منهم المخالفات
وسوء الادب مع الله فعقوبة القاتل اخراج مكتومه باحيا
الميت وعقوبة قومه على قولهم أتتخذنا هزوا المثل موسى عليه
السلام ما ابتلوا به من السؤال عن البقرة حتى ذوا في
اموالهم بما وزنوه من ثمنها واما قوله وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ
لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ
مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ وكل ما يقع منها
مما ذكره مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ اي من رجائهم وخوفهم
لان الخشية يتضمن الرجا والخوف فاما وصفها بتفجر
الانهار فهو كثرة بكائها والماء الخارج من التشقق البكاء
الذي لم يبلغ في الكثرة مبلغ الانهار ومنه بكاء فرح وبكاء
حزن فبكاء الحزن من خوف التفريط فيما كلفته
من التسبيح كالمياه الكبريتية الحارة المالحة
وبكاء الفرح والسرور بما وفقت له من ذكر
الله كالمياه الباردة العذبة وما بينهما من اصناف
المياه كما بينهن من الاحوال في امتزاجاتها من خلط
الحزن بالسرور والفرح على حسب ما يغلب عليها فالمياه
شبيه بالدموع وذكر ما هبط منها في مقابلة ما تكبرو
به على امر الله ثم هددهم واوعدهم مجملا فقال وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ بالياء والتاء على الغيبة والحضور فالحضور له

سبحانه



سبحانه والغيبة خطاب لموسى ولم عرفهم بذلك ثم
قال لمحمد عليه السلام وامته
أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ
الاية هذه مسئلة مشكلة وليس لها مخرج الا على
ما روي عن عيسى عليه السلام لما لقيه ابليس و
كان غرضه ان يطيعه ولو في لا اله الا الله على الخير
فقال له يا عيسى قل لا اله الا الله فقال عيسى عليه السلام
اقولها لا لقولك لا اله الا الله وهؤلاء المنافقون قد
قالوا آمنا بالسنتهم وهم يعلمون انه رسول الله حقا لا يشكون
فيه كما لا يشكون في ابنائهم وهم مصدقون به بقلوبهم
لانهم لا ينكرون علمهم واقروا بالسنتهم للمؤمنين
اذا لقوهم فلم يبق سلب الايمان عنهم الا كونهم لم يقولوا
لا اله الا الله محمد رسول الله لقوله صلى الله عليه
قال تعالى إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ
اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ لا في قولهم فانهم قالوا حقا ولا في بواطنهم فانهم
عالمون انه رسول الله من كتابهم فلم يبق تكذيب الله
لهم الا انهم اظهروا انهم قالوها لقوله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن كذلك فهذا معنى قوله لنبيه عليه السلام واصحابه
افتطمعون ان يؤمنوا لكم فيكون سرهم وعلانيتهم

ان قالوها لقولك سوا هذا لا يكون منهم بل يجرون
على ما كان عليه بعض اسلافهم وهو قوله وقد كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه فيحتمل اضافة
سماع الكلام لهم وجهان الواحد ان يكون سماعهم من
تلاوة موسى عليهم كتابهم مثل قوله تعالى فاجره حتى يسمع
كلام الله ويحتمل انهم سمعوا كلام الله كما سمعه موسى
حين كلمه ربه على الطور وقد ذكر ذلك ووقع الاشكال
من قوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ما ضبطوه فلو
لم يذكر التحريف كان يتقوى انهم سمعوا كلام الله
حين كلم لموسى وكان يتعين انهم السبعون الذين اختارهم
الله وقوله ثم يحرفونه يغيرونه اما بحذف بعض الكلام ليزول
المعنى مثل قولهم ومن يبتغ الاسلام دينا فازالوا غير وامّا
ان يزيدوا فيه كلاما حتى يتغير المعنى الى ما يريدونه وقوله
وهم يعلمون يحتمل ان يكون الضمير يعود على قوم موسى
انهم عالمون بما حرفوا ويحتمل ان يعود على يهود المدينة
وهم يعلمون انك رسول الله وانك على الحق كما علم اسلافهم
وغيروا كذلك هؤلاء اذا فارقوكم يظهرون لاخوانهم
بخلاف ما ظهروا الكم به من الاقرار والانقياد ثم قال تعالى
واذا لقوا الذين امنوا الى قوله اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون كان المنافقون اذا لقوا الذين آمنوا

قالوا

قالوا امنا اي صدقنا واذا خلا بعضهم الى بعض
كان المسلم اذا خلا باحد من ذوي رحمه من المنافقين يقول
له المسلم ان رسول الله يقول ان الله قد ذكر لكم في كتابكم
نعته فيقول له المنافق نعم انه لكما قال وانه نبي حق فاذا
بلغ ذلك الى رؤسائهم مثل حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
وغيرهم يعظم ذلك عليهم فاذا خلوا مع هؤلاء الذين
تحدثوا مع المسلمين بان الله قد اخبر في التورية بصدقه وانه
نبي يقولون لهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني
من العلم به ويروا ان الشرف في العلم ليحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا بكتابكم عليكم باقراركم اي عند ذكركم انه
في كتاب ربكم ويحتمل ان يريد وابذلك يوم القيمة قال تعالى ثم
انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وهو الاوجه يقول
افلا تعقلون اي ليس لكم عقول تعرفون بها هذا القدر ٢١٧ انكار
انه حجة عليكم فاخبر الله تعالى نبيه بجهلهم بالله تعالى
فقال اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون بعضهم
لبعض فيخبرك به وما يعلنون وما يظهرون به عندكم
مما يكذبون فيه انهم مصدقوك لقولك ثم قال تعالى ومنهم
اميون الامي هو الذي لا يكتب ولا يقرا المكتوب ولا يحسب
لا يعلمون الكتاب فيعلمهم علماؤهم واحبارهم بما يشتهون
ولا يخبرونهم بما انزل فيها من الحق في نعت محمد فيقلدونهم

فى ذلك وقوله الا امانى الا ان لهم قدرة على الاختلاق ونظم
الكلام لمن لا يفهم حتى يعتقد انه حق يقال منى اذا قدر وان هم
الا يظنون فذمهم لانهم متمكنون ان يتعلموا الكتاب حتى
يكونوا مثل الذين يعلمون الكتاب فلا يقلدونهم والا امانى
استثناء منقطع وقد يكون عندى استثناء متصل وان
كانوا لا يعلمون الا انهم قادرون على الاختلاق ثم قال
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم اخبر ان
لهم الويل يوم القيمة والثبور بما كتبت ايديهم من تغير
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وامته من التورية وقولهم لمن لم يعرف
منهم ان هذا الذى نزل من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا من
متاع الدنيا او يكون الثمن رياستهم وافتقار الناس اليهم
فيما يشرعون لهم فويل لهم مما كتبت ايديهم من اجل ذلك
وويل لهم زائد على ذلك مما يكسبون اي مما حصل
لهم من ذلك من المال والرياسة ثم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة يقولون وان دخلنا النار على كفرنا
فان الله عادل لا يعذبنا فى النار الا ايام كفرنا وبعد ذلك
نخرج وصدقوا فيما قالوه من الايام المعدودة وكذبوا
فى انقضاء ذلك وذلك ان الله لا يعذبهم الا على قدر كفرهم
بالنوع الذي وعد على كل سيئة من العذاب الخاص بتلك السيئة
فاذا انتهى الزمان الذي كان قدر ما كفروا فيه رجع عودهم على

بدئه فلا يزال يدور عليهم عودا على بدء الى غير نهاية
كما تدور ايام الجمعة وكما تدور فصول السنة وان كانت
محصورة فدورانها ليس بمحصور الا ان يشاء الله ذلك
كما شاء بانقضاء الدنيا والسبب الموجب لذلك هو
ما نذكره وذلك ان الجنة ولانه ما مر عليهم يوم من ايام
الجمعة الا والكفر والنفاق يستصحبهم فيه فتتعاقب
الايام السبعة عليهم دائما بما عملوه الا ترى فى الخبر الوارد
ان ابا لهب عم النبي عليه السلام يخفف عنه العذاب ليلة
الاثنين لوليدة اعتقها فرحا بمولد النبي عليه السلام فجوزي
بذلك فى اليوم الذى وقع فيه هذا الخبر فان انكر منكر وجود
الايام فى الدار الاخرة فالله يقول لهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا الى غير ذلك من الاخبار والسبب الموجب لذلك هو
ما نذكره وذلك ان الجنة والنار تتضمن ثلاثة احوال دخولا
ونزولا فيها على طبقات مخصوصة وخلودا بلا خروج فاما
الدخول فيهما فرحمة الله قال عليه السلام لا يدخل احد الجنة
بعمل قيل له ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
فان الدخول حالة متوهمة وذلك كالخط الفاصل بين الظل
والشمس الذى ليس من الظل ولا من الشمس وهو متوهم فهو حال
الدخول فانك ان كنت فى اول الشمس الملاصق للظل فقد دخلت
وانت فى الشمس وان كنت فى الظل الذى فى الحد المجاور للشمس

فما دخلت فلما لم يكن لهذا الفاصل المتوهم وجود حسي لم
يقترن به عمل يوجبه الا رحمة الله فاذا دخل السعيد
او الشقي دار ونزل فيها بحسب عمله في الدرجات والدركات
زمانا وحالا واما الخلود فموجبه النيات وهو ان كل
فريق منهم كان في نيته لو بقي في الدنيا ابدا لآبدين
لا يخرج منها لبقي على اعتقاده ذلك كفرا او ايمانا فكان
الخلود في مقابلة هذا الاستمرار وقصد وافي قولهم ايام
معدودة وغاب عنهم ان ذلك يدور عليهم دائما وهذا
في اهل النار الذين هم اهلها واما الرحمة في دخول النار فهي
بالنار وما فيها من الحيوانات المعدة للعذاب فرحمها
الله بما جعل فيها من الانس والجن لتاكل جلودهم وتعذبهم
فانها تنعم بالانتقام من اعداء الله مثل التشفي وقد صح
عندنا هنا انها اشتكت الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي
بعضا فرحمها بان اذن لها بنفسين نفس في الشتاء وهو ما
نجده من شدة البرد ونفس في الصيف وهو ما نجد
من شدة الحر وان شئنا قلنا انهم يدخلونها بعدل الله فقال
الله حين قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة **قل** لهم
يا محمد هل **اتخذتم عند الله عهدا** انزله عليكم في الكتاب
فعلمتم به فان كان هذا **فلن يخلف الله عهده** ففي
الكلام حذف **ام تقولون على الله ما لا تعلمون**

ن م

حاشية انشد بعض الفضلاء في هذا المعنى الذي ذكره شيخنا والمنا جعفيها ابن بنعيم
النار لا تحرق خزانها وهم بها في نعمة سابغة
تعذيب سكانها تلك لعمري حكمة بالغة

نقول ام يفترون على الله الكذب اما حرف ام هنا
قد يكون بمعنى اي وقد يكون منقطعا ثم قال
بلى من كسب سيئة جواب قولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة بلى تمسكم دائما يفسره قوله من
كسب سيئة واحاطت به خطيئته على الجمع و
الافراد واذا احاطت به فلم يكن له عمل صالح شرعا وعرفا
يخرجه من النار فانه لو تخلل هذا المحيط امر ما صالح ما كان
محيطا وهؤلاء هم اهل النار الذين هم اهلها لا يموتون
فيها ولا يحيون فهم شر محض ليس فيهم من الخير
المشروع ولا المعروف شيء اما بانهم جوزوا على ذلك
في الدنيا واما لم يعملوه فهذا معنى واحاطت به واصحاب
النار هم اهلها الذين خلقوا لها واما الدوام فيها الى ما لا
يتناهى فلا يقبل موحدا خرج مسلم في الصحيح من رواية
عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة ولو دخل النار
وهذا خبر والخبر الالهي لا يدخله النسخ ويشفع الله يوم
القيمة من لم يعمل خيرا قط والتوحيد ليس بعمل وانما العمل
طلب تحصيله فهؤلاء المشفوع فيهم حصل لهم نور
من عنده سبحانه من غير عمل ولا تعمل ولكن عملوا اعمالا
استوجبوا بها العقاب ما شاء الله ثم اخرجهم بشفاعته

٢ ويخرج ٣

٢ الذين اخرجهم الله ٣

٢ بالعناية التي سبقت لهم ٣

سبحانه وتعالى ثم قال فى مقابلة هؤلاء فى اهل الجنة الذين
هم اهلها وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وما انزل من الكتب
والرسل وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فى مقابلة واحاطت
به خطيئته فان الاعمال الصالحة التى لايدخلها خلل
يزيل عنها اسم الصلاح قال أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ فخصهم بالذكر دون من يدخل الجنة
بالشفاعة وبعد العذاب تهمّماً بهم واعتناء وان كان
الخلود فى الجنة يشمل العاصى والطائع ثم قال
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الى قوله معرضون
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ جميع ما يأتى هو شرح الميثاق
الذي اخذه عليهم فهو اخبار بما عهد اليهم وتعليم
لنا فقوله لاتعبدون الا الله اى لاتفردوا بالوحدانية فى
الالوهية ولا تتقربوا بالعبادات الا لله وقرئ بالتاء
والياء على الاخبار وعلى حكاية الخطاب الذى قال لهم ومن
ذلك قوله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً اى برّاً بهما عامّاً وهو
محتنا على من يلزمنا الوقوف عند التأفيف لهما من التنبيه
بالادنى على الاعلى فى تأويلهم وان ما عدى التأفيف
يجوز ان نعاملهما به فنلتزم لهم ذلك ونجعل محتنا
وبالوالدين احسانا وما عدى التأفيف من قبيح الافعال
ومما يؤدي الى العقوق يدخل فى الاحسان اجتنابه وقوله

ودى

وَذِي الْقُرْبَى يريد صلة الرحم وقوله وَالْيَتَامَى
يخاطب الاوصياء بحفظ اموالهم وغير الاوصياء بالشفقة
عليهم وجبر انكسارهم ليتمهم وقوله وَالْمَسَاكِينَ وهم الذين
اذلهم الفقر فيتصدق عليهم برؤية المنة لهم علينا
فى قبولهم منا ما نواسيهم به وان نعرفهم انا مستخلفين
من الله فيما بايدينا فهو رزقكم ونحن امناء الله عليه حتى
ياخذه المسكين بعزة ولا يظهر عليه ذلة الحاجة لما فى ايدينا
وقوله وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً اى القوهم بالبشاشة وطلاقة
الوجه والقول الحسن قال تعالى لاخير فى كثير من نجواهم الا
من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقوله ايضاً
وقل لهما قولا كريما هذا كله من القول الحسن المأمور به ثم قال
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ قد تقدم الكلام على ذلك
فيما مضى ثم توليتم عن كل ما اخذنا عليكم الميثاق
فيه وانتم معرضون عن ذلك لانه قد يكون توليهم عند
فراغ الخطاب تولى مفارقة الى منازلهم ليعملوا بما كلفوا
فاخبر تعالى ان توليهم كان اعراضاً عن الحق واستثنى قليلا منهم
وهو من اسلم وانقاد الى الحق وعمل به كعبد الله بن سلام
وابن اخته قيس بن زيد وغيرهما وهذا ارجح من قرأ بالتاء
المنقوطة من فوق من لاتعبدون وقد يحتمل ان يكون ضمير
المخاطب فى توليتم وانتم يهود المدينة اى توليتم عند اخبارنا

اباكم بما اخذناه على اسلافكم ان يكونوا عليه وذريتهم
واعقابهم الى ان جاء زمانكم فتوجه عليكم الخطاب بما تضمنه
توراتكم من ذلك وغيره من الايمان بمحمد واتباعه من نفس
كتابكم فتوليتم وانتم معرضون الا قليلا منكم ثم قال تعالى
وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ الى قوله ينصرون يقول لمخاطبا
يهود المدينة واذ اخذنا ميثاقكم على ما وجدتموه فى التورية
وتقرؤنه بينكم لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ اى
لا تقتلوا انفسكم ولا يقتل بعضكم بعضا يقول الله فيمن قتل
نفسه بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وَلَا تُخْرِجُونَ
اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اى لا يخرج بعضكم بعضا من منزله
تعديا عليه ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ ان ما ذكرنا حق وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ
انه فى كتابكم كما اخبركم به محمد وهو امى لا يقرأ كتابكم فتعلمون
انه نبى ارسلناه من عندنا فكفرتم ببعض ما انزل اليكم فى
كتابكم وهو قوله ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ يقول
يقتل بعضكم بعضا وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ
تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ اى تتعاونون عليهم بما تأثمون
بفعله وَالْعُدْوَانِ من التعدى لحدود الله وَهُوَ مُحَرَّمٌ
عَلَيْكُمْ اِخْرَاجُهُمْ من ديارهم فهذا مما كفرتم به فغيرتم
الصفة التى اقررتم بها بما فعلتم من القتل والاخراج فعير الله
بكم بما ذكره فى الخزى الذى نالهم فى الحيوة الدنيا قال تعالى

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وكتبنا عليكم
فى التورية ان تفدوا من اسر منكم وهو قوله وان ياتوكم اسرى
تفدوهم فهذا مما انتم به من التورية مؤمنون يقول الله لهم
اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
وهو قوله ايضا فى النساء ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اى يحدثوا طريقا
اخرى من عند انفسهم اولئك هم الكافرون حقا فقال
تعالى فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ وهو الايمان
ببعض الكتاب والكفر ببعضه اِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
وهو ما كان من قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير و
مما ضرب الله عليهم من الذلة والمسكنة اينما كانوا الى
يوم القيمة وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ اِلٰى اَشَدِّ الْعَذَابِ
وهو الدرك الاسفل من النار الذى اعد الله للمنافقين
وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد وتهديد من الله لهم
اُولٰئِكَ اشارة اليهم الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا
بِالْاٰخِرَةِ يعنى ما عصموا به دماءهم واموالهم من كلمتى
الشهادة فكانوا فى الدنيا معافين والكفار بالجزية فاشتروا
عافية الدنيا وتركوا عافية الاخرة وقد تقدم معنى ذلك
فى تفسير اشتروا الضلالة بالهدى فى اول السورة قال
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ اذ لم يعملوا ما يوجب لهم التخفيف عنهم

من ذلك ولا هم ينصرون ولا لهم ناصر ينصرهم ثم قال
ولقد آتينا موسى الكتاب الى قوله من قبل ان كنتم مؤمنين
يعني التورية وقفينا من بعده بالرسل يقول بعد
موت موسى ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه
من قفاه كما يقال واجهه اذا جاءه من جهة وجهه فانه
جاء بعده يوشع وشمويل وشعيا وارميا وداود وغيرهم
وكلما جاء امة رسولها كذبوه الى ان جاء عيسى بن مريم وهو
ايشوع بالسريانية والمريم من النساء كالزير من الرجال
فاعطاه الله من البينات ما جاء ذكره في القرآن وآيدناه
يقول وقويناه بروح القدس فيه وجهان الواحد انا خلقناه
مطهرا من الشهوة الطبيعية التي تكون عن النكاح فانه
لم يكن عن نكاح فليس للطبيعة فيه اثر فكانه خلق مؤيدا باصل
نشاءته فلم يجد واله قومه ما يثلبونه به والوجه الثاني
يعني جبريل عليه السلام فجعلناه له ركنا يأوي اليه
ويتقوى حاشه به عند منازعة قومه فكانت اليهود قد قالت
لمحمد عليه السلام ان من جاء قبلك من الرسل جاؤا بالبينات
فأت انت بمثل ما جاؤا به فانزل الله عليه افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم يعني ان طلبهم البينات كان
دفعا للنبوته حتى لا يؤمنوا به فانه من اعظم البينات له
كونه مذكورا في كتابهم بنعته واسمه وفي الانجيل كما

اخبر الله تعالى انهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يقول
استكبرتم عن اتباع امثال الرسل وعن اتباعي ففريقا
كذبتم وما سلطتم عليهم وفريقا ايضا من
الانبياء تقتلون قتلتم يحيى وزكريا وغيرهما واردتم
قتلي بما جعلتم في ذراع الشاة من السم ولكن عصمني
الله منكم ولكن مع هذا قال عليه السلام ما زالت اكلة
خيبر تعاديني وهذا اوان قطعت ابهري لتحصل له الشهادة
التي هي اشرف الموتات فلما عرفت اليهود ان الذي
قاله حق ولم تكن لهم حجة يحتجون بها قالوا قلوبنا غلف
اي هي في غلاف مثل قولهم في اكنة مما تدعونا اليه
نفي هذا الكلام رائحة من الرجوع الى القضاء والقدر اي
لو اراد الله ان نتبعك لازال هذا الغلاف عن قلوبنا
فابصرت نور النبوة فاهتدت فاضرب الله عن قولهم
فقال بل حرف اضراب لعنهم الله بكفرهم
بالسبب وقع اللعنة عليهم لانهم كفروا اي ستروا
الحق الذي يعلمونه من نبوة محمد ويحتمل ان يكون
قولهم قلوبنا غلف اي هي نفس الغلاف لما تحوي عليه
من العلوم فلو كنت نبيا لكان في قلوبنا العلم بك فاخبر
تعالى ان الكفر في قلوبهم بنبوته فلعنهم الله لذلك و
صدقهم في قولهم ان قلوبهم غلف ولكن للكفر فقليلا

ما يؤمنون فمنهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون،
ولتكذيبهم ايضا وجه في قولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
مما تدعونا اليه فانه مما يدعوهم اليه الايمان بالله و
قد فطروا عليه اذ كل مولود يولد على الفطرة فبطل
ان يكون قلوبهم في غلافٍ وكنٍّ من الايمان بالله ولهذا
جعلنا ذلك الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن
ومن عند الله في موضع الصفة للكتاب **مصدق لما**
معهم اي لما في الكتاب الذي معهم وهو التورية والانجيل
وكانوا من قبل ان ياتيهم محمد بالقرآن يؤمنون
به من كتابهم واذا اجتمعوا بالكفار في قتال
يستفتحون اي يستنصرون الله **على الذين كفروا**
به فيقولون اللهم بحق هذا النبي الذي ياتي ووصفته
لنا في كتابنا فانصرنا عليهم وهذا معنى قوله وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا **فلما جاءهم ما عرفوا**
الذي كانوا يستنصرون به وهو قوله ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح **كفروا به** فكفروا جواب لما جاءهم ما
عرفوا وجواب لما في لما جاءهم كتاب محذوف تقديره
كذبوا به اي الكتاب فجمعوا بين كفرين وخص الاستفتاح
دون الافتتاح لانه بالسين ابلغ في كلام العرب

فلعنة الله على الكافرين الالف واللام للجنس
وهو اولى من العهد ثم قال **بئسما اشتروا به انفسهم**
لما جاء الشرع ببيع النفوس في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم وسبب ذلك هذه الاضافة وهي دعوى الملك
فيها والعالم بالله لا نفس له بل كله ملك لله فاذا اضافها
العالم بالله اليه في مثل قوله تعلم ما في نفسي وقوله ربنا ظلمنا
انفسنا فبتمليك الله لا بتمليك استحقاق فوقع البيع
على هذا القدر الذي لحق المؤمن غير العالم من الملك فصح
بيع النفس لكل ذي نفس من المؤمنين من الله تعالى فالمؤمن
لا نفس له واما غير المؤمن والعالم بالله فنفسه باقية في ملكه في دعواه
فلهذا صح لهؤلاء وبئس ان يبيعوا انفسهم بغرض من الدنيا
بان يكفروا بما انزل الله من الكتب **بغيا** اي حسدا من اجل
ان انزله الله على موسى وعيسى ومحمد تفضلا منه دونهم فنازعوا
الله تعالى وكفروا وكذبوا بما جاءت به الانبياء **فباؤوا**
بغضب من الكفر والتكذيب **على غضب** من المنازعة
فهذا دليل على انهم صدقوا بالانزال انه من عند الله و
قد يستروح من قوله على من يشاء ان اليهود حسدت العرب
حيث كان محمد الذي يجدونه مكتوبا عندهم من العرب
ولم يكن من بني اسرائيل فادّاهم ذلك الى الكفر بالقرآن ثم قال
وللكافرين الجنس ايضا **عذاب مهين** في مقابلة

اهانتهم للقرآن ومن جاء به من قولهم ليخرجن الاعز منها الاذل
وغير ذلك فهو خصوص عذاب لصفة مخصوصة في كل من
ظهرت منه وعوقب بها ثم قال وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا
أَنْزَلَ اللهُ الضمير يعود على اليهود وما هنا فيما انزل الله
يريد القرآن والانجيل يؤيد ذلك قوله وهو الحق الضمير يعود
على المنزل مصدقا اي جاء مصدقا لما معهم يريد التورية التي
انزلت عليهم فقالت اليهود نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا يعني
التورية ونكفر بِمَا وَرَاءَهُ يقول وراء كتابنا اي بما جاء بعد
من الكتب فقال الله لمحمد قُلْ لهم فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ
مِنْ قَبْلُ وكتابكم لا يتضمن قتل من قتلتموه من الانبياء
فقولكم نؤمن بما انزل علينا ليس بصحيح فلهذا قال لهم
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في ايمانكم بما انزل عليكم فقرينة
الحال تدل على انهم قتلوا الانبياء تكذيبا لهم مع اتيانهم
بالبينات والقربان لانه لو لم يقتلوهم تكذيبا ما كان يقول
محمد لهم فلم تقتلون انبياء الله حجة عليهم لان المؤمن
لا يلزم ان يكون معصوما من وقوع الذنوب منه والقتل
فعل ظاهر وقد يكون من المصدق والمكذب وقد يكون
قوله ان كنتم مؤمنين اي مصدقين في ان الله عهد اليكم في
كتابكم ان لا تؤمنوا الرسول حتى يأتيكم بقربان فقد جاؤا
فلم قتلتموهم وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

العجل

الْعِجْلَ الها مِنْ بَعْدِهِ حين مشى الى ميقات ربه
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ انفسكم في ذلك وظالمون بعضكم
لبعض حيث لم تتناهوا عن منكر فعلتموه ثم قال
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ الى قوله بما يعملون لما ذكر اخذ
الميثاق ورفع الطور ظلة عليهم لما امتنعوا من اخذ
الكتاب ذكر في القصة الاولى بعض الاسباب وهو
ترجي التقوى فقال لعلكم تتقون اذا ذكرتم ما فيه عند
اخذكم اياه بجد وعزم وزاد في هذا التعريف الثاني لنا
انه قال لهم وَاسْمَعُوا وهذا اقوى من الاول واشد في الكلام
اراد واسمعوا لتعملوا بما سمعتم قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
ما قال ذلك في التورية وَعَصَيْنَا لانه شدد علينا
من التكاليف ما يشق علينا فعلها ونحن نطلب الرفق ولهذا
احببنا عبادة العجل لانه لم يكلفنا ووسع علينا فاخبر تعالى
انهم أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ اي خالط لحمهم ودمهم
حبه قال الله لمحمد قُلْ لهم بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ
في زعمكم ان صح كونكم مؤمنين فهو قوله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
وقوله بكفرهم بالتكاليف الشاقة عليهم لما ثبت عندنا
وعند اليهود ان الجنة خالصة للمؤمنين بالله بلا شك
وانها دار راحة لا تعب فيها ولا نصب وان الدنيا دار تعب
ونصب والنفس مجبولة على طلب الراحة والجنة لا تحصل

ووضع علينا م

الابعد الموت فالموت مطلوب للمؤمن لتخليصه من المشقة
وحصوله على الراحة وان تزعمون انكم مؤمنون وان لكم
الدار الاخرة يريد الجنة خالصة من دون الناس يريد لكنا
كلهم او المسلمين خاصة فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
في القطع بسعادتكم فقال الله لمحمد قل لهم إن كانت
لكم الدار الآخرة خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين
ثم اخبر تعالى بنبيه عن حال اليهود فقال ولن يتمنوه أبداً بما
قدمت أيديهم وهذا من اياته صلى الله عليه وسلم
نطقه بالغيب فاخبر بما يكون منهم من عدم تمني الموت قبل
وقوع ذلك منهم فكان كما قال قال عليه السلام لو تمنوا
الموت ما قام احد منهم من مجلسه حتى يموت غصصا بريقه
فاخبر عليه السلام بالامر قبل كونه وقال والله عليم بالظالمين
وعيد وتهديد لليهود لانهم يعلمون انهم ظالمون فانهم على تقدير
من صدق ما كفروا به ويعلمون ان الله يعلم ذلك وعملهم
يقتضي بالحال انهم يعتقدون ان الله لا يعلم ذلك كما يذهب
اليه بعض النظار من الفلاسفة ان الله لا يعلم الجزئيات
فهذا فائدة قوله لهم والله عليم بالظالمين ثم قال المحمد
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة هما معمولان
لهذا الفعل اي اشد الناس حرصا والالف واللام للجنس

فانهم

فانهما احرص على الحيوة من كل احد وخصوصا واحرص
من الذين أشركوا فانه لا احد احرص على الحيوة ممن
لا يقول بالبعث فيستغنم الحيوة الدنيا فهو شديد
الحرص على طلبها وهؤلاء اليهود المنكرون ما يتقنوا
انه صدق وقد تيقنوا العقوبة على ذلك من كتابهم
فهم قاطعون بالوعيد فحرصهم على الحيوة اشد من حرص
من لا يؤمن بالبعث لما يؤلون اليه في الدار الاخرة من
العذاب وهو الاوجه في الترجمة عن هذه الآية وقوله
على حيوة منكرة اي حياة بهذه الصفة من الطول يود
أحدهم اي يتمنى لو يعمر ألف سنة والمعنى ابدا العلمه
بما يصير اليه بعد الموت قال تعالى وما هو بمزحزحه من
العذاب أن يعمر فهنا وجهان الواحد ان الدنيا لا بد
من تناهيها فلابد من الموت واللحوق بما ذكرناه من الوعيد
لهم ففيه انهم لا يتوبون ولا يتوب الله عليهم فهذا اياس
من الله لهم وهو شديد والوجه الاخر انه وان كانت
الاقامة في الدنيا لهم سرمدا ولا تكون آخرة فليس هذا
مما ينجيهم من عذابنا فان العمر الطويل وغير الطويل لا ينجي من
العذاب والله بصير بما يعملون اي يبصر ويرى
ما يكون من اعمالهم تنبيه على الخوف والحياء منه
سبحانه وفيه هنا تهديد قل من كان عدوا

بجبريل الى قوله لايعلمون زعمت اليهود ان الله امر جبريل
ان يجعل النبوة في بني اسرائيل فجعلها في العرب فاتخذوه
عدوا كما فعلت الرافضة حيث قالوا ان الله امر جبريل
ان يجعل النبوة في علي فجعلها في محمد وهذا من
جملة ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يكون في
امته فقال في الحديث الصحيح انكم لتتبعون سنن من كان
قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع الحديث وفيه قالوا
يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن فهذا من ذلك اتباع
الروافض اليهود في نسبة الخيانة لجبريل فقال تعالى قل من
كان عدوا لجبريل لاجل هذا فان جبريل ما فعل شيئا ولا تعدى
امر الله فان الله نزله على قلب محمد باذن الله اي بامره قال
تعالى وما نتنزل الا بامر ربك مصدقا يعني الكتاب الذي
هو القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة و
هدى وبيانا لما فيها وبشرى للمؤمنين لمن آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يفرق في الرسالة بين
احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا ثم زعمت اليهود
ان من اراد امرا واراد الاخر خلافه فان كل واحد منهما عدو
للاخر وجبريل صاحب العذاب والشدائد وميكائيل صاحب
الخصب والخير فيما يزعمون فكل واحد منهما عدو للاخر فاخبر
تعالى انهم ان صدقوا فانهم عدو للاثنين معا ومن كان عدوا

لهما فهو عدو لله وملائكته فيكون الله عدوا له وللكافرين
وتنزيل صورة العداوة منهم لجبريل وميكائيل انهم يريدون
بالمؤمنين انزال العذاب عليهم بالجوع ونقص من الثمرات
فيرون الخصب فيهم والخير لهم وذلك بيد ميكائيل فيكونون
عدوا له لانه انعم على اعدائهم ويرون ما نزل بهم من رفع الطور
والصاعقة وغير ذلك وهو من جبريل فهم ايضا عدو له
فلذلك قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته
وجبريل وميكال فخصهما بالذكر مع دخولهم في عموم
ملائكته فان الله عدو للكافرين الفاء
جواب من ثم قال ولقد انزلنا اليك آيات بينات
يعني في القران تظهر صدقك في انك نبي وما يكفر بها
الا الفاسقون الخارجون عن امر الله من اهل الكتاب حيث
امرهم الله في كتبهم ان يؤمنوا بك وبما انزل اليك فعصوا
وخرجوا عن امره وهو الفسوق والفسوق الاخر في حق الذين
خرجوا عما تعطيهم دلالات المعجزات من التصديق بمن جاء
بها فلم يؤمنوا والفسوق الثالث من المقلدين حيث مكنهم الله
من النظر والبحث بما اعطاهم من العقل والفكر فلم يفعلوا و
قلدوا هؤلاء ايضا فسقوا اي خرجوا عما تقتضيه عقولهم
من ان يكونوا علماء بما هم فيه مقلدون فعم الفسوق جميع الفرق

وهذا من جوامع الكلم ، ثم قال اوكلما عاهدوا عهدا
نبذه فريق منهم هو قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
فاخبر تعالى انه اخذ عليهم مواثيق مرارا ونكثوا عهد الله
مرارا فقد يكون المعنى وما يكفر بها الا الفاسقون اي الا
الذين فسقوا ونقضوا عهد الله واو بمعنى الواو العاطفة
المعنى وكلما عاهدوا عهدا مع الله ورسوله نبذه اي رمى به
فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون يريد المقلدين لعلمائهم فان
العلماء قليلون والمقلدين كثيرون فالمقلد ليس بمؤمن حقا
وعالمهم ليس كذلك فانه يعرف الحق ولا يقول به ويكتمه عن المقلد
له فيتضاعف العذاب على العالم فان عليهم اثم اليريسيين
وهم الاتباع ثم قال ولما جاءهم رسول من عند الله
يريد محمدا مصدقا لما معهم اي لما بايديهم من التورية
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود كتاب الله
وراء ظهورهم قد يريد بالكتاب المنبوذ هنا التورية
والقرآن وقد يريد احدهما وهو كناية عن ترك العمل به
حيث القوه خلف ظهورهم كانهم لا يعلمون
شبههم بالمقلدة في فعلهم وقد يحتمل ان يكون المعنى كانهم
لا يعلمون تقرير العلم بذلك ولكنهم نقضوا عهد الله و
وفسقوا يقول نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فلم يعملوا به

واتبعوا

واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر والشعوذة
على عهد سليمان اي في زمان ملكه وما كفر سليمان
اي لم يكن علمه سحرا ولا شعوذة بل علمه حق من عند الله
ولكن الشياطين كفروا بما دونوه من علم السحر وخلطوه
بما انزل على الملكين هاروت وماروت من الحق والشياطين
يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
الامرين معا ممزوجا فاذا اتى السائل الى الملكين
ليعلماه يقولان له انما نحن فتنة اي انما نزلنا للتعلم
اختبارا فان الشياطين يعلمون الناس السحر ممزوجا بما انزل
علينا فلا تكفر اي لا تاخذ من الشياطين فانك
لا تفرق بين الحق من ذلك والباطل ثم قال فيتعلمون
يعني الناس منهما اي من العلمين علم السحر والعلم الذي
انزل على الملكين ما يفرقون به بين المرء الرجل
وزوجه اي امرأته وانما قبله منهم المتعلم لامرين
الواحد لامتزاجه بالحق الذي انزل على الملكين
فان الشياطين يتصورون لهم في صورة علمائهم وتقول لهم
هذا هو الذي انزل على الملكين فيصدقونهم فيلقون اليهم
ما يضرهم ولا ينفعهم من علم السحر واما من اقتصر على
الملكين ولم يتعداهما فما علم الا حقا منزلا من عند الله وما
نزل من عند الله لا يكون كفرا وضلالا وكل لفظة كفر في

هذه القصة قد يكون ضد الايمان و قد يكون بمعنى ستر
الحق فان الكفر الستر في اللغة وكلا الوجهين في الزجر عن
ذلك صالح ثم قال ولقد علموا لمن اشتراه يعنا قصر قوله
لوكانوا يعلمون بعد هذا فيما يظهر فقوله ولقد علموا يعود
الضمير على من سال الملكين فقالا له لا تكفر فان من كفر
لا خلاق له في الاخره فكانهم قالوا نحن نتعلم منهم ذلك
ولا نعمل به فان العلم بالشيء يورث التوقي مما فيه من الضرر
لمن جهله فلما علموه قامت لهم الاغراض وطلب الرياسة
وتحصيل ما يشتهون بهذا العلم فعملوا به فكفروا فهو قوله
ولبئس ما شروا به اي باعوا به انفسهم لوكانوا
يعلمون ۞ ان ذلك يعودهم الى العمل لما في طيه مما
في علمه من تقدمهم على ابنا جنسهم والافتقار اليهم
في اثار ذلك ونيل اغراضهم فهذا هو الذي جهلوه
والذي علموا هنالك لم يكن هذا الذي جهلوه وقد بان
المقصود من الاية على غاية الاختصار ونزهنا الملائكة
فان الله قد اثنى عليهم وما بلغنا قط عن الله تعالى انه
جرح احدا من الملائكة ثم قال ولو انهم امنوا واتقوا
قد يعود الضمير في امنوا على الذين سالوا الملكين
وما سمعوا منهم ولا اتقوا الله حين قالوا لمن سالهم لا تكفر
باتباع الشياطين لانهم خلطوا الحق بالباطل فقال الله فيهم

ولو انهم امنوا اي صدقوا الملكين واتقوا واتخذوا
ما قالاه لهم وقاية لمثوبة لحصلت لهم من ذلك مثوبة
من الله و خير لوكانوا يعلمون ۞ وقد يحتمل ان
يعود الضمير على اليهود في الايمان بمحمد ثم قال
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا هذا خطاب
للمؤمنين فان اليهود كانت تقول هذه الكلمة بلسانها
على طريق السب فلما سمع اليهود يخاطب بها المؤمنون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحوا بذلك ليقولوها
كما يقولها المؤمنون على المعنى الذي تريده اليهود من السب
وسياتي شرحها في سورة النساء انشاء الله فنهى المؤمنين
عن ان يخاطبوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناها
اسمع منا يا رسول الله عرضا لحفظهم ما خاطبهم به فقال
لهم قولوا انظرنا اي انظرنا حتى نحفظ ما خاطبتنا به
من كلام الله يقول الله للمؤمنين قولوا انظرنا واسمعوا
ما تؤمرون به وللكافرين يعني الذين يقولون راعنا على
غير المعنى الذي قاله المؤمنون عذاب اليم موجع من الالم
وهو الوجع ويقال بالسريانية والعبرانية راعينا بالياء
والنون واما من قرا راعنا بالتنوين في الشاذ فهو من
الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا ومنه الرعونة
وقد روي ان سعد بن عباده من الانصار لما قالت اليهود

لمحمد راعنا حين سمعوا المؤمنين يخاطبون محمداً
بذلك قال لئن قالها رجل منكم للنبي لاضربن عنقه فانه
كان عارفاً بما تواطوا عليه في كلامهم اذ كانوا
حلفاء لهم وقيل بل كان سعد بن معاذ ثم قال
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
يقول ما يحب الكفار من اهل الكتاب دخل في ذلك
المنافق والذي لم ينافق **وَلَا الْمُشْرِكِينَ** عطف على اهل
الكتاب وحذف من لدلالة الاولى عليه **أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ**
مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ حسداً من عندهم حيث لم يكن لهم ذلك الخير
وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ في هذا تنبيه على رد
من يقول ان النبوة مكتسبة فاخبر الله انها اختصاص وكنى
عنها بالرحمة لكونه رحم بها نبيه عليه السلام ورحم بها
من بعث اليه من الامة حتى سلكوا به طريق هداهم ثم قال
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اي من يد الخير الذي يعظم ورده
وقدره في قلوب العلماء بالله ثم قال **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ**
نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ سبب نزول هذه الاية فيما قيل
ان اليهود قالت الا تنظروا الى محمد يأمر بامر ثم ينهى عنه
ويأمر بخلافه فنزلت هذه الاية وهذا السبب كانه لا يصح
عندي فان مساق الاية لا تعطيه فانه قال في الاية الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير على جهة المدح وابد الحكم بحكم من طريق

التكليف ما فيه ذلك المدح من جهة القدرة اذ كان
هذا بحث قدرة كل من له امر مطاع في عشيرته بل الانسان
في بيته بل في نفسه وانما الذي يقوى انه سبحانه اراد
بالاية هنا ايات الانبياء صلوات الله عليهم التي نصبها
دلالات بحكم الاعجاز على صدقهم وقد تقدم تكرارها
كثيراً فقال تعالى ما ننسخ من اية اي من دلالة على صدق
نبي ونسخها ذهابها ورفعها اذا كانت فعلاً فانه ينقضي
ولهذا اتى بها نكرة او ننسها يقول او نتركها مثل القران الذي
هو اية مستمرة الى يوم القيمة فلا يعارض وكذلك
من قرأ او ننساها او نؤخرها وهو ما بقي من الدلالات
والايات ولم يذهب مثل القران وغيره والذي رفع
كعصا موسى واحياء الموتى وقوله نأت بخير **مِنْهَا** يقول
اقوى منها في الدلالة لان الايات لا قد تظهر للعام والخاص فتكون
اقوى من الايات التي لا يظهر كونها اية الا للعلماء وقوله **أَوْ**
مِثْلِهَا اي باية مثلها في القوة في الدلالة من الظهور
وغيره فتكون هذه الاخرى مقوية للاولى فان الادلة
اذا توالت وان خفيت يقوي بعضها بعضاً فما من رسول
اتى باية الا وقوى بها اية الرسول الاول والايات التي هي
دلالات على صدق الرسل هي التي لا يقدر عليها الا الله

تعالى على وجهين من الاعجاز الوجه الاول ان يأتي باية يعجز
البشر عن الاتيان بها او مثلها والوجه الاخر الصرف وهو
ان تكون تلك الاية في مقدور البشر ويتحدى الاتي بها انه
لا يقدر احد ان يأتي بها فيصرفوا عنها و على كلتى الحالتين
يثبت كونها اية ويعلم ان الله على كل شئ قدير فيأتي ختم الاية
بالمدح بالقدرة في موضعه ولا يكون هذا على ما ذهب اليه من تقدمنا
من المترجمين وما رأيت من تنبه لهذا مع وضوحه وبيانه
الا ان يكون ولم يصل الينا علمه فهذا لا يمتنع فاني ما احطت
باقوال الناس في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
فالحمد لله على نعمه التي لا تحصى واما ترجمتي على مسئلة هروت
وماروت فعلمتها في النوم في رؤيا رأيتها فوقفت عندها وجاءت
الترجمة عن الكلام مطابقة له ثم قال تعالى مؤيدا لما ذهبنا اليه
في هذا الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
والايات ليست بخارجة عنهما فهي في ملكه وتحت قدرته
وهو الذي يعجزكم عن الاتيان بامثالها وما لكم من دون الله
من ولي ممن يتولاكم بالمعونة على الاتيان بمثلها
كما توليت انا انبيائي ورسلي بها ولا نصير ولا من ينصركم
بحجة على دفع ما جاءت به رسلي من الايات كما نصرت انا رسلي
بها حجة عليكم قال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه
وقال فلله الحجة البالغة ومما يؤيد ما ذهبنا اليه قوله ايضا

متصلا بهذا ام تريدون يخاطب اليهود ان تسألوا
رسولكم يعني محمدا او اضافه اليهم لانهم ممن بعث
اليهم والى جميع الخلق كما سئل موسى من قبل كما سأل
موسى اسلافكم موسى من قبل فقالوا ارنا الله
جهرة وغير ذلك مما قد ذكرناه فيما تقدم مما سألوه
فهذا يدلك انه اراد نسخ الايات المعجزات لا ايات
الاحكام اذ ليس للحكم هنا مدخل ولا يدل عليه وصف
فصح ما ذكرناه ثم قال ومن يتبدل الكفر بالايمان
وهو قوله اشتروا الضلالة بالهدى وقد شرحناه قبل
فقد ضل يقول فقد حاد عن سواء السبيل اي
عدل وتلف عن الطريق المستقيم الموصل الى السعادة
وهو قوله فيما ندعو به اهدنا الصراط المستقيم ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا يقول يتمنى اليهود ان تصغوا اليهم فيما
يلقونه اليكم من الكفر في معرض النصيحة ليردوكم
اي ليرجعوكم من بعد ايمانكم بمحمد كفارا به مثلهم حسدا
اي يفعلوا ذلك حسدا لعلمهم بانكم على الحق وانكم تسعدون
بذلك وقوله من عند انفسهم يقول ان الذي جاءوا
به لم يكن من كتابهم فما قالوه الا من عندهم لانه قال من بعد
ما تبين لهم الحق الذي انتم عليه وقوله فاعفوا واصفحوا

دليل على تقدم ذنب ظهر للمؤمنين منهم اذ التمني من عمل
القلب فيكون الذنب الذي امر المؤمنون بان لا يؤاخذوهم
عليه هو ما روي انهم اجتمعوا بطائفة من الصحابة بعد
وقعة احد وقالوا لهم لو كنتم على الحق ما نصر عليكم
عدوكم من المشركين فارجعوا الى ما نحن عليه واتركوا ما جاءكم
به محمد فابت الصحابة وقالوا رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا واراد وامجازاتهم فانزل الله فاعفوا و
اصفحوا حتى يأتي الله بأمره يحتمل وجهين الواحد يوم القيمة
قال تعالى اتى امر الله والوجه الاخر ما امروا به بعد ذلك من
قتل بني قريضة واجلاء بني النضير ان الله على كل شيء قدير
اي انه القدير على مجازاتهم على ذلك ولكن امهلهم الى
وقت يحكم الله فيهم لئلا تشترك الصحابة في مجازاتهم من غير
امر الله بل من عند انفسهم كما فعلوهم بما قالوه من عند انفسهم
لا من كتابهم فنزه الله اولياءه المؤمنين عن ان يشاركوهم
في هذا القدر وليقتدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله ان اتبع
الا ما يوحى الي ثم اتبع ذلك بقوله لهم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة يقول واشتغلوا بما كلفتموه
من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وقد تقدم شرحهما ثم اخبرهم
فقال وما تقدموا لانفسكم من خير اي ما تقدموه
بين ايديكم لاخرتكم من اجل نفوسكم

ان يعود عليها من خير مما شرعناه لكم من الاعمال المقربة
الينا تجدوه عند الله كما ورد في الصحيح ان الصدقة
تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله
وقوله ان فلانا استطعمك الحديث وفيه فلو اطعمته
لوجدت ذلك عندي ان الله بما يعملون بصير
اذا كان بالياء المنقوطة من اسفل فهو وعيد لهم
اي اشتغلوا بما كلفتم عنهم وعن عقوبتهم فان الله
بما يعملون بصير والعامل في الباء بصير وبصير هنا
عالم باعمالهم اي بقصدهم فيها هل يسعدهم ذلك او
يشقيهم اذ ليس للرؤية بمعنى البصر فائدة ومن قرأ بالتاء
فهو للمؤمنين خطاب من الله على ذلك الحذر من علمه بالتقصير
في العمل ثم اخبر عنهم فقال وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى
جمع بالضمير بين القولين لاتحاد المقول وهو دخول الجنة
اذ كل واحد من الطائفتين يضلل الاخرى كما سيأتي
في قولهم ليست النصارى على شيء عن اليهود ومثل ذلك من
النصارى فكأنه قال وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من
كان هودا جمع هائد كعوذ جمع عائذ وحول جمع حائل
ويقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد وقد يكون هودا مصدرا
يؤدي عن الجميع كما يقال رجل صوم وزور وفطر للواحد

والاثنين والجميع وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من
كان نصرانيا فقال تعالى **تلك امانيهم** اي لم يكن الاخبار
عما يجدونه في كتبهم وانما هو شيء يتمنونه يعلم الله ذلك
منهم فتلك اشارة الى القوله انها من امانيهم المتقدمة
كقوله ما يود الذين كفروا ويود احدهم لو يعمر الف سنة
وود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم فتلك الاماني واما
احتجاجنا على التمني بقوله ما يود نفي التمني فلما يتضمنه من
من تمني النقيض ثم قال الله لمحمد **قل** يا محمد لهم **هاتوا** او يهوديا
برهانكم ان كنتم صادقين
فان الذي جاوا به هو خبر فيحتاج الى دليل على صدقه
وليس لهم حجة لانه خبر عن تمنيهم وليس في اللفظ ما
يدل على التمني وانما عرفنا ذلك من كون الله تعالى اخبر ان
ذلك من امانيهم فشرحنا الكلام الله فهو شرح الشرح لعلمنا
بان الله صادق فيما يخبر به ولا حجة لهم ولا برهان على صدق
ما اخبروا به ثم اكذبهم الله فقال **بلى من اسلم وجهه**
لله وهو محسن قوله بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة ولم يقل سبحانه ان اليهود والنصارى لا يدخلون
الجنة فان اليهود والنصارى الذين امنوا بنبيهم واسلموا
لله واحسنوا وماتوا قبل بعث محمد انهم يدخلون الجنة
فلهذا اضرب عن نفس طائفة بعينها منا او منهم والى

بمن لفظة

لفظة عامة تعم كل من عينه الوصف الذي وصفت به
من اسلام الوجه لله والاحسان فكانه يقول لليهود والنصارى
القائلين هذا والنصارى انما يدخل الجنة من كان بهذه
الصفة وهم اعلم بنفوسهم هل هم بهذه الصفة ام لا
وقوله **فله** الفاء جواب من والضمير يعود عليه واسلم يعني
انقاد ووجهه عينه وذاته لله من اجل الله اي لامر الله
امره وهو محسن يعني في انقياده وهو ان يعبد الله كانه
يراه وقد يخرج محسن على اتيان مكارم الاخلاق فله **اجره**
على عمله ذلك الذي فرض له سواء طلبه او لم يطلبه **ولا**
خوف عليهم ولا هم يحزنون قد تقدم شرحه
في اول السورة **وقالت اليهود ليست النصارى**
الاية يتوجه في هذه المقالة ثلاثة اوجه الوجه الواحد
مباهتة بعضهم لبعض مع معرفة كل فريق منهم ان الفريق
الاخر على حق اذ كان كل فريق اهل كتاب وان في التورية نبوة
عيسى وفي الانجيل نبوة موسى والوجه الثاني ان يقول كل
فريق ليس الاخر على شيء من دينه اي انه لا يعمل بدينه ولا بما
انزل عليه فان النصارى لو امنت بالانجيل صدقتنا فان
الانجيل يصدقنا وتقول النصارى لو امنت اليهود بالتورية
لعرفتنا انا على الحق فان التورية تصدقنا والوجه الثالث ان
يكونوا صادقين فيما قالوه فانه ببعث محمد انقطعت كل شريعة

قبله فقالت اليهود وصدقت ليست النصارى على شيء فان
بعث محمد والقران نسخ شرعهم فان الانجيل يدلهم على
ذلك وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ وصدقت لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ
شَيْءٍ لان بعث محمد والقران نسخ دينهم وهو في التورية
عندهم وهو اصدق الوجوه فيما يرجع الى علمهم بما في كتابهم
فهو اعتقادهم وان لم يتلفظوا به ولهذا قال تعالى وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ يعني التورية والانجيل فيعلمون
الحق بيد من هو وهو بيد محمد عليه السلام فوبخهم الله تعالى
اشد التوبيخ حيث شبههم بمشركي العرب الذين ليسوا اهل
كتاب وانكروا نبوة محمد عليه السلام ثم قال كَذَٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وهم المقلدة مِثْلَ قَوْلِهِمْ يعني قول علمائهم
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ الضمير يعود على المتنازعين
من جهة المعنى المقصود كانوا من كانوا ولهذا لم يثني على
ارادة الطائفتين قال تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم
تختصمون وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ
وان نزلت هذه الاية في سبب خاص ولكن الحكم عام فقال
ومن فانى بصيغة النكرة يقول ومن اشد ظلما من تحض منع
من اراد ان يذكر الله في المساجد وهي البيوت التي جعلها
معبدا تودى فيها فرائضه ويذكر فيها اسمه وامر برفعها عما
يجوز من العمل في البيوت فقال في بيوت اذن الله ان ترفع

ويذكر فيها اسمه يسبح اي يصلي له لله فيها في المساجد
فهل ترفع عن دخول الكفار فيها هي مسئلة خلاف فيما يحرم
من ذلك واما تنزيهها عن ذلك على جهة الندب فلا
خلاف فيه فمن خرج اذن الله ان ترفع اي امر وحمله على
الوجوب منع من دخول الكفار جميع المساجد المشركين
وغيرهم واما المسجد الحرام الذي بمكة فقد ورد النص
بان لا يقربه مشرك وانه نجس فمن علل المنع بالنجاسة
وجعل النجاسة لكفره وعلل المسجد لكونه مسجدا منع
الكفار كيفما كانوا من جميع المساجد ومن راى ان ذلك
خاص بالمسجد الحرام ولهذا اخصها بالذكر وان ما عدا
المشرك وان كان كافرا لا تنزل منزلته منع دخول
المشرك المسجد الحرام وكل مسجد لقوله تعالى في بيوت
وجوز الدخول فيه لمن ليس بمشرك ومن اخذ بالظاهر
ولم يعلل منع المشرك خاصة من المسجد الحرام خاصة
فان النبي صلى الله عليه وسلم حبس في المسجد في المدينة
ثمامة بن اثال حين اسر وهو مشرك وهو الاوجه ومنع غير
المشرك من المسجد الحرام ومن المساجد ومنع المشرك
من سائر المساجد اولى لقوله تعالى اذن الله ان ترفع الا
ان يقترن بذلك امر او حالة فلا باس فوصف الله بالظلم
الشديد من منع المسجد ممن اراد ان يذكر الله فيه بصلوة وغيرها

ولم يخص اهل دين من اهل دين اذا كان قصد الداخل
اليها ذكر الله فيها فهذا قوله ان صدوكم عن المسجد الحرام
وقوله **وسعى في خرابها** وجهان الوجه الواحد هدمها
وازالة رسمها حتى لا يبقى لها احد يعرف من غيرها من المواضع
وقد لعن الله من غير منار الارض لما يؤدي ذلك اليه من
ابطال الوقوف واكل الاموال بالباطل فان خرب سلطان
او احد مسجداً لما في بقائه من الضرر لمنازلة عدو ومحاصرة
بلد او لمنفعة لاتساع خندق او موضع قتال ففيه نظر
وهل يبني المخرب له عوضا منه في موضع اخر ويرد الوقف
الذي كان له الى ما بناه بدلاً منه او لمن يرجع الوقف الى اهل الصدقة
او لبيت المال او لما بني بدله والوجه الاخر منع الذكر فيها
سعي في خرابها اذ كان بناؤها لاقامة ذكر الله فيها
واما قوله **أولئك ما كان لهم** يعني الكفار المذكورين
أن يدخلوها إلا خائفين اي هذا كان الاولى
وقد اباحه الدخول للكفار في المساجد على هذه
الحالة من ظهور الاسلام عليهم ثم قال ومن فعل هذا فله
في الدنيا خزي اي ثناء سوء فانه مولم لهم ما يذكرون به
من القبيح فانهم يعرفون في كتبهم انه مذموم من فعل ذلك
فيتالمون به وان فعلوه واما غير اهل الكتاب فخزيهم ما يروا
من تعظيم المسلمين لمساجدهم وطردهم عنها فيجدون لذلك

خزياً ولاسيما ولاسيما اذا دخلوا دار الاسلام **ولهم
في الآخرة عذاب عظيم** مضاعف للمنع والتخريب
فيمنعوا ان تنالهم رحمة الله وتخرب اجسادهم في النار
بانضاج الجلود وغير ذلك واما سبب النزول فانها
نزلت في انطاخوس بن برسيس الرومي ومن منعه من نصارى
الروم حين منعوا بيت المقدس ان يصلى فيه وظهروا
على اليهود فقتلوهم وخربوا بيت المقدس وقوله **ولله
المشرق والمغرب فأينما تولوا** هذه الاية محكمة فيمن
جهل القبلة فاجتهد وصلى على انه مواجه القبلة ثم تبين
له بعد ذلك انه لم يستقبلها ان صلاته صحيحة ولا اعادة عليه وفي ولا اعادة عليه ٧
المصلي على الراحلة وفي السفينة حيث توجهت به راحلته
وما من جهة الا وقد كانت قبلة في امة من الامم وفي هذه
الاية دليل على ان الله لا يختص بجهة وان نسبة الجهات
اليه نسبة واحدة ولهذا جاء بالاسم الواسع والعليم
لاتساعه في حكم جميع النسب اليه عليم بكم اينما توليتم ان
قصدكم التوجه اليه سبحانه على طريق القربة وفي قوله المشرق
والمغرب واينما تولوا تنبيه ان كل من يسجد الى جهة معينة
ليس مقصده الجهة من حيث عينها وانما قصده وجه الله
بتلك العبادة والانسان لا ينفك عن الجهات لنفسه فلا
بد له ان يكون مستقبلاً جهة من الجهات فدخل في اين ما تولوا

ماعدا المشرق والمغرب من الجهات ونبه ايضا بالمشرق
على العلانية لانه محل الظهور وبالمغرب على السر لانه محل
الغيب فكانه يقول ولله ما شرق منكم اي ما ظهر وما غرب
عنكم اي ما استتر فاينما تولوا بوجوهكم وقلوبكم
فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ اي هو مطلع عليكم ويؤيده قوله اِنَّ اللهَ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ وهذا من باب الاشارة والتنبيه
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
الضمير يعود على من تقدم وهو داخل في قوله ومن اظلم
ممن منع وسعى وقال اتخذ الله ولدا يريد بذلك من
قال المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات
الله فان الولد ينطلق على الذكر والانثى وهذا اشد
ظلما مما فعلوه فنزه الحق سبحانه نفسه عما نسبوا اليه
وهنا وجهان الوجه الواحد ان كان ارادوا التبني لقوله
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
ثم نزه نفسه عن ذلك فيكون هذا القول منهم افتراء
على الله حيث نسبوا اليه ما لم ينسب الى نفسه مع جواز
التبني بطريق الاصطفاء ولكن ما وقع والوجه الاخر ان
يريدوا الولد المعروف الذي للصلب فهو جهل منهم بالله
تعالى فهم بين جاهل ومفتر فنزه الله سبحانه عن الامرين
نفسه فقال سبحانه عن ذلك بَلْ حرف اضراب عن قولهم

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ لان الذى نسب اليه هو
من جملة ما في السموات والارض وهم الملائكة وعزير وعيسى
وانى بما ولم يقل من لان ما عند سيبويه تقع على كل شيء فلها
العموم فالاتيان بالعام اولى حتى يدخل فيها كل شيء كُلٌّ لَهُ
قَانِتُونَ اي قائمون بالعبودية وشروطها وقد دخل
الكفار في هذا القنوت فانهم مما في السموات والارض
وهم طائفتان جاهلة وعالمة فمن علم منهم الحق بباطنه
مثل اهل الكتاب ومن جرى مجراهم في العلم فهو قانت
لله في باطنه لعلمه به ومن جهل منهم ذلك فالجاهل
ما عبد غير الله ولا قنت له لعينه ولكن تخيل انه الاله
المقصود بالقنوت له فما قنت الا لله في اخباره انه
كل له قانتون بهذا الوجه وهل ينفعهم ذلك او لا ينفعهم
مسالة اخرى ليس هنا موضعها ثم قال بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
وَالْاَرْضِ ابداع الشيء احكامه واتقانه فاذا كان هذا
فيكون عاما في كل موجود واذا كان المراد هنا بالابداع
ايجاد الشيء على غير مثال فيكون خاصا بالموجود الاول من كل
نوع ولا يدخل ما تحته تحت هذه الصفة من كونه ابداعا
وانما يدخل تحت اسم الخالق والبارئ وقد يريد بالسموات
والارض ما علا وما سفل حصرا لجميع الموجودات ومن
جملتهم من نسبتموه الينا من ولد من انس وملك ولكن

٧ ما انا خطأ في نسبة ذلك فقصد في قول الشرم

لا ينتفي الولد من هذا الوجه فان الولد لا بد ان يكون
مخلوقاً مبدعاً وليس في اللفظ ما يدل على قدم الولد وانما
الحجة في قوله وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن
فَيَكُونُ . وما اخبركم انه قضى ان يتبنى احداً من
خلقه فافتريتم عليه بل نسبة ما نسبتم اليه من الولد نسبة
كل امر اذا قضاه اي شاءه واراده ان يقول له كن اي يامره
بان يكون فيكون وكان هنا تامة وهنا بحر واسع يغرق الناس
فيه والهالك فيه اكثر من الناجي وهو فهم المعنى هل هذا المخاطب
يكن من له عين تعقل امر المخاطب فيمتثله ام لا عين له وهل
ينطلق على المامور يكن اسم الشيء ام لا وهل العدم صفة للمعدوم
ومتى تعلق الخطاب بالتكوين هل في حال العدم او هل بين الوجود
والعدم حالة اخرى وهل كل معدوم يصح منه قبول الوجود
والتفريع والتقسيم على هذا كثير والخلاف فيه كثير بين المعتزلة
والاشاعرة والحكماء واهل الحقائق والسكوت عنه اولى من
الخوض فيه لان الله ما ذكر في كتابه ما يحوجنا الى الترجمة
عنه في ذلك فنتركه مجملاً كما تركه ثم قال عنهم وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ لولا تحضيض يقولون
لولا يكلمنا الله بتصديقه مشافهة كما قال اسلافهم
ارنا الله جهرة أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ تدل على صدقه كَذَٰلِكَ
قَالَ بنوا اسرائيل في زمانهم لانبيائهم وقوله لَا يَعْلَمُونَ

اي

اي لا يعلمون ما ينبغي لجلال الله من التعظيم ان يسال مثل
هذا من غرائب كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه واما العرب فالقرآن آيتهم فلا يقولون هذا
وعلماء الكتب لا يقولون هذا فان الايات الدالة على صدقه
في كتابهم فلم يبق الا المقلدة ومن لا علم له باعجاز القرآن
وقوله تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ اي عقولهم في الختم عليها
فلا يعلمون قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
وهم العارفون بذلك وان لم يؤمنوا وباهتوا والعلماء
بذلك ايضاً من المؤمنين كما قال بل هو آيات بينات في
صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون
والجاحد عالم قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلماً وعلواً وقوله يوقنون اي يتيقنون وهو ثبوت
العلم في صدورهم ثم خاطب نبيه عليه السلام إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا يقول له تسلية لما يجده في
قلبه من ردهم امر الله في وجهه يا محمد ما عليك الا البلاغ
وما انت عليهم بجبار اي ما ارسلناك لتجبرهم على الايمان
وانما وظيفتك ان تبلغ عنا ما نزل اليهم وامرهم الينا
بشيراً اي مبشراً للطائفتين المطيع والمخالف قال تعالى فبشر
عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال
في اولئك فبشرهم بعذاب اليم وسيبين ذلك في موضعه

وقوله ونذيرا اي معلماً لهم بما انزلت عليهم و قد تستعمل
في الاكثر البشارة في الخير والانذار في الشر وكلا التاويلين
صالح هنا والباء من بالحق تصلح ان يعمل فيها ارسلناك
وبشيراً ونذيراً فبشيرا ونذيرا تفصيل ما جاء به وقوله بالحق الاوجه
فيه ان يعمل فيه ارسلناك لان الالف واللام الاظهر فيهما
العهد لحق معلوم عنده وهو الحق الذي اشترك فيه جميع الرسل
وهو اقامة الدين وتبليغه وان سببا رسالته تبليغ هذا
الحق فالباء للتسبب وقوله **وَلَا تُسْئَلُ** بفتح التاء **عَنْ
أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** فيه وجهان الوجه الواحد معناه اهملهم
وارح خاطرك واترك من قبلهم فيما نفعل بهم من الهدى
او الاضلال والوجه الاخر على طريق الوعيد اي ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم ما نفعل بهم من العذاب والضيق والنكال
شفاءً لصدرك واتساعاً بالفرح بالانتقام منهم في مقابلة
ما ضيقوا به صدرك بما قالوه قال تعالى يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب
غيظ قلوبهم وقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما
يقولون ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وقد قرئ
ولا تُسئل بضم التاء على الخبر اي عليك التبليغ ما عليك
سؤال هل اجابوك ام لا فيكون مزيد درجة راحة للنبي عليه
السلام يوم القيمة على سائر الرسل لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل

فيقول

فيقول ماذا اجبتم فاخبره الله تعالى انه غير داخل في هذا
الجمع فان الرسل ما تسال الا لاجل انكار الامم التبليغ الذين
لم يجيبوا في الدنيا اذا راوا عذاب الله نازلا بهم او اعترافهم
بالاجابة ولم تقع منهم ويحتمل قوله ولا تسئل عن اصحاب
الجحيم نفي العلم عنهم وان ذلك الى الله فانه غير عالم بالسعيد
منهم على التعيين والشقي الا بتعيين الله له والعالم بمن لا
يعلم لا يساله عما لا يعلم **وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَ
لَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** يقول ما هم
عليه من الاهواء فانهم مختلفون فلا يتمكن الجمع بينهما
لان كل واحد منهما مخالف لما يتضمنه كتابه فلو عملوا
بما في كتابهم لكانوا امة واحدة وكانوا على ما نحن عليه
من الايمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله من غير فرقان
بين احد من رسله ولهذا قال تعالى **قُلْ** لهم يا محمد **هُدَى
اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ** ولم يقل قل هداي الذي جئت به خاصة
فان التورية والانجيل هدى الله مثل القران فلو اطاعوا
وسمعوا ما جاءت به كتبهم ما تفرقوا جملة واحدة وكانوا
يؤمنون بكل كتاب وبما تتضمنه فكنا نحن وهم على السواء
فان في التورية الايمان بالانجيل والقران وبمن جاء بهما وما
جاء فيهما وفي الانجيل الايمان بالتورية والقران وبمن جاء بهما وما
جاء فيهما وفي القران الايمان بالتورية والانجيل وبمن جاء بهما وما

جآء فيهما فامنا نحن بالجميع والكل هدى الله وكفروا هم
بالكتابين وببعض ماجاء في كتابهم واتبعوا اهوائهم
فلو دعونا الى اتباع كتبهم لوجدونا متبعين لذلك
مؤمنين غير مخالفين لشيء من ذلك فلهذا قال الله لمحمد
ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم
وهو قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري
علينا غيره وما سامحه سبحانه في طمعه باستدراجهم
ليؤمنوا بقوله ولولا ان ثبتناك بما اوحينا اليك في ذلك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك هذا
مع القصد الحسن فكيف بغير ذلك قال تعالى وقل الحق من ربكم
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهو قوله ما عليك الا
البلاغ ولا تسئل عن اصحاب الجحيم وليس عليك هداهم
وانك لا تهدي من احببت ثم قال ما لك من الله من ولي
يتولاك فيما يريده الحق ان يجريه عليك ولا نصير ينصرك
عليه وقال الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته التلاوة الاتباع يتلوه يتبعه فكما ان ايات الكتاب
يتلو بعضها بعضا كذلك التالي لها يمشي عليها مشيا بعد مشي
يقول الذين اعطيناهم الكتاب الذي انزلته عليهم وهم الرسل
يتلونه حق تلاوته اي يتبعونه حق الاتباع الذي يجب له وهو
الايمان به انه من عندنا وان لا يكفر بشيء منه واولئك

يعني الذين اوتوه ويتلونه حق تلاوته يؤمنون به اي
يصدقون بكل ما يتضمنه وبانه من عند الله ويحتمل ان
يريد به اهل التورية الذين تلوها حق تلاوتها واهل الانجيل
وامنوا بما وجدوا فيهما من بعث محمد ورسالته وانه هو هذا
فيكون خاصا بالمؤمنين من اليهود والنصارى ثم قال
ومن يكفر به كما فصلناه في معنى الكفر والكافر فاولئك
هم الخاسرون تقدم الكلام على هذا فيما ربحت تجارتهم
في اول السورة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم الاية قد تقدم الكلام عليها وكذلك واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل فذكر
في الاولى ولا يؤخذ منها عدل وزاد في هذا ولا يقبل منها
عدل اي فداء فان القبول لا يكون الا مع الرضا به والاخذ
قد يكون عن رضا وقد لا يكون فزاد في هذه الاية ولو
اخذنا الفداء لم نأخذه على جهة القبول والرضا وانما هو
بضاعتنا ردت الينا فابان هنا بالقبول امرا لم يذكره هناك
وقال في هذه الاية ولا تنفعها شفاعة وهناك
لا تقبل منها اي من اجلها شفاعة وهنا ولو قبلت عناية
بالشافع ما نفعت المشفوع فيه بان نعلم الشافع من تعنيه
من عنايتنا به عندنا ونبين له قدر الجريمة التي لهذه النفس
فيرجع الشافع عن ذلك اعظاما لجناب الله مع ان الحق سمع

شفاعته ولكن ما نفعت المشفوع هذا كله على تقدير
الوقوع اي لو وقعت الشفاعة من اهل العناية عند نا لكان
الامر كما ذكرناه فزاد هنا مالم يذكر في الاولى ولا هم ينصرون
قد مضى تفسيره ثم قال وَاِذِ ابْتَلَى اِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ
فَاَتَمَّهُنَّ الصحيح في هذه الكلمات عدم تعيينها فنعلم
قطعا ان الله اختبره بكلمات انزلهن عليه فاتمهن فاثنى
عليه بقوله وابراهيم الذى وفى ومحن الانبياء كثيرة و
ما كلفوه كثير كما قيل لمحمد انا سنلقى عليك قولا
ثقيلا على غيرك وتهونه عليك والعامل في اذ اما مضمر
واما جاعلك اي قام بهن حق القيام من الشكر ان كان
نعمة ومن الصبر ان كان غير ذلك كذبح الولد والرمي في
النار وغير ذلك فوفى صلى الله عليه وسلم بجميع ما خوطب
به على حسب ما يعطيه ذلك الخطاب وقد اكثر الناس
في تعيين الكلمات من غير دليل قاطع فلهذا تركت تعيين
ما يمكن ان تكون اذ لا يفيد ذلك علما وقوله اِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ اِمَامًا يحتمل ان يكون هذا من الكلمات لانها ابتلاء
لما يلزمه فيها من مراعاة حدود الله في خلقه واقامة العدل
فيهم والنظر في مصالحهم الدينية والدنياوية والمبالغة
في التبليغ وشروط الامامة كثيرة فهي من الابتلاء الشديد
ويحتمل ان يكون ذلك على جهة التشريف والتكريم لما قام

بالكلمات

بالكلمات حق القيام على التمام والكمال كان اهلا للامامة
فشرفه الله بان قدمه على خلقه ليأتموا به ويهتدوا
بهديه اذ قد اونس منه الرشد فيما ابتلي به فدفع الامامة
اليه كما امرنا في الايتام في دفع اموالهم لهم واستحقاقهم
لها بايناس الرشد منهم فقال وابتلوا اليتامى حتى اذا
بلغوا النكاح وهو احد الشرطين فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم قَالَ اِبْرَاهِيمُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ طلب ابراهيم من ربه ان يجعل
من ذريته ائمة وهذا الطلب دليل على انه جعله اماما كان
تشريفا وكرامة به لا ابتلاء فترجح احد الوجهين ولو فهم
بقرائن الاحوال ان الامامة كانت على طريق الابتلاء
ما طلب مثلها لذريته وان كانت ابتلاء من حيث ما يتعلق
بها ولكن اذا عرف الامام بتعريف الله انه معان معصوم
كانت امامته تشريفا بلا شك ويبقى ما فيها من الابتلاء
في حق من وليها من المؤمنين الذين جهلوا احوالهم فيها واما
قوله لا ينال عهدي الظالمين يقول لا اعطي الامامة للظالم
بوحي منزل فيه اسميه بعينه مثل ما عينت الرسل باسمائهم
وخصصتهم من سائر الخلق بالخطاب بالعهد والامامة
مثل قولنا يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ولابراهيم
اني جاعلك للناس اماما وهكذا جميع الرسل فهذا هو العهد

الذى لاينال الظالم من عبادي واما من نصبه الناس
اماما فائمتهم رجلان ظالم وعادل فالعادل هو الذى
يقوم فيهم بسنة نبيهم وهديه ويسلك بهم اوامر المشروع
لهم من عندنا وهم ائمة الهدى الذين يامرون بالقسط
من الناس فنحن ايضا شرعنا لهم بالوحي المنزل على الرسل تولية
مثل هؤلاء الامامة فهم ممن ينال عهدي وطائفة اخرى
نصبهم الناس فظلموا وضلوا واضلوا وعدلوا عن الحق
فهؤلاء هم الذين لم ينالوا عهدي بحكم نصبهم بالامر بالنفس
ولكن نحن جعلناهم ائمة يدعون الى النار بقضائنا لا بامرنا
قال تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون
وفي هذه الاية دليل على ان امامة الظالم لا تصح شرعا فان الله
قد نفى عنه الامامة ويتقوى مذهب من يقول ان الامام
اذا فسق انعزل شرعا وان تعذر خلعه والكلام في هذه
المسألة يطول والوجه عندي في هذه المسألة والله اعلم
ان الظلم هنا كما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قالت الصحابة واينا لم يلبس ايمانه
بظلم فقال عليه السلام ليس كما زعمتم وانما الظلم هنا ما قاله
لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
فهذا امثل ذلك واما المسلمون وان جاروا وظلموا فان النبي
عليه السلام قد امرنا ان لا نخرج ايدينا من طاعة فان جاروا فلنا

الحق صح

وعليهم وان عدلوا فلنا ولهم وقال اطيعوهم ما اقاموا
الصلوة لما تكلموا في جورهم وقال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي خيارا عدلا لتكونوا شهداء على
الناس فقد نص الله تعالى على عدالتنا بمجرد ايماننا وان كان
قد علم انه يقع منا الجور والظلم والتعدي للحدود المشروعة
مع حفظ الايمان بتحليل ما احل الله وتحريم ما حرم الله
لم يخرج الله العصاة والظلمة من اهل الايمان من الامامة ولا
سيما في قوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه مع كونه مصطفى ونحن نقول ان الظالم
اذا حكم بامر فسق فيه قد انعزل شرعا عن حكم الله في تلك النازلة
فانه بمعزل عن حكم الله فيها وهو مأثوم ولكن اقول اذا اتفق
ان يتمكن الناس من خلع الظالم واقامة العادل من غير ضرر فادح
يصيب الناس وتهلك فيه النفوس والاموال فلهم ذلك
وهل يجب اولا يجب فيه عندي نظر وانا الآن في محل التردد
في ذلك لتعارض الادلة وما ترجح في ذلك عندي شيء واعلم ان
الائمة رجلان امام يقتدى به وهم الرسل قال تعالى لقد
كان لكم فيهم اسوة حسنة وقال لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة وسيأتي في ترجمتها في موضعها ما يتعلق بها
من الحكم فاذا كانت الامامة يراد بها الاقتداء ان يقتدى
بها فلا تجوز الامامة الا المنصوص على عصمته وذلك هم الرسل

٢ عند بعضهم

خاصة ولا خلاف بين الاسلام في امامة من جهلت عصمته
او من ليس بمعصوم الا شرذمة قليلة لا يحكى قولهم والرجل
الاخر امام لا يقتدى به ولكن يسال في النوازل اذا كان من
اهل الذكر فلا بد ان يكون عالما بما يحكم به بين الناس ولا
يقتدى به في افعاله وان كانت افعاله مستقيمة ولكن اقتدى في ذلك
انما هو بمن اقتدى هو به وهو الشرع لا به فان الكل اتباع للرسل
فيكون نصب الامامة هنا لوجود المصالح التي تقوم بها
معايشهم ليامنوا على انفسهم واموالهم وازواجهم فان
الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقران ثم قال

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا

يقول نصبنا البيت يعني الكعبة مثابة للناس يحجون اليه
في كل عام بجد وعزم ومحبة تؤديهم الى ان يثوبون الى قصده
من جميع البلاد بسرعة من الوثب وان تناءت بلادهم وهلكت
في قصده اموالهم فان ذلك يهون عليهم ولا يبطي بهم عن
قصده لما جعل الله في نفوسهم من محبته فيهون عليهم الشدائد
في طريقه فهي بشارة من الله لعبده اذا وجد في قلبه تهوين
الشدائد من بذل المال وتعب البدن ومفارقة الاهل والوطن
في طلب قصده والوصول اليه انه مؤمن ممن اعتنى الله به وان
وجد غير ذلك فليعز نفسه فان الله قد سلب عنه الايمان بذلك
وهذا من سر الله في قلوب العباد وهو من قوله فيه ايات

بينات واية اية اعظم من هذه وقوله وامنا اي جعل
في قلوبهم ان يشرعوا الامان لكل من دخله ولاذ به جعل
ذلك في قلوب المشركين وغيرهم قال تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا فبسبب ذلك الجعل اليه واطبق قلوب الكفار على ذلك
ثم قال وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى على الامر اذا
كسرت الخاء وعلى الخبر اذا فتحتها وقد يرد الخبر ويراد به الامر
فمن جعله خبرا يقول جعلنا في قلوبهم ان يتخذوه موضعا
للدعاء فاتخذوه فاخبر انهم اتخذوه ومن جعله امرا جعل
اتخاذه مشروعا على جهة الندب لا على الوجوب واختلف
الناس من هذه الاية في المقام ما المراد به وفي كيفية اتخاذه
مصلى وما معنى مصلى فاما المقام فلا خلاف ان الحجر الذي قام
عليه ابراهيم حين بنى البيت ودعى الناس بالحج اليه الذي هو
اليوم في البيت يتبرك به لموضع اقدامه فيه انه مقام ابراهيم
واختلفوا فيما سوى ذلك في المذكور في هذه الاية فاعمها
قولا مناسك الحج كلها في الحل والحرم واخصها ما ذكرناه وما
بين هذين القولين اقوال كثيرة في تعيين بعض الاماكن من الحرم
واما قوله مصلى فقد يريد به مدعى ان يدعوا الناس فيه وقد
يريد به الصلوة المعلومة في الشرع وقد يريد الامرين وهو
الاوجه اذ لا تناقض في ذلك واما كيفية اتخاذه مصلى
فليس بعد شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شرح

ويبغي الوقوف عنده فانا اعلم بمعنى ما انزل الله عليه وذلك
انه صح عنه صلى الله عليه وسلم انه لما فرغ من الطواف صلى خلف
المقام وجعل المقام الذي هو الحجر بينه وبين القبلة وصلى
وتلا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وليس بعد هذا البيان
بيان ومن خالف بعد هذا البيان فما اقتدى ثم قال
وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ
اي امرناهم حتما جزما وشرك اسمعيل مع ابراهيم في ذلك
العهد لما فيه من الشرف والرفعة حيث اهلهما لتطهير بيت
اضافه اليه وجعله مقصدا للعباد الى يوم القيمة من
ملك وجن وانس والانسان مجبول ان يحب لابنه من الخير
اكثر مما يحب لنفسه فاكرم الله ابراهيم بان شرك ابنه معه
في ذلك ووجه اخر وذلك ان يكون لمحمد عليه السلام نصيب
من هذا التشريف حيث كان انتقل الى اسمعيل من ابراهيم فتشرف
الوالد لشرف الولد لانه حامله في ذلك الوقت لانه كان نورا
في الاصلاب متحدرا في ارتقاء وتطهر واحسن بيت رأيته
ورويته ان يليق برسول الله صلى الله عليه وسلم قول بعضهم
تَخَيَّرَكَ اللهُ مِنْ آدَمٍ ٥ فَمَا زِلْتَ مُنْحَدِرًا تَرْتَقِي
فامرهما الله ان يطهراه من الاقذار المحسوسة كما صبت
النبي عليه السلام الماء على بول الاعرابي وبين ان المساجد تطهر

لشي

لشيء من هذا او لا غير المحسوسة ايضا وهو تطهيره من هجر
القول وسوءه وجعل الاوثان فيه والاصنام ودخول المشركين
فيه وجميع ما يقع عليه اسم تطهير شرعا وعرفا مطلقا من غير
تخصيص فانه سبحانه ما خصص لنا وقوله للطائفين الذين
يطوفون بهذا البيت من جميع اصناف الطائفين ثم قال
والعاكفين يريد المقيمين فيه من المجاورين ومن اهله وارجو
انشاء الله ان يكون اجرهم اجر المعتكف لا اعتكاف المشروع
ولا سيما على مذهب بعضهم حيث جوز للمعتكف في غير
المسجد مباشرة النساء وقد يستروح من هذا انه من اراد
الاعتكاف في نفس البيت لا يمنع وان المعتكف في الحرم
اي المقيم فيه من غير طواف ولا صلوة انه في عبادة بمجرد الاقامة
وقوله والركع السجود يريد المصلين والساجدين في الكلام
والراكعين الخاضعين وان لم يكونوا مصلين اذ الركوع
الخضوع ثم قال وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا
بَلَدًا آمِنًا الى قوله وَبِئْسَ الْمَصِيرُ لما اخبر الله تعالى بنية ابراهيم
ان الله جعل بيته امنا لمن عاذ به وجاوره دعا ابراهيم ربه
ان يجعل البيت ايضا امنا في نفسه من تسليط الجبابرة عليه
بالهدم والتخريب لغير المصلحة وعدم الاحترام فما زال محترما
عند كل جبار ومن قصده لانتهاك حرمته وهدمه فانه
لا يقدر على ذلك كاصحاب الفيل وغيرهم حتى يأتي وعد الله

عند قرب الساعة فيسلط عليه الاحابشة واما الحجاج فما
قصد الا عبد الله بن الزبير بتأويل رآه ونحن انما تكلمنا فيمن
قصده لعينه الذي دعا فيه ابراهيم وقوله **وَارْزُقْ أَهْلَهُ**
مِنَ الثَّمَرَاتِ لما رآه واديا غير ذي زرع فهو تجبي اليه
ثمرات كل شيء من داني القرى واقاصيها رزقا من عند الله
لدعوة ابراهيم وقوله **مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ**
الْآخِرِ ادبا مع الله حيث قال له من قبل لما ساله فقال
ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ومثله من تأدب
ويقف عندما نبهه الله عليه ربه وايضا لما علم ابراهيم
عليه السلام ان سبب خصب البلاد وانزال الرزق انما هو
لاجل عناية الله بالصالحين من عباده وبدعائهم اذ هم
المقصودون للحق من العالم وان الكافر يرزق بحكم التبعية
لا بحكم العناية كما يهلك الصالح بنزول العذاب الذي نزل
من اجل المفسدين فنال الصالح بحكم التبعية لا بحكم العقوبة
فلهذا ايضا لم يذكر ارزاق الكافر وقوله **قَالَ وَمَنْ كَفَرَ**
سؤال من ابراهيم فيكون في الكلام حذف كانه لما قال ذلك
قال الله ومن كفر فامتعه فيكون الفاء جواب جواب شرط
محذوف دل عليه الكلام وقد يكون قوله ومن كفر مبتدا
ويكون القائل الله ومن شرط وجوابه **فَأُمَتِّعُهُ** يقول و
الكافر ارزقه **قَلِيلًا** يعني الحيوة الدنيا قال تعالى قل متاع

الدنيا قليل اي التمتع بها قليل ثم قال **ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى**
عَذَابِ النَّارِ لا ينبغي ان يحمل الاضطرار بمعنى الاكراه
لانه ما قال الى النار وانما قال الى عذاب النار وانما الاكراه
انما يكون في سوقهم الى النار ودخولها ابتداء بالجبر فاذا
حصلوا فيها كما قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وسيأتي
شرحه ومعنى سوقهم وردا اما معناه والله يبقي علينا
فهمه في وقت الترجمة عنه فاعلم ان الاضطرار هو ان
يقصد المضطر ما يحتاج اليه لا ما يكره عليه فان الاكراه
ضد الاضطرار فان حالة الاضطرار تزيل الكراهة عند
المضطر من الشيء الذي كانت عنده في حال الاختيار فاعلم
ان جهنم تحتوي على عذابين حرور وزمهرير الى غير ذلك فاذا
كان الشقي في حرور النار ومسته منه ما آلمه ونظر الى
الزمهرير الذي في مقابلته رمى بنفسه اليه مضطرا لما يجد
من الم الحرور فاذا وقع في الزمهرير كر فيه بردا واشتد
عليه المه فاضطره ذلك الى الحرور ليسخن حتى يذهب عنه
عنه الم البرد فلا يزال كذلك مضطرا من عذاب الى عذاب
وكذلك اذا جاع اضطر الى دفع الجوع بما يأكله فينظر الى
شجرة الزقوم فيتوهم بالعادة من اكل الثمر انه مزيل الجوع
فيضطر الى قطفها فاذا ازدردها قطعت امعاءه وناله
من العذاب فوق ما كان يجده وهكذا في الشراب وغيره فهذا

معنى الاضطرار وقال فيه تعالى وَبِئْسَ الْمَصِيرُ كلمة
ذم كما أن نعم كلمة مدح قدم اليه ذلك المصير الذي صار
اليه اهل النار من البؤس ثم قال وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ
مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ يحتمل رفع القواعد وجهين الوجه
الواحد واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البناء اي استوطا فرفع
ابراهيم والوجه ٢ انه اخذ القواعد وهي الحجارة التي هي اصلا
واساسًا للبناء عليها وقد تكون تلك القواعد قبل ذلك
له على ما روي وقد تكون حجارة انشأها ابتداء واختارها
للاساس ومعنى يرفعها وذلك انك اذا جعلت القاعدة على
المكان الذي تريد البناء عليه فقد رفعتها على ذلك المكان
بلا شك فاراد وضعها واسمعيل وقوله من البيت من اجل
بناء البيت واسمعيل يرفعه معه ذلك لانهما امرا بالبناء
معًا ففي اي شغل كان من البناء فقد حصل الامتثال لامر الله
وقد يحتمل ان يكون قوله واسمعيل مبتدأ في وقت رفع القواعد
يقول اسمعيل رَبَّنَا اي ندعو بهذا الدعاء او ما في معناه مما
يتضمن طلب القبول من الله فيما كلفناه من العمل إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بعملنا وامتثال امرك في ذلك رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمَيْنِ الى قوله الْحَكِيمُ يقولان في دعائهما ربنا واجعلنا
مسلمين يعني نفسه وابنه اي منقادين لامرك متى امرتنا بكل وجه
وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ اي منقادة لامرك ايضًا

الثاني صح

لدعائنا صح

وتأدب

وتأدب في ذلك ولم يقل كل ذريتي فانه قد قيل له ان فيهم
ظالمين فقال امة منهم فكان كما دعا فجعل من ذريته رسلا
ومؤمنين وصالحين اجابة لدعوتهما ثم قال وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
قد تكون الرؤية بمعنى العلم ولا يكون العلم بمعنى الرؤية فلما
كان موضوع الرؤية اعم جاء بها لان من المناسك ما يحتاج
فيه الى الرؤية كالاماكن فلا بد من تعيينها للبصر ومن المناسك
ما يكون فعلا كاكثر افعال الحج مما يعلم ولا يرى وهو الحكم بما
يجوز من ذلك وما لا يجوز ولهذا اتى بقوله ارنا وقوله
وَتُبْ عَلَيْنَا اما ابراهيم فمن قوله ومن ذريتي في طلب
الامامة واشياء لا نعرفها وكذلك اسمعيل وقد تكون
التوبة هنا بمعنى الرجوع اليه في كل حال وهذا التفسير على معنى
فتاب عليهم ليتوبوا واما على ظاهر اللفظ فليس فيه توبة
منهم فمعناه اذا تاب الله عليهم لم تقع منهم فيما بعد مخالفة
فان توبة العبد قد يرجع عنها ومن تاب الله عليه فلا يرجع
ووجه اخر وهو قولهما وتب علينا اي ارجع علينا في كل
حال بالرحمة والعطف واللطف والتوفيق والرشد والاستعمال
في محابك ومرضاتك ثم قالا رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ فالسؤال في ان يكون الرسول منهم يَتْلُو عَلَيْهِمْ
ذلك الرسول آيَاتِكَ ما انزلت عليه من الصحف والكتب
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ اي ما في الكتاب مما خاطبتهم به او

يأمرهم بتعليم الكتاب حتى يعرفوا ما كتب لهم في الصحف المنزلة
والحكمة ان يضعوا العبادات التي كلفتهم مواضعها ويرتبوها
كما شرعتها زماناً وحالاً ومكاناً وقولاً وفعلاً وعقداً
فان الحكيم هو الذي يضع الاشياء مواضعها قال **ويزكيهم**
اي يطهرهم ويكثر الخير لهم قال تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها ثم قال **انك انت العزيز** الذي
لا تغالب ولا يمتنع عليك شيء فانه يقول تعالى لا راد لامره
ثم نعته **بالحكيم** تسليما له في فعله لعلمه بالامور فان اقتضت حكمته
سبحانه فيما دعاه به خليله اجابه وان لم تكن فالامر اليه فهو سبحانه
اعلم بمصالح عباده ولا سيما وقد تقدم له عليه السلام قوله
لا ينال عهدي الظالمين في سؤاله الاول في الامامة لذريته
ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
الآية يقال رغبت عن كذا اذا زهدت فيه والله تعالى يقول
اتبع ملة ابراهيم حنيفاً فقال ومن يرغب اي وما يرغب
عن ملة ابراهيم عن الدين الحنيفي الذي هو الاسلام الا
سفيه في نفسه اي سخيف ضعيف الرأي والعقل ليس عنده
رشد والسفه في اللسان الخفة والضمير في نفسه يعود على
من وسفه نفسه في موضع رفع وانتصب على التمييز كقولهم
غبن رأيه اي غبن رأيا وسفه نفسا والمعنى في ذلك واضح ثم قال
ولقد اصطفيناه في الدنيا وقد علمتم انا اصطفيناه

اي صفيناه من الصفوة واجتبيناه واخترناه للخلة والامامة
في الدنيا **وانه في الآخرة لمن الصالحين**
اي من الذين ادوا حقوق الله على التمام والكمال من غير ان
يتخللها ما يفسدها والمعنى انه في هذه الزمرة التي بهذه
الصفة يحشر يوم القيمة ثم قال **اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب العالمين** العامل
في اذ اصطفيناه يقول ان اصطفيناه في وقت ان قال له
اسلم لما رأى الشمس آفلة قال يا قوم اني بريء مما تشركون
قال له ربه يا ابراهيم اسلم بما القى اليه من الندا في سره
او بملك ارسله اليه مبلغا قول ربه له اسلم قال اسلمت
لرب العالمين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
الآية وقال فيها وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه
وسيأتي ان شاء الله الكلام عليها في موضعها ومعنى اسلم
اخضع لي منقادا فقال من غير توقف اسلمت اي انقدت و
خضعت لرب العالمين اي سيد العالم ومصلحهم ومالكهم
وقد مضى تفسيره في الفاتحة ثم قال **ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب** الضمير في بها يعود على ملة ابراهيم
يقول وصى بها ابراهيم عليه السلام اولاده وكذلك
يعقوب ايضا وصى بها اولاده فقال لهم **يا بني ان الله
اصطفى** ان يا بني فحذف ان والعامل فيها وصى لانه

في معنى القول ولو ظهر القول هنا في موضع وصى لم يصلح
ان يكون هناك حرف أن فقولهم انّ ان محذوفة لان
وصى في معنى القول وان كان القول لم يحسن وجودها تخبط
والاولى انه هكذا نطقت العرب فهي لغة محكية ودعوى الحذف
فيها قول بلا برهان وقوله يا بنيّ الى اخر الاية تفسير الوصية
فقال لان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم الدين
الذي هو الاسلام وهو ملة ابراهيم فالالف واللام للعهد
فلا تموتنّ الا وانتم مسلمون فنهاهم عن الصفة
لا عن الموت فان الموت متحقق تقول مُتْ وانت موحد فليس
الامر بالموت وانما الامر بموت على هذه الصفة وفيه تنبيه
على ملازمة هذا الدين ايام حياتهم لانه وقت الموت مجهول
والحيوان في كل نفس ينتظره ولما كان الامر هكذا اخرج الكلام
بالنهي عن الموت على غير صفة الاسلام مخرج الزموا هذا الدين
ايام حياتكم ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت لما زعمت اليهود ان يعقوب اوصى بنيه عند موته
ان يموتوا على اليهودية فقيل لهم اتدعون على الانبياء ذلك
في قولكم هذا ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت فتكون ام
على هذا متصلة ومن جعلها منقطعة جعل الهمزة للانكار
والمعنى اي ما كنتم حاضرين يعقوب اذ حضر يعقوب الموت وقد
يمكن ان يقال فيه ايضا ان الهمزة للاستفهام والمعنى اكنتم

شهداء

شهداء فاستفهم بام فانه يستفهم بها كثيرا في
الكلام المستأنف على كلام سبق فكانه يقول ما كنتم حاضرين
فلم يبق الا ان يعلموا ذلك من كتابهم ان يعقوب وابراهيم
كانا على اليهودية وانتم تعلمون ان كتابكم ينطق
بخلاف ما تزعمون وانه قيل لكم ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
فما اوصى ابراهيم بنيه الذي يعقوب منهم فانه ولده
الا بالملة الحنيفية وهو دين الاسلام فقولكم بناقض
علمكم وقوله اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي
اتى بما فانها تنطلق على كل شيء بخلاف من فكانه يقول
اي شيء تعبدون من بعدي وانما استفهام بنيه لعلمه
بان قلوب الخلق بيد الله يقلبها كيف يشاء ولعلمه بان
اولاد الانبياء قد يخرجون عن دين ابائهم وقد وقع هذا
كله قبل يعقوب فيمن تقدم فاراد ان يرى ما يصر ون عليه
في قلوبهم بعد موته لينقلب مسرورا ان كان خيرا في جوابهم
وان سمع منهم غير ذلك فيدعو الله لهم ما دام حيا ان يجمعهم
على الاسلام ولهذا قال من بعدي فانهم في هذا الوقت
على دينهم فقالوا نعبد الهك اي نذل له بالطاعة لامره
ونوحده واله ابائك ابراهيم نعتهم ابتقديمه لما علموا
من اصطفاء الله له بالخلة ولسبقه ولان ذلك مما يسر

يعقوب وتلوه **باسمعيل** لانه اسن من اسحق وجعلوا العم هنا
ابا فان ابا يعقوب اسحق وذلك ان النبي عليه السلام قال عم
الرجل صنو ابيه فان الاخوين من اب واحد كصنوان النخل
واسحق كل ذلك عطف بيان على ابائك ثم قالوا **الها
واحدا** لئلا يتوهم السامع الكثرة فهو بدل من الهك واله
ابائك وقد قيل ان نصبه على الاختصاص اي نريد بقولنا
الهك واله ابائك الها واحدا **ونحن له** منقادون لما
يامرنا به وينهانا عنه وانما قدموا يعقوب بالذكر على ابائه
لحضوره وللحاضر مزية على الغائب عند المخاطب وربما ذكروه
بالقصد الاول على وجه الاقتصار عليه ثم انهم لما ذكروه خطر
لهم ان يذكروا اباءه ينبهوه انك كما عبدت اله ابائك كذلك
نحن نعبد ما كانوا يعبدون اذ كان شرع اسم الاسلام لابرهيم
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما تدل هذه
الاشارة ان واحدا منهم قال انه ينتفع بانتسابه الى ابائه
الذين كانوا من الانبياء المتقدمين على دينهم فرد الله ذلك
بقوله تلك امة قد خلت اي انقضت مدتها وذهبت بعملها
يقال خلا الرجل اذا صار الى مكان ليس فيه غيره ومنه الخلوة
ومنه الخلا لانفراد الشخص فيه وقوله لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم يؤيد من يقول انه لا يؤاخذ احد عن احد في الاعمال
البدنية ويحتج بقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله نخ

ما كسبت

ما كسبت من الخير والشر اي ما عملته من ذلك والذي اذهب
اليه في هذه المسألة ان ليس للانسان ان يطلب جزاءه الا
ما سعى فيه وليس له بطريق الجزاء الا ما عمله واما عمل غيره
فلا يتعدى له من حيث هو عمل فان العمل لا يتصف به الا عامله
وهو الصحيح وانما الجزاء الذي عين الله على ذلك لعامله هو
رحله يتصرف فيه كيف يشاء فيمسكه لنفسه ويهبه ان شاء
لمن يريد فالذي يوهب له ذلك الثواب فليس هو له جزاء لانه
وصل اليه من غير عمل عمله ولكن من باب الهدية والمنة من صاحبه
كالرجل يأخذ اجرة عمله فان شاء اكلها وان شاء تصدق
بها وقد ورد في الشرع ما يؤيد قولنا وهذا نقول به في الخير
واما في الشر فلا فان الشرع منع من ذلك قال تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تكسب كل نفس الا عليها ثم قال **ولا تسئلون
عما كانوا يعملون** ايضا ولا يسئلون عما كنتم
تعملون **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا**
الاية قولهم تهتدوا اي تصيبوا طريق الحق والمعنى اي يتبين
لكم الحق اذا كنتم على اليهودية بقول وبقول النصارى كونوا
نصارى وهما دينان مختلفان لانه دين عن اهوائهم لا دين انبيائهم
فقال الله لنبيه قل لهم **بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين** اي نتبع نحن وانتم كلمة بيننا سواء وبينكم
ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا

ارباباً من دون الله فهذه هي ملة ابراهيم وقد اخبرنا الله
تعالى وهو في كتابكم ان ابراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً ولكن
كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وانتم معشر اليهود تقولون
عزير ابن الله وانتم معشر النصارى تقولون المسيح ابن الله والمسيح
هو الله فاشركتم فكيف نتبعكم وانتم ما اتبعتم ما انزل اليكم و
القران مما انزل اليكم فاني رسول اليكم جميعاً قولوا امنا بالله
لما قالت اليهود لنا كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى
قيل لنا قولوا لهم امنا بالله اي بوحدانيته وبوجوده وما
انزل الينا وهو القران وما انزل الى ابراهيم واسمعيل و
اسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والوحي وما
اوتي موسى وهو التورية وعيسى وهو الانجيل وما اوتي
اعطي النبيون الالف واللام لاستغراق الجنس من ربهم
من عند ربهم من الكتب والشرائع لا نفرق بين احد منهم
كما فرقتم فامنتم ببعضهم وكفرتم ببعضهم وامنتم ببعض ما
في كتابكم وكفرتم ببعضه ونحن له مسلمون اي منقادون
مستسلمون لاوامره وما يكون منه الينا فان كنتم انتم على
الحق فقد امنا به في هذا العموم وما انتم على حق وانما كان هذا
تنبيه من الله لهم ليقولوا مثل ذلك على الاجمال فيسعدوا ولم
يختلف المفسرون في الاسباط انهم الانبياء من اولاد يعقوب
فمن رأى ان اولاد يعقوب لم يكن منهم انبياء الا ما نص الله عليه كيوسف

كان

كان الاسباط حفدته ويوسف من ولده ومن جعل الاسباط
اولاد يعقوب قال انهم انبياء وانه ما جرى منهم في حق
اخيهم كان قبل نبوتهم قال الربيع الاسباط اثنى عشر
رجلا يوسف واخوته ولد لكل رجل امة من الناس سموا اسباطا
قال ابن اسحق وهذا ابن اسحق هو الذي قال فيه احمد بن حنبل يؤخذ
من حديثه ما رواه من التسيير قال نكح يعقوب ابنة خاله ليا بنت
ليان بن تيمويل بن الياس فولدت له روبيل وهو اكبر ولده
وشمعون ولاوي ويهودا واليه تنسب اليهود وزبالون ويشجر
ودينة بنت يعقوب ثم توفيت ليا فنكح يعقوب اختها
راحيل بنت ليان خاله فولدت له يوسف وبنيامين وولد
ليعقوب من سريتين كانتا له الواحدة اسمها زلفة والاخرى
بلها اربعة نفر دان ونفتالي من زلفى وجاد واشر من بلها
وقد روينا من غير هذا الطريق ان زلفة ولدت له دان ونفتون
وزبوان وولدت له بلها جاد واشر واساخر ثم قال
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
فقوله فقد اهتدوا مقابلا لقولهم حين قالوا لنا تهتدوا
اذا كنتم هوداً او نصارى وكان جوابنا لهم جواب انصاف
معرى من الاهواء التي داناهم الله بها فانه جواب عزوجل
منزل وان تولوا يقول وان اعرضوا عن هذا الايمان
فانما هم في شقاق اي في منازعة وحرب لله ورسوله ومعنا

انك ابيتهم بكلام يشق عليهم سماعه فاداهم ذلك
الى حرب ومنازعة فلا تهتم يا محمد **فسيكفيكهم**
الله فهو قوله فان تولوا فقل حسبي الله اي الله يكفيني امرهم
وهو قوله يا ايها النبي حسبك الله قال تعالى وان خفتم شقاق
بينهما اي نزاعا وهو ان يقول كل واحد ويعمل ما يشق على الآخر
وهو السميع ما يقولون لكم **العليم** بهم انهم يبالغون
ويكذبون على الله وعلى انبيائهم وكتابهم
صبغة الله ومن احسن من الله صبغة
الآية فعلة من صبغ كقعدة من قعد وذلك والله اعلم لما
كانت النصارى تصبغ من دخل في دينها في ماء يقال له المعمودية
لتطهره بذلك الصبغ عن كل دين سواه قال الله لنا ولهم صبغة
الله الذي هو الايمان المطهر القلوب من الكفر والشرك ومن
احسن من الله صبغة هو قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
فلله هذه الصبغة تسعده وتحله دار القرار وصبغتهم ليست
كذلك لانها من شرعهم الذي لم يأذن به الله ونصب صبغة
الله على ان يكون بدلا من قوله بل ملة ابراهيم او نصبا على
الاغراء ويكون ونحن له عابدون مبتدأ فان كان ونحن له عابدون
عطفا على قوله امنا بالله كان نصب صبغة الله على ان يكون مصدرا
مؤكدا لقوله امنا بالله وهو اوجه من الاول لانتظام الكلام على
نسق واحد وقوله **ونحن له عابدون** الضمير يعود على الله

ومعنى

ومعنى عابدون اذلاء تحت امره وحكمه **قل اتحاجوننا في الله**
الآية هذه المحاجة هو قوله فانما هم في شقاق اي في منازعتكم
لكم في الله وما انزل اليكم فقال الله لنبيه قل لهم اتحاجوننا
في الله **وهو ربنا وربكم** عندنا وعندكم فقد ثبت ذلك
واجمعنا عليه نحن وانتم ان الله رب الكل فما فيه محاجة وادعيتم
انتم الشريك معه وهو عزير والمسيح ولم نأتوا على ذلك
بلا نجد وبر وقد يئسنا من رجوعكم الى ديننا ويئستم من
رجوعنا الى دينكم كلمة انصاف قوله **ولنا اعمالنا ولكم**
اعمالكم اي ما عمل كل واحد منا من شيء يجده عند الله
لا خلاف بيننا وبينكم في ذلك قال تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا غير
انه يظهر الحق معنا **ونحن له مخلصون** اي خلصنا له الالوهية
ان يكون له فيها شريك او معين ولم تفعلوا انتم ذلك
ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
قال الله قد تكون ام هنا معادلة لهمزة اتحاجوننا يقول
اتحاجوننا ام تقولون فان الهمزة التي في اتحاجوننا المعنى
فيها الاستفهام والانكار وكذلك ام تقولون فتكون
متصلة وتكون القراءة في تقولون بالتاء المنقوطة من فوق
فان كانت القراءة بالياء فهي منقطعة فانه ذكر عن غائب

والقراءة على الخطاب اولى والعطف اوجه في القرآتين على
ان يكون اي الامرين ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى فتباهتوا في ذلك كانوا اي من ذكرتم
قبل حدوث هذين الاسمين وان اردتم المعنى الذي هو كانوا
دين اليهودية او النصرانية وان حدث الاسم فقد اكذبكم
الله في كتابكم وكتابنا فلهذا قال الله له **قل لهم ءانتم
اعلم ام الله** فلابد ان يقولوا الله اعلم فاطلبوهم بذلك
اي متى اعلمكم الله انهم كانوا كذلك بل انزل الله عليكم و
علينا انهم كانوا حنفاء مسلمين لم يكونوا هودا ولا
نصارى **ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**
اي قد علموا ان الله شهد عندهم في كتابهم بذلك
وكتموه ووجه اخر ومن اظلم ممن كتم من الله وهو يعلم ان الله
يعلم سرهم وعلانيتهم وقد علم انه اعلمهم انهم كانوا مسلمين
فلم يؤدوا هذه الشهادة وكتموها من الله فهذا غاية الجهل
بالله والجحود ويحتمل ان يكون من هنا في قوله من الله كقولنا
اذا شهدنا لاحد بامر هذه شهادة منا له بذلك فيكون الكلام
ومن اظلم منا لو كتمنا شهادة منا لاحد عندنا ليعلم بذلك اهل
الكتاب ان الله عرض بهم في تكذيبهم بنبوة محمد وبكون الانبياء
المذكورين على دين الاسلام وقوله **وما الله بغافل عما يعملون**
وعيد وقد تقدم وكذلك **تلك امة قد خلت** الاية تقدم الترجمة عنها



سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم
الضعفاء الراي الخفاف العقول من الناس يعني مشركي
العرب واليهود والمنافقين وتقديمه الاخبار عن قولهم
قبل قولهم ردع لكثير من شرهم لان الخصم اذا حكى قول
خصمه قبل وقوعه منه كان اقل لشغبه وذلك لتوهم معرفته
ذلك انه قد استعد للجواب واعد له جوابا قاطعا فيتبلد
الخصم عند ذلك وتنكسر حدته وقولهم ما ولاهم استفهام
عن السبب الموجب لتحويل القبلة فكل فريق منهم يحزر على
قدر ما يقع له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى
الى بيت المقدس على ما قيل سبعة عشر شهرا واكثر الروايات
على ذلك وغاب عنهم ما في علم الله من انتهاء مدة الحكم في
التوجه بالعبادة الى البيت المقدس فينا وفيهم لان جميع الناس
مخاطبون بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فشرع لنا
التوجه الى الكعبة حتى لا يبقى بلا شرع اذ لا بد ان نستقبل
بالصلوة جهة ما وجميع الجهات فيكون ذلك مشروعا
حتى يكون لاستقبال العبادة توجه عليها وعلى الصلوة فهو
خير على خير فهذا شرع حادث اتصل بشرع انتهت مدته في علم
الله تعالى فاعلمنا بذلك ومثل هذا لا يسمى نسخا فانه ما رفع
وانما انقضى زمانه فانقضى هو بانقضائه وحدث زمان
لحدث شرع بحدوثه فتخيل الضعيف الراي ان ذلك نسخ وليس

كذلك فان النسخ انما يكون فيما حكمه ان يثبت دائما وفرع
وما كان الامر كذلك فانه ما كان في علم الله قط ان تستمر
الصلوة الى البيت المقدس دائما وان غاب ذلك عنا فنحن في هذه
المسالة غير معتبرين وانما يعتبر ناصب الحكم وهو الله تعالى
وما رأيت احداً احقق هذه المسالة بل اطلقوا القول فيها
من غير تحقيق فقال الله تعالى لما قالوا ذلك **قل** يا محمد **لله
المشرق والمغرب** اي المطلوب بالعبادة انما هو الله تعالى فاية
جهة شاء ان يكلف عباده عينها ويجعل ذلك صراطا مستقيما
لمن شرعها له اي طريقا الى سعادته واتى بمن نكرة وجعل الصراط
منكرة فكرة يقول اي طائفة شئت كلفت باي عبادة شئت
فتكون صراطا له الى سعادته مستقيما من كونه مشروعا مبينا
وكما كان من جعلنا الكعبة اول بيت لنا وضعناه في الارض
لعبادنا ليحفوا به كما تحف الملائكة بعرشنا ويدخله عبادي
كما تدخل الملائكة البيت المعمور وجعلناه خير البيوت وجعلناكم
انتم خير امة اخرجت للناس وجعلناكم امة وسطا شهداء
على سائر الامم جعلنا الاشرف من عبادي على سائر جنسهم
يستقبل الاشرف من بيوتي على سائر البيوت التي نسبتها الي
ومن تحت هذا البيت دحى الله الارض على ما روي
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
الاية يقول ومثل ذلك الكاف للصفة جعلناكم امة وسطا

اي خيارا عدلا فالعجب من هذا كالعجب من هذا فان
افعال الله كلها عجيبة هي نفس الحكمة تجري على غير قياس
ولامثال هذه الاية دليل على ان المؤمن بالله ورسوله وما
جاء من عنده محمول على العدالة مقبول الشهادة ليس
للحاكم ان يرد شهادته ولا يسال عن حاله ويحكم ولا يتوقف
هذا هو الشرع المنزل فان الله زكاه وعدله بالايمان وجعله
شاهدا معتبرا عنده وهو الحكم العدل وكذلك فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد عنده شخص برؤية
الهلال فقال له اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم فقبل
شهادته وامر بلالا ان ينادي في الناس بالرؤية واما قوله
واشهدوا ذوي عدل منكم يقول مؤمنين لم تروا منهم ما
يؤدي الى تجريحهم وليس لكم ان تبحثوا عنهم اذ ليس
في الاية ذلك ويؤيد هذا قوله فيمن حضره الموت في السفر
ذوا عدل منكم يعني مؤمنين او اخران من غيركم اي ممن ليس
بمؤمن فان ادعى الخصم بتجريح الشاهد وانه ذو جرحة في
دينه جرحة ترد بها شهادته توقف الحاكم في الحكم وقيل للخصم
اقم البينة على ما ادعيته من جرحه فان قامت البينة على ذلك
عند الحاكم رد شهادته وان لم تقم عزر الخصم لافترائه عليه
الا ان يكون الخصم مجتهدا فتخيل فيما ليس بجرحة انها جرحة
فليس له تعزيره ويحكم بشهادة الشاهد ويكون الخصم قد اخطأ

في اجتهاده والاوجه عندي في مسألة التجريح انه كل جرحة
لا تقدح في صدق ما يقوله لا يجرح بها في شهادته كاللوطية
وغيرهم فانهم لا يكذبون ابدا ولو مضت في ذلك نفوسهم
واموالهم واولادهم وهم مع ذلك يسرقون ويفسقون
بجميع انواع الفسوق الا الكذب وانما قلنا ان الوسط هو
العدل لان الوسط هو الذي يكون بين طرفين ونسبته
الى كل طرف كنسبته الى الآخر فلا يميل الى احد الجانبين وكذا ينبغي
للشاهد ان يقول الحق الذي يعرفه لا على جهة الميل الى احد الجانبين
وكانت هذه الامة نسبتها الى عزمات امر ربها فيما كلفها
كنسبتها الى رخصه لانها من امر ربها وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى
عزائمه فاتى بكاف التشبيه للتساوي بين المحبتين فميله الى كلا
على السواء ولما كانت هذه الامة ما غلت في دينها كما غلا اهل
الكتاب فلم تفرط ولا قصرت في دينها وفرطت كما فرط من ترك
النظر في الادلة وقادته الشبه الى ترك اشياء مما يجب الايمان
بها ولم تفرط في ذلك كانت امة وسطا وكذا نسبتها الى
الرجاء والخوف فالوسط العام التي تشترك فيه الامة كلها
ونقيضه بعد التناهي انهم لم يفرقوا في ايمانهم بالرسل وما جاؤا به
بين واحد منهم ونسبتهم من حيث ايمانهم الى كل واحد منهم
على السواء ثم يعلو الوسط في الامة خصوصا بعد خصوص

بتفصيل

بتفصيل ليس هذا موضعه الى ان ينتهي الى اخص وصف
في نسبة ما يجري منه من خير وغير ذلك الى الاسماء الالهية ثم
قال انه جعل هذه الامة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
يوم القيمة اذا انكروا تبليغ انبيائهم اليهم رسالات ربهم
مع كونهم ما شاهدوهم ولكن الغرض حصول العلم عند الشاهد
فيما يشهد به لا سبب حصوله وقد علمنا قطعا بما انزله علينا
واخبرنا به في كتابه ان الرسل بلغت اممها وحكى لنا قصصهم
وهذا السبب اقوى من ان لو شاهدناهم فتثبت الشهادة
قطعا للخبر الصدق ولهذا كانت شهادة خزيمة شهادة رجلين
يقبل وحده ويجوز من هذه الاية ان يشهد الشاهد اذا
حصل عنده العلم الذي يقطع به باي وجه حصل وان لم يشهد
ذلك ولا حضره بخلاف الحاكم فانه لا يحكم بعلمه ولا يأثم
والشاهد يأثم ان لم يشهد بعلمه وليس للحاكم ان يسأله
كيف وصل اليه هذا العلم الا اذا عرف انه لم يشهد
تلك القضية المشهود فيها فليس له ان يقبل شهادته الا
حتى يعرف السبب ويعمل بمقتضاه عند ذلك واما قوله تعالى
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا اي رقيبا عليكم
في ذلك اليوم حتى تؤدوا الشهادة للانبياء على اممهم ومنه
قول عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيدا اي رقيبا ما دمت
فيهم وقوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم وقد

تكون على بمعنى اللام فان حروف الجر تبدل بعضها من بعض
ويعرف ذلك بالمعنى قال تعالى وماذبح على النصب اي للنصب
وهي الاصنام التي نصبوها للعبادة فكانوا يقربون لها فعلى
هذا يخرج قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا بعلامات قد جعل
الله في امته يعرف بها المؤمن منهم من غير المؤمن فيشهد للمؤمن
ويشهد على الكافر فمن علامات المؤمنين ان لهم نورا يسعى
بين ايديهم وبايمانهم ومن ذلك ان يأتوا غرا محجلين من آثار
الوضوء وقد يخرج على هذا شهادته على الكفار ممن بعث اليهم
فلم يؤمنوا به فان رسالته عامة لجميع الخلق وكانوا هم اكثر من
مؤمنهم فغلب الكثرة على القلة فاتى بعلى دون اللام وعطف
ضمير المخاطب في عليكم على الضمير في تكونوا لما يتضمن ضمير المخاطب
من المؤمنين فان الانبياء كلهم يوم القيمة يشهدون على
اممهم لله بردهم دعوة الحق التي جاؤا بها اليهم ثم قال تعالى
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا
لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ
يقول قبلة لك اي تتوجه عند الصلوة و في الدعاء الكعبة
وبيت المقدس الا ابتلاء لقومك فانه صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم صلى الى البيت المقدس سبعة عشر
شهرا ثم امر باستقبال الكعبة كل ذلك اختبارا ومحنة لقومه
ودلالة على صدقه وانه في كتابهم من علاماته ان يصلي

القبلتين ولذلك قال وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه
الحق من ربهم ثم قال ليعلم الرسول والمؤمنون لانه سبحانه شرك
في الضمير بينه وبينهم تشريفا لهم لانهم اهل القران فهم اهل
الله وخاصته وهذا كثير في كلام العرب معروف غير منكور
والذي يتعلق به من الثناء ويليق بجناب الحق هو ان يتعلق العلم
بالكائن كما تعلق بسيكون فهو لتعلق العلم لا لاكتساب
العلم ومنه قوله ولنبلونكم حتى نعلم فقال الا لنعلم من يتبع الرسول
فيما نشرع لكم على يده اي يقتدي به من غير معارضة ولا اعتراض
ممن ينقلب اي يرجع عنه على عقبيه يعني الى ضلالته التي جاء منها
مقبلا على الرسول ليسمع منه فلما تبين له الهدى انقلب على عقبيه
فاضله الله على علم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم
حتى يبين لهم ما يتقون وهؤلاء الذين انقلبوا على اعقابهم
في هذه المسألة وغيرها هم الذين يكون غدا جزاؤهم عند الله
اذا قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل لهم من جانب
الحق ارجعوا وراءكم كما رجعتم عند ما رأيتم نور الهدى في الدنيا
على اعقابكم فالتمسوا نورا هنالكم ولن تجدوه وكثرت قالة
الكفار والمنافقين في رجوع النبي عليه السلام الى استقبال
الكعبة في الصلوة بما لا يفيد ذكره وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً
إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ إن هنا المخففة من الثقيلة و
لهذا دخل في خبرها اللام لانه يقرأ بالرفع على زيادة كان

والضمير في كانت يعود على التولية او الجملة وكونها كبيرة حيث
ثقلت عليهم وقد اخبر عن الصلوة انها كبيرة الا على الخاشعين
اي ثقيلة شاقة فقد انضافت اليها كبيرة اخرى وهي التولية الى
الكعبة فزادتهم مشقة الى مشقتهم الا على الذين هدى
الله يقول الا المؤمنون الذين ليس في قلوبهم مرض فان ذلك
كله هين عليهم محبوب لهم اذ ليس لهم غرض في تصريف
مخصوص معين بل هم مرتقبون لما يصرفهم اليه الحق وما
يصرفهم فيه ثم قال لهم وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ اي ليخيب
اِيمَانَكُمْ اي تصديقكم وصلاتكم الى القبلة التي حولتم عنها
لما علم ان بعضهم سيقدح ذلك في نفسه ويقول هل له
اجر في عمله الاول ام لا فاخبره الله بانه لا يضيع عمل عامل
منهم قال تعالى ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا وكيف
يضيعه وهو الذي شرعه ووعد بالاجر عليه ووعده صدق
اِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ عطوف عليهم ولذلك شرع
لهم وابان طريق سعادتهم ولم يعم عليهم ولا لبس رَحِيمٌ
بهم فيما اسبغ عليهم من النعم مع كفرهم به لعلهم يرجعون
ثم اخذ يخاطب نبيه عليه السلام فقال قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ
وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ الآية لما كانت اليهود تقول ما بال
محمد يتبع قبلتنا ولا يتبعنا في ديننا ثقل ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم حيث نسبوه الى اتباعهم في امر وخاف على

الضعفاء في ايمانهم من المؤمنين ان يتعلق بقلوبهم شبهة
من ذلك تقدح في ايمانهم وكانت الكعبة قبلة ابراهيم ابيه
عليهما السلام ومن ملته التوجه اليها فكان يختارها على اليهافكان
سائر الجهات من الاماكن فكان يستقبل السماء لكونها
محل الدعاء شرعا ويكثر تقلب وجهه فيها في عموم اوقاته
عسى ان يكون ذلك التقلب شرطا في علم الله في صرفه الى
الكعبة فكان يقلب وجهه في السماء حسا ووجه قلبه فيما
يسمو من معالي الامور مما يظهر به شرفه اذ كان البيت
اشرف البيوت فقال الله له قد نرى تقلب وجهك في
السماء يعني في طلب استقبال الكعبة فَلَنُوَلِّيَنَّكَ
يقال وليته كذا اذا جعلته واليا عليه قِبْلَةً تَرْضٰيهَا
اخبر الناس باعتنائه به حين لم يعمل ذلك مع غيره قال
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى واستقبال الكعبة
منها فما كره استقبال بيت المقدس فانه صلى الله عليه وسلم
يستحيل عليه ذلك ان يكره ما شرع له وانما كان ذلك
لما ذكرناه فامره سبحانه واوجب عليه ليكون الاجر اعظم
باتيان الواجب فانه يقول ما تقرب الي احد باحب الي من اداء
ما افترضت فقال له فَوَلِّ وَجْهَكَ في الصلوة ونزلت
وهو في صلوة الظهر في شهر رجب قبل قتال بدر بشهرين
فتحول في الصلوة بعد ان صلى منها ركعتين واستقبل الكعبة

وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال وسمي ذلك
المسجد مسجد القبلتين وهو مسجد بني سلمة وقوله شطر
المسجد الحرام اي ناحيته ومواجهته والمسجد الحرام هنا انما
هو الكعبة خاصة ونصبه على الظرف ولا وجه لمن قال انه اراد
المسجد لتعذر حصول العلم باستقبال البيت وما نحن مأمورون
الا بالاجتهاد حتى يغلب على ظننا انا قد استقبلنا عين
البيت وان لم يكن في نفس الامر على ذلك فما كلف الله نفسا
الا وسعها وعلى البعد المفرط يلزم في الحرم كله اي في استقباله
ما يلزم في البيت فلا وجه لذلك القول ثم قال وحيث
ما كنتم من ارض الله واردتم الصلوة فولوا وجوهكم
شطره ثم قال وان الذين اوتوا الكتاب يعني اهل التورية
والانجيل ليعلمون انه الحق من ربك يعني تحويلك الى
الكعبة وصلاتك الى القبلتين فانه مذكور في كتابهم
وهو من جملة الادلة على نبوتك ولكنهم قوم بهت قد ختم
الله على قلوبهم وما الله بغافل عما يعملون
وعيد لهم وشفاء صدور وراحة لرسوله والمؤمنين
ثم قال وان كانت هذه من اياتك التي ظهرت لهم وعلموا
صدقها يقول الله له ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية يقول ولئن جئتهم بجميع الايات كلها التي تدل
على صدقك ما تبعوا قبلتك اي دينك ومنه القبلة

المعروفة

المعروفة وما انت بتابع قبلتهم اي دينهم و
قبلتهم ايضا وذلك بشرى للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه
بثباته على استقبال الكعبة اذ في الامكان ان يصرف الى
قبلتهم مرة اخرى كما صرف اولا ثم اخبر عنهم فقال
وما بعضهم بتابع قبلة بعض
يعني اليهود والنصارى لا يتبع بعضهم دين بعض
ولا قبلته مع اتفاقهم على مخالفتك ثم عرض بهم في
اتباعهم اهوائهم بانهم من الظالمين من بعد ما تبين
لهم الحق وحذر امته صلى الله عليه وسلم والخطاب للنبي عليه السلام
خطاب فرض وتقدير وقد يفرض وقوع المحال مع العلم
بانه غير واقع لكن يؤتى به مفروضا لما فيه من الفائدة فقال
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم انك اذا لمن الظالمين
وهذه صفتهم وهو من قولهم اياك اعني فاسمعي يا جاره
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما
الى قوله تهتدون هذا مثل قوله لا ريب فيه هدى ومن
بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وهو كلام له وجهان
وجه الى ما قبله ووجه الى ما بعده فيجوز الوقف عليه ثم
يبتدأ به فيجوز الذين اتيناهم الكتاب صفة للظالمين وله
وجه الى ذلك يقول انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب

كل م

ان يكون م

فانهم ظلموا بعد ما جاءهم العلم بما جئت به ويقويه قوله
من بعد ما جاءك من العلم ثم يرجع القارئ بعد الوقوف
عليه لبيان ما ذكرناه يبتدى به فيقول الذين اتيناهم الكتاب
يعني اهل التورية والانجيل يعرفونه بتحويل القبلة في كتابهم
فالضمير يعود عليه هنا فانه مذكور ومن اعاده على محمد
عليه السلام فيتكلف وله موضع اخر كما يعرفون ابناءهم
لا يشكون فيه فان اخبار الله لا شك فيه وتقليده
فيما اخبر به علم وتقليد الرجل المراة ان هذا الولد له لا يقوى
هذه القوة لامكان الخيانة والكذب الذي يجوز عليها
والله يستحيل عليه ذلك وانما قرنه بمعرفة الابناء وان كان
يتطرق اليه الشك لوجهين وهما ان مثل هذا من حصول
الفراش والحاق الابن به في شرعهم هو ابنه شرعا ولا يجوز
له انكاره وقد كان هذا مقررا عندهم في الجاهلية يعرف
ذلك من يعرف احكامهم فبهذا القدر وقع التشبيه والا
كان المشبه ابين من المشبه به والمراد زيادة البيان في التشبيه
ثم استثنى العلماء من اهل الكتاب الذين كتموا الحق بعد
علمهم من العلماء الذين ما كتموه ومن المقلدين للكاتمين
والمقرين فاخبر عنهم بكتمانهم الحق بعد علمهم به فقال
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
الالف واللام للعهد والجنس الحق اي كل حق ياتيهم به او الحق

الذي

الذي تقدم ذكره من تحويل القبلة لانه قد تقدم الاخبار
عنهم في ذلك في قوله في اول القصة وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ثم قال
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
بالنصب والرفع فنصبه على وجهين الوجه الواحد على البدل
من الحق المكتوم فانه ابين من الحق الاول باضافته الى الرب
في قوله من ربك والثاني ان يكون مفعولا لقوله وهم يعلمون
الحق ومن رفعه فعلى الابتداء فلا تكن من الممترين في كذبهم
ويكون الحق من ربك تفسير لقول الله وان فريقا منهم
ليكتمون الحق فهذا الحق ما هو ذلك الحق مع انه عليه السلام
لا يمتري في شيء مما يخبره الله ولكن فيه اشارة ودليل على
الاخذ بالظاهر وترك التاويل لما يتطرق الى الكلام من
الاحتمالات في التاويل فكانه يقول هو كما اخبرتك لا
تاويل فيه كما قال ان هو الا ذكر وقران مبين اي ظاهر
ما فيه لغز ولا رمز كما يكون في الشعر فقال وما علمناه
الشعر وما ينبغي له لانه بعث بالبيان الشافي ووضع الشعر
ليس على هذا البناء وان كان يقع فيه البيان ثم قال
ولكل وجهة هو موليها
يقول ولكل امة من الناس وجهة هو موليها اي جهة وقبلة
يولي وجهه اليها ويستقبلها فمن جعل ضمير هو عائد على الله

ليقول انا جعلته يولي نحوها و هنا وجهان الواحد ان ذلك
بقضائنا والهامنا اياه وارادتنا والوجه الاخر قوله
وان من امة الا خلا فيها نذير فاصل نصبها قبلة كان منا
على لسان الرسول الذي بعثناه لتلك الامة او يعود الضمير
على الذي يولي وجهه نحو تلك الجهة ثم قال فاستبقوا الخيرات
اي اجروا مع الخيرات في الجلبه الينا فان الخيرات الينا تقصد
فاذا سابقتموها كنتم معها على طريق واحد فتوصلكم الينا
قال النبي عليه السلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك
والخيرات كل عمل مشروع ووجه آخر فاستبقوا بالخيرات الينا
اي تسابقوا بما شرعنا لكم اركبوها مستبقين الي ووجه
آخر فاستبقوا الى الخيرات اذا رايتموها فبادروا مستبقين
الى الاخذ بها وقوله اينما تكونوا يات بكم الله جميعا
موضع مخصوص للجمع فيه وزمان مخصوص فانه تعالى جامع عباده
اينما كانوا قال تعالى اليه مرجعكم جميعا وهذا يؤيد ان الضمير
في هو موليها يعود على الله وانما وقع التعريف بالاتيان لانه
من الممكنات فاخبر تعالى انه واقع ووجه آخر تعريف للمنكرين
ذلك المحيلين له بحكم جهلهم فيما غاب عنهم ان الله على كل
شيء منه اتيانهم قدير ثم عاد وقال
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
فليس هذا بمعنى الاول من كل وجه فان هناك الامر

بالتولية

بالتولية الى شطر المسجد الحرام من موضع ذلك وما فيه ذلك
البيان لانه قد يحتمل ان يقصد من ذلك الموضع لكونه شرقا او جنوبا
فقال له هنا انما يقصد لعينه من خرجت لا تراعي شرقا ولا غربا
ولا جنوبا ولا شمالا وان كان في الاول ما يدل عليه في قوله
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
فان ذكره على التعيين وتخصيصه يعطي من البيان اكثر
من اشتراكه في الضمير مع امته ولذا خصصه في الثالثة
ايضا مع تشريكه في ضمير المخاطبين من المكلفين من امته
هذا وجه والوجه الاخر ان الاول قرن معه علم الذين اوتوا
الكتاب انه الحق من ربك وما قرن معه علمه بان علمه هو تعالى
انه الحق على الاختصاص لا بحكم التضمين كما اعلمهم وهو عليه السلام
اولى بعلم الاختصاص من ان يعلم من انهم علموا انه الحق وكرره باللفظ
الظاهر حتى يرتفع اللبس ولو كان مضمرا ربما وقع الخلاف
في صاحب الضمير من هو فقال تعالى ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق
من ربك فاعلمه انه الحق من ربه فساواهم في الطريق
الموصلة الى العلم به نصا ثم قال وما الله بغافل عما
يعملون وعيد في كتمانهم الحق المتقدم الذكر
ثم قال ثالثا ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم

بعضهم

شطرهُ فاتى به ظاهرا كما قلنا لارتفاع الاحتمالات التى
تعرض للضمائر وهذا انما ذكره ليبين ارتفاع الحجة عليكم
من المنازعين لكم فى ذلك فكان الاول لمعنى خاص والثانى
لمعنى اخر والثالث لمعنى ليس هو الاول ولا الثانى ذو الاختصاص
لمحمد بالذكر تشريف قال لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ
يعنى اهل مكة القائلين لم ترك محمد قبلة ابيه ابراهيم وقد قال
انه قيل له اتبع ملة ابراهيم وعدل الى استقبال بيت المقدس
فهذه هى الحجة التى اراد الله حسمها عن نبيه فى تحويل القبلة
ولا يلزم من ورود حجة خصم فى امر ما ان يكون ذلك رد الاوجه على
خصم اخر يقول اخر واعتراض لذلك الاخر فى مقابلة اعتراضه
وحجة جواب اخر بدليل اخر اذا ذكره اِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
يعنى عاندوا فيقولون كما بدله ورجع الى قبلة ابائه بعد ان كان
انصرف عنها لا نامن عليه ان يرجع الى ديننا الذى نحن عليه وذلك
انه ما من حالة تكون الا ويمكن ان يكون لها وجوه حجة من التاويلات
فما يتخصص وجه منها دون غيره الا بقرينة حال او دليل واضح
عند من يظهر عنده ذلك فما يعاند المعاند مع معرفته بصحة
ما يعاند فيه الا من اجل الاحتمالات التى تعطى تلك الحالة فيجد
بذلك مساغا ومدخلا الى المعاندة لا غير وحجة موضع
الوقف والا استيناف تنبيه ثم قال فَلَا تَخْشَوْهُمْ
الضمير يعود على الذين ظلموا يقول لا تخافوا ما يقولون ولا تعاينوه معناه

به واهملوهم واطرحوهم من قلوبكم وَاخْشَوْنِي واشتغلوا
بالخوف منى الذى بيدى الضر والنفع وهم لا يضرون ولا ينفعون
وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ عطف على قوله لئلا يكون للناس
عليكم حجة ولاتم نعمتى عليكم وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥
الترجى منهم ان يكونوا من المهتدين وقد تقدم الكلام فى
لعلكم فى اول السورة وقد يكون ولاتم معطوف على شئ مقدر
يقول واخشونى لانعم عليكم ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون
اذا فعلتم هذه الخشية ثم قال كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ
رَسُولًا مِنْكُمْ الاية يقول ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا
مثل ما انعمت عليكم بقبول دعوة ابيكم ابراهيم حين قال هو
واسمعيل ربنا تقبل وابعث فيهم رسولا منهم فارسلت
فيكم منكم معشر العرب رسولا منكم يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
يريد ايات القران وَيُزَكِّيكُمْ باخذ الصدقة
من اموالكم قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وَيُعَلِّمُكُمُ اى يبين لكم ما انزل اليكم فى القران
قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال
تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه
وَالْحِكْمَةَ يقول كيف تكونون حكماء وَيُعَلِّمُكُمْ
مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ٥ يعنى ما كنتم به جاهلين من يوم
الجمعة وغيره مما يقربكم العلم به الى سعادتكم اذا العلوم على

قسمين علم لا يتضمن عملاً وعلم يتضمن عملاً فاما العلم الذي
يتضمن العمل فافعال العبادات لا تعلم الا من جهة واما العلم
الذي لا يتضمن عملاً كالعلم بما ينسب الى الحق مما لا يقتضي دليل
العقل نسبته اليه وكالعلم بالاخرة ومواطنها وما يكون
فيها مما ينفع العالم العلم به وهذا كله لا يعلم الا من طريق
الشرع اذ العقل لا يستقل بادراك شيء من هذا بل ربما يحيل
العقل الضعيف بعض الاطلاقات الشرعية ويتكلف فيها
التاويلات البعيدة فهذا معنى قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ثم قال فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ
أشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۞
يقول سبحانه فاذكروني بهذه النعم التي قررتكم عليها واتممتها
عليكم التي لا تحصى كثرة سرا في نفوسكم وعلانية في ملاء
من عبادي تعلموا به الجاهل وتذكروا به الناسي والغافل
اذكركم جزاء لذكركم اياي فمن ذكرني منكم في نفسه ذكرته في نفسي
ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه يعني الملائكة
قال واشكروا النعمة وقرنها بقوله تعالى فقال واشكروا لي وهذا
شكر خاص وهو اعلى الشكر وحق الشكر وهو ان ترى جميع النعم
منه حين تقف الناس مع الاسباب التي يرسل الله النعم عند
وجودها فلذلك قال اشكروا لي وقد بالزيادة للشاكرين قال
ولا تكفرون اي ولا تستروا نعمي فانه يقول النبيه لما قال له

ووجدك

ووجدك عائلا فاغنى واما بنعمة ربك فحدث ومن حدث
بها فما سترها وقال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وكفران
النعم على وجهين كفر بمعنى الجحد والستر لها لجهله بالمنعم الحق
سبحانه وهم الذين يعتقدون ان الله لا يعلم الجزئيات
والوجه الاخر من كفرها وقوف العبد مع الاسباب التي حصلت
النعم عليه عندها لغفلته وهذه حالة اكثر المؤمنين وكانه
يقول في هذه الاية ولا تكفرون كما كفر اهل الكتاب بما انعمت
عليهم فيما قد اخبرتكم في قولي يا بني اسرائيل اذكروا يا بني
اسرائيل اذكروا في غير ما موضع من كتابي وابنت لكم عن كفرهم
نعمي فلا تكفروا انتم كما كفروا ثم انبه سبحانه بالمؤمنين من عباده فقال
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞
لما تقدم مقالات اهل الكتاب وغيرهم مما آذوا به الله ورسوله
والمؤمنين قال الله للمؤمنين استعينوا على ما تجدونه في انفسكم
من الالام لذلك وطلب الانتقام منهم ومؤاخذتهم بالصبر
اي بحبس نفوسكم عن الاشتغال بهم ان الله صبور مع الصابرين
فتخلقوا باخلاقه مع كونه قادرا على اخذهم ويسمع اذاهم ويعلم
في ذلك سرهم ونجواهم وانتم انما تسمعون ذلك منهم في اوقات
متفرقة واستعينوا ايضا بالصلوة اي اشتغلوا بمناجاتي
والحديث معي عن ذلك وقصدا لى الصلوة دون سائر العبادات

من الفرائض والنوافل لوجهين الواحد ان ما ثم عبادة تتضمن
مناجات الحق والحديث معه وان يقول معه ويقول له الا الصلوة
فهي مشغلة للعبد على عما سواها فقيل له استعن بالصلوة فان
الصوم ليس فيه شغل بحديث مع الله ولا غيره ثم ان فرضه شهر
في السنة والزكاة كذلك والحج مرة في العمر والجهاد متى ما حضر
عدو ونوافل هذه العبادات كذلك انما تكون في ازمان بعيدة
والصلوة مستصحبة ليلا ونهارا فرضها ونافلتها واوقات النهي
اذا كان على طهارة ينتظر الصلوة فهو في صلاة فما امرهم الحق
الا بما يكون لهم معونة بلا شك على ذلك • ووجه اخران
الصبر هنا في هذه الاية هو جهادهم وقتالهم اي احبسوا
نفوسكم على قتالهم والفتك فيهم فان الله معكم مؤيد
وناصر وهو الاظهر لانه سبحانه اردف هذه الوصية بقوله
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات وهو الاوجه في تفسير
الصبر هنا على الجهاد ولما كان القتال مشغلا عن الصلوة اوصى
بالصلوة اي ان الاشتغال بها امام العدو مع احتداد القتال
على معاينة منهم لذلك ارهاب في قلوبهم ليعلموا ان في
مقابلتهم رجالا لا يشغلهم خوف هجوم عدوهم عليهم في
حال صلوتهم وايضا يقول لهم الله لما امرتكم بالصبر الذي
هو حبس النفس على قتال الاعداء عن الصلوة اذا حضر وقتها
لا يشغلكم ذلك فان في حضوركم معي فيها تقوية لكم ومعونة

عن صلوتهم

فانها

فانها مذكرة لكم انكم بعيني واني معكم ومن قتل منكم فانه
لا يموت بل هو حي عندي فقال تعالى
وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ
لا يلزم من كون الانسان حيا كونه مجتمع الاجزاء على
هيئة مخصوصة او ذا دم سائل او ذا نفس وانما يلزمه
قيام الحيوة به مجتمع الاجزاء كان او مفترق الاجزاء وغير
ذلك ولا يلزم لروحه ان لا تدبر هذه الاجزاء الا على هذه
الهيئة المخصوصة بل يجوز ان تدبرها على غير هذه الهيئة
ولا يلزم من قيام الحيوة به ان تدرك كونه حيا فان الحيوة
ليس من ادراك الحواس واذا تقرر هذا فقد يكون الشهيد
في سبيل الله حيا ولا نشعر بذلك لوقوفنا مع العادة
في عدم الحركة والتنفس من المقتول فقال تعالى في حق الشهداء
في سبيل الله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝
اي لا تعلمون بحياتهم على العادة التي عهدتموها يقوي
بذلك نفوس المؤمنين الذين قال لهم استعينوا بالصبر
فان قتلتم فالينا تنقلبون احياء لا تموتون اذ كان الخوف
من الموت عند الناس اشد الخوف فأمنهم الله من ذلك
ولما قال قائل انما نهينا ان نقول خاصة قلنا في قوله بل احياء
جوابك ثم زاد الله في بيان ذلك قوله ولا تحسبن

الذين قتلوا في سبيل الله امواتا اي كما قلت لك لا تقولوا انهم
اموات لا تعتقد ايضا انهم اموات والعلم ليس محله اللسان
مثل قوله فنهينا عن الامرين عن القول والاعتقاد ثم قال
ولنبلونكم بشيء الى قوله
المهتدون وذلك انه سبحانه لما امر المؤمنين بالصبر على
اذى نفسي غير محسوس وهو ما يجدونه في انفسهم من قول
الكفار قد يمكن ان يكون منهم دعوى في الصبر فقال لهم الله
اني ابتليكم بامور محسوسة تتألم النفوس لاجلها فان صبرتم
عندها واحتسبتم ولم يشغلكم ذلك عن عبادتي ورجعتم
الي في ذلك كله فسأبشركم بما لكم عندي لذلك فقال تعالى
ولنبلونكم بشيء اي بتقليل من الخوف اي من الاسباب المخيفة
من جمع عدو لكم لا طاقة لكم بدفعه حتى ارى هل تخافون غيري
او ترجعون في دفع ذلك الي لعلمكم بان ذلك من تسليطي ثم قال
والجوع اي وقلة الرزق وعدمه حتى يمسكم الجوع فيرى
هل ترجعون في دفع الم الجوع الي والى الرزق ثم قال ونقص
من الاموال موت الابل والغنم فانها اموالهم فخصوها
بهذا الاسم وقلوبهم منوطة بها والانفس بطاعون
يسلطه الله عليهم والثمرات بالجوائح فان احتسبوا
ذلك وصبروا على ما كلفهم الله من عبادته في كل ما ابتلاهم
به ولم يشغلهم ذلك صدقوا في صبرهم فبشرهم الله فقال

وبشر الصابرين ثم نعت الصابر ليعلم من هو الصابر
عنده سبحانه الذي يصح له البشرى من الله لان ذلك
لا يدرك الا باعلامه فقال في نعت الصابرين الذين
اذا اصابتهم نالتهم مصيبة اي نزلت بهم رزية
في اموالهم او انفسهم اية مصيبة كانت مشتق من صاب
السطر اذا نزل قالوا انا لله اي انا خلقنا لله لا لانفسنا
اي ليعبدوه لانه يقول وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما خلقنا للرزق ولا للنعيم ولا لبؤس فما كان من الله الينا من
خير فمن فضله ومنته وما كان من غير ذلك فمن حكمه وقضائه
فالواجب علينا القيام بوظيفتنا من عبادته في هذه الاحوال
المختلفة من النعيم والبؤس وانا اليه راجعون
فيها على حسب ما كلفنا فان كلفنا بالسؤال له في دفعها
رجعنا اليه سائلين متضرعين داعين في رفع ذلك عنا
من حيث ما امرنا لتكون عبادة لا من حيث دفعها عنا من
حيث ما هو دفع ورفع فاذا فعلوا ذلك كانت البشرى لهم
قوله اولئك عليهم صلوات يريد كثرة الرحمة فجمعها
لانه نكر المصيبة وهي تقتضي عموم المصائب فجعل الجزاء
مطابقا في التعميم والتنكير اي ننزل عليهم الصلوات والرحمة
كما نزلت بهم المصيبة نزول بنزول وقال من ربهم فان الربوبية
تقتضي صلاح الامور واولئك هم المهتدون اي هم

الذين ابان الله لهم انهم ما خلقهم الا ليعبدوه فاهتدوا
بأن لم ينسوا ما خلقوا له
إن الصفا والمروة من شعائر الله
الآية الصفا والمروة موضعان مرتفعان بمكة معروفان
كان على عهد المشركين على الصفا صنم من حجر اسمه اساف
وعلى المروة اخر يسمى نائلة كان المشركون اذا سعوا بين
الصفا والمروة يتمسحون بهما تبركا والحج القصد الى الشيء
على التكرار والاعتمار الزيارة والتطوع نوافل العبادات
والجناح الاثم والشعائر الاعلام والبيت هنا الكعبة والتطوف
التردد على الشيء مرارا فقال تعالى ان الصفا والمروة اي هذين
الموضعين من شعائر الله اي من المناسك التي جعل الله الوقوف
عليهما والسعي بينهما لمن حج او اعتمر قربة اليه سبحانه وعلما
من اعلام القرب في الحج الى الله **فمن حج البيت**
الالف واللام للتعريف والعهد يقول فمن قصد البيت
حاجا او معتمرا **فلا جناح** اي فلا اثم **عليه** عند الله
أن يطوف بهما اي اذا طاف بينهما فان المؤمنين
خافوا ان يكون عليهم اثم في الطواف بينهما من اجل الصنمين
الذين كانا عليهما فلم يريدوا التأسي بالمشركين فاخبر الله
المؤمنين انه لا اثم عليهم في ذلك لكون الحق جعل ذلك مشروعا
للمؤمنين **فمن تطوع خيرا** فمن فعل من افعال الخير ما ندب

اليه ولم يجب عليه **فإن الله** يشكره على ذلك **عليم**
اي يعلم ان العبد اذا تقرب الى الله بما لا يجب عليه ان ذلك من
تعظيم الله في نفسه قال الاعرابي للنبي عليه السلام حين ذكر
له فرض الحج هل علي غيره قال لا الا ان تطوع فجعل فعل
ما لا يجب تطوعا وكان الحق في هذه الآية حيث ذكر اسم
الشاكر انه يحرض عبده ويطلب منه الزيادة من النوافل
كما انه سبحانه يزيد للشاكر النعم لشكره كما قال ولئن
شكرتم لازيدنكم وصف نفسه سبحانه بانه يشكر
عبده على ما تطوع به ليزيد في تطوعه فكان تنبيها واختلف
الناس في السعي بين الصفا والمروة في الحج هل هو واجب
ام لا فان النبي عليه السلام قال في حجة الوداع خذوا عني
مناسككم فامر فمعناه عندي ان يؤخذ من المناسك
ما بين انه فرض على جهة الفرضية والوجوب وما بين انه سنة
امر ان يؤخذ على انه سنة لا على انه فرض وكذلك احد التطوع
فمتعلق الامر انما هو اخذ الحكم على الفعل بالوجوب وغيره
فقال جماعة منهم مالك والشافعي وابن حنبل وابن راهويه
انه فرض واجب وحجتهم قول النبي عليه السلام حين سعى بين
الصفا والمروة اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقد تكلم
في هذا الحديث وهم يرون ان الاصل في افعاله في هذه
العبادة الوجوب الا ما خرج بدليل وقد ذكرنا معنى قوله عليه السلام

خذوا عني مناسككم وخرج الخبر في الآية
مخرج الامر عندهم وقال الكوفيون هو واجب وهو عندهم
دون الفرض وفوق التطوع وعلى تاركه دم وليس بركن
من اركان الحج وقال انس وابن عباس وغيرهما هو تطوع و
احتجوا بالآية فلا جناح عليه ان يطوف بهما كما قال فلا
جناح عليهما ان يتراجعا وهو مذهب عايشة الطواف بينهما على نحو
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
في هذه الآية دليل على لحوق الاثم بمن سئل عن علم من علوم
الدين فكتمه وانه يجب عليه ان يفتيه اذا علم ذلك
ولا يتوقف وقد ورد في الخبر استوصوا بطالب العلم خيرا
ومن سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار وقد نهى الله
نبيه عن انتهار سائل العلم تعليما لنا فقال واما السائل
فلا تنهر لانه قال له ووجدك ضالا فهدى اي حائرا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان يقول ان الذين يكتمون
اي يخفون ما انزلنا من البينات يقول من الادلة على صدق
ما جاء به والهدى في الكتاب المنزل عليهم من بعد ما بيناه
من اجل الناس فيه فاخفوه عن لا يعرف الكتاب وهم المقلدة الاميون
اولئك اشارة الى الكاتمين ذلك يلعنهم الله يطردهم الله عن كل

ما فيه راحة لهم وخير في الدار الآخرة فان اللعن في اللسان
الطرد واللعين المطرود ويلعنهم اللاعنون يحتمل وجهان
الوجه الواحد ان يكون لعنتهم اياهم قولهم لعنهم الله على
جهة الدعاء والوجه الآخر يوم القيمة حين تطردهم الملائكة
عن الجنة اذا عاينوها في قوله الله يستهزئ بهم فذلك
لعنة اللاعنين ثم استثنى منهم من رجع عن ذلك الكتمان
واصلح اي وعمل صالحا فامن بالله ورسله صدقا من قلبه
وبينوا واعلموا من لا يعرف الكتاب من الاميين المقلدين ما
انزل الله وبينه في كتابه من الادلة على صدق رسله ووعده
ووعيده واحكامه فقال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم ارجع عليهم برحمتي
فانعم عليهم بالخير الذي طردتهم عنه وانا التواب
الرحيم قد تقدم تفسيره ثم قال فيمن لم يتب
ومات على كفره ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار يقول من استصحبه حال الكفر حتى مات
عليه اولئك عليهم لعنة الله اي يستصحبهم
الطرد من الله والملائكة والناس اجمعين
ثم الناس وهو قوله تعالى فيهم يوم القيمة ثم يكفر بعضهم
ببعض ويلعن بعضهم بعضا وما عداهم فهو مؤمن
والمؤمن بلا شك يلعنه بلعنة الله مع الملائكة فلهذا عم بقوله

الناس ثم اردفه بقوله خالدين فيها يعني في اللعنة
مقيمين لا يخفف عنهم العذاب ما لهم وقت
راحة منه ولا هم ينظرون • يؤخرون عن العذاب
قال تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
اي يؤخر الى ان يجد ما يؤدي به دينه ثم قال
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
الاظهر في هذه الاية وحدانيته في الالوهية ونفيها
عما سواه وليس في ظاهر الاية عند العرب نفي ما سوى
الالوهية عنه وان كان دليل العقل يعطي ويقضي بان
ذاته لا جنس لها ولا مثل ولا تنقسم ونحن انما نريد تفسير
الاية بمقتضى كلام العرب بالنظر الى خصوص هذا اللفظ
المعين في هذه الاية فليس الا ما ذكرناه ، والحمد لله
ولما نزلت هذه الاية في توحيده سبحانه اكثر المشركون
من ذلك التعجب وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشيء عجاب واكثروا الانكار في ذلك وطالبوا النبي عليه السلام
على احديته فانزل الله تعالى بالدليل صح
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
الى قوله لقوم يعقلون فجعل وجود كلما ذكر في هذه الاية
دليلا على احديته لمن يعقل موضع الدليل من الذي ذكره
كما قال تعالى في التنبيه لهم على موضع الدلالة مما ذكره

لوكان

لو كان فيهما يعني في السماء والارض آلهة الا الله لفسدتا
فانه قد اجمعنا مع المشركين على ثبوته سبحانه وخالفونا في
الاحدية فكان الدليل المنصوب لهم من عند الله على
احديته انه لو كان له شريك في فعله يسمى الها لكان لا يخلو
اما ان يختلفا في كون الشيء او يتفقا فان اختلفا فالذي
ينفذ اقتداره هو الاله والذي يعجز ليس باله وان اتفقا
نقدر الاختلاف فيلزم منه ذلك بعينه وتقدير الامكان
في المحال بالفرض كوقوع الكائن من احد الامكانين على السوا
وهذا القدر كاف فيما تعطيه عقول الاعراب فانه لا اجهل
ممن اتخذ شريكا مع الله واما قوله في خلق السموات و
الارض فيحتمل ان يريد وجودها واعيانها وقد يحتمل ان
يريد ايجادها فان الخلق قد يرد بمعنى الفعل وهو حال تعلق
القدرة بالمقدور ومثل قوله ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم وقد يرد بمعنى المخلوق باظهر
الوجوه كقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من
دونه اي مخلوق الله وبهذا ذمهم الله فقال اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم قال واتخذوا من دون الله اولياء
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون واما فيما ذكره في سائر الاية
من اختلاف الليل والنهار وانزال الماء من السماء واحياء
الارض بعد موتها بما اخرج فيها من النبات وجري الفلك

في البحر بمنافع الناس وانبات الدواب كلها من الحشرات وغيرها
في الارض وتصريف الرياح وتسخير السحاب بين السماء والارض
فما تعرض في الذكر لاعيانها كما تعرض للسماء والارض اذ
كان كل ما ذكره متولدا فيهما وبينهما فدخل ذلك كله في ذكر
السموات والارض فعدل لما يطرأ فيهما من الاحوال العارضة
دائما لها فما من حالة تطرأ الا ويجوز خلافها فيفتقر الى وجود
مرجح مختار وان يكون واحدا لما ذكرناه قبل وهذا بالنسبة
الى عقولهم اقرب دليل يوضع في الاحدية وهو الذي ارتضاه
اكثر ائمة اهل الكلام وقالوا به وساقوه احسن مساق
ونحن اوردناه مختصرا لثقتنا بسرعة فهم السامع الى المقصود
من ذلك وقد وقفت للشيخ الامام الاوحد السيد سيف الدين
الامدي ايده الله على دليل نصبه بياض صحيح
في احدية الحق سبحانه ونفي اله اخر لم يسبق اليه في علمه
ولا في علمنا ولا وجد في كتاب احد من المتكلمين المتقدمين
وتبرز به على اقرانه ولولا ان هذا الكتاب يضيق عنه لسقناه
كما ذكره فمن اراد ان يقف عليه فلينظره في كتاب
ابكار الافكار له في علم الكلام

ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يقول ومن الناس من يتخذ من دون الله فكفى بهم جهلا
انهم اتخذوه والاله ما يكون بالاتخاذ ولا بجعل جاعل

وانما الاله الحق اله لنفسه اندادا اي شركاء وقد تقدم
تفسير الند في اول السورة ثم قال **يحبونهم كحب الله**
يقول كحبهم لله ثم شهد للمؤمنين تزكية لهم فقال
والذين امنوا اشد حبا لله فانه لا شك انه من افردك
بالصفة الشريفة اعظم ممن جعل معك فيها شريكا فانقسمت
محبة المشركين بين الهتهم مع الحق فضعفت ان تبلغ في
القوة مبلغ حب المؤمنين باحدية الله **ولو يرى**
يا محمد **الذين ظلموا** يعني المشركين او الظالمين
مطلقا والاول اوجه **اذ يرون العذاب** ينزل بهم
يوم القيمة فانهم يعلمون في ذلك الوقت **ان القوة**
لله جميعا يعني القوة اجمعها التي كان المشركون قد فرقوها
على الالهة والانداد الذين اتخذوها **و**يعلمون **ان الله**
شديد العذاب كما قال تعالى ان اخذه اليم شديد
وقال ان بطش ربك لشديد **اذ تبرأ الذين اتبعوا**
العامل في اذ ايضا لو ترى اذ تبرأ شركاؤهم وان كانوا
حجارة فان الدار الاخرة هي الحيوان ينطق فيها كل شيء
قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء نعم وتبرأ منهم رؤساؤهم الذين
اضلوهم وجعلوهم يشركون من الذين اتبعوهم وهو
قوله وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل حتى ينظروا

ويحثوا على وجه الحق بل كنتم مجرمين اي مستحقين بالعذاب
وقد يكون العامل في اذ ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا اي في هذا
الوقت وَرَأَوُا الْعَذَابَ هذا الواو واو الحال باتهم
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ التي كانوا يظنون
في الدنيا انها توصلهم الى سعادتهم وتشفع لهم عند الله
كما كانوا يزعمون في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً يعني رجوعا الى الدنيا نتبرأ منكم ومن
عبادتكم والانقياد اليكم مثل ما تبرأتم اليوم منا في وقت
حاجتنا وضرورتنا ولو ردوا لعادوا واعمى الله ابصارهم
فمن كتبه الله شقيا لا يسعد ومن كتبه سعيدا لا يشقى
ولا يبعد كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ يقال حسرت عن الشيء اذا كشفت عنه كذلك اعمالهم
حسرت عن العذاب اذ كانت اعمالهم في الدنيا سترا عليه
وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ كما قال في اهل السعادة
لما ذكر كونهم في الجنة وما هم منها بمخرجين فان الله
ما ذكر اية رحمة في القران الا والى جانبها اية عذاب وان
افردها فستجد اختها ايضا مفردة في موضع اخر من القران
ومن تتبع القران وجده على ما قلناه وهذا نص في
استمرار كونهم في النار الى غير نهاية فالمشرك ليس بخارج من النار

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
كلوا مما في الارض مما يؤكل حلالا مصدر من حل يحل
حلالا اي اطلقت لكم الاكل مما في الارض مما احللته لكم
وقوله طيبا اي ليس في اكله تنغيص عليكم بل لذة ونعيم
في الدنيا والاخرة قال تعالى والطيبات من الرزق قل هي
للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ولو كان عليها
مناقشة حساب لم تكن خالصة ولا وقعت للمومن بها
لذة واعلم ان ذلك في مجرد الاكل الحلال والحساب انما يقع و
السؤال في كسبه والوصول اليه لا في اكله اذا كان حلالا فان
يغمض هذا المعنى على اكثر الناس ولا تتبعوا خطوات الشيطان
يعني في كسب هذا المأكول وتحصيله فتاخذوه مما حرمت
عليكم اخذه فنهينا ان نقتدي بالشيطان ونمشي على اثره
فان الله قد اعلمنا انه لا يمشي في طاعة وانه مخالف لامر الله
وانه لنا عدو مبين ظاهر العداوة وقد بينا في اول السورة
ما معنى عدو والخطوة بفتح الخاء الفعلة الواحدة وبضم الخاء
ما بين قدمي الماشي في هذه الاية دليل على ان الكافرين مخاطبون
بفروع الشريعة فانهم داخلون في هذا العموم فخاطبهم
بان ياكلوا مما احل لهم ولا يتبعون خطوات الشيطان ثم قال
إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

انزل الناس منزلة الحاضرين وخاطبهم في الحقيقة انهم
مشاهدون له حاضرون عنده فانه قد اخبر باخذ الميثاق
عليهم وقد ورد في الصحيح ان النبي عليه السلام راى اسوده
عن يمين آدم وعن يساره وذكر انها نسم بنيه فصح ان يقول
لهم مخاطبا انما يامركم يعني الشيطان بالسوء اي بما تسوء
عاقبته في الدار الآخرة والفحشاء اي بما يفحش ذكره ويقبح و
هو العمل بمعاصي الله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
من تشريعكم لانفسكم ما لم ياذن به الله فتقولون هذا حلال
وهذا حرام وتقولون هو من عند الله وما هو عند الله
وتقولون على الله الكذب افتراء فجعل هذا كله من امر الشيطان
لهم في نفوسهم وهو لمته ووسوسته **وإذا قيل لهم**
الضمير يعود على المقلدة لا على علماء الكفار **اتبعوا**
ما أنزل الله بدلا من اتباعكم ما امركم به الشيطان
في قلوبكم **قالوا بل نتبع ما ألفينا** اي وجدنا **عليه آباءنا**
من الدين ولذا قلنا ان الضمير يعود على المقلدة وان عاد على
الجميع فيكون هذا القول من مقلديهم خاصة وفي هذا
تحريض على النظر في الادلة وذم التقليد في الاصول و
الفروع فانه عم بقوله ما انزل الله فدخل تحته جميع الاحكام
وهو الاوجه فان الاصول تثبت بالادلة العقلية ولا
يحتاج فيها الى انزال وحي من الله بخلاف الفروع فانها لا تعلم

الا بانزال وحي من الله وهو قوله اتبعوا ما انزل فنعم وحمله
على ذم التقليد في الفروع اوجه واولى فلا يبقى من التقليد الا
نقل الدليل من المفتي الى السائل عن الله او عن رسوله او الاجماع
في المسالة التي يسال فيها فلو قال له المفتي هذا الحكم رايي
حرم عليه اتباعه عندنا والاخذ به فليس في الشرع من التقليد
محمود غير هذا لانه لا بد منه ثم قال **أولو كان**
تاتي بهمزة الرد والتعجب من فعلهم ذلك وتقليدهم
آباءهم والواو للحال اي تتبعون اباءكم ولا تعرفون هل كانوا
على الصواب فيما دانوا انفسهم به لله وانه كان عن نظر في
ادلة او كانوا على خطأ في ذلك والآيات بين ايديكم والمعجزات
فلم لا تنظرون فيها فهو توبيخ وتعجب من قلة استعمالهم
لعقولهم فيما يكون فيه سعادتهم ثم شبههم وشبه الرسول
في دعائه اياهم بمثل فذكرهم دون الداعي له لدلالة المعنى عليه فقال
ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء
يحتمل هذا المثل وجهان الوجه الواحد انه ضربه مثلا
للكافرين للرسول الذي يدعوهم الى الحق ولهم والوجه الاخر
انه ضربه مثلا للكافرين ولمن اتخذوه آلها من دون الله
وهل الضمير في كفروا يعود على الناس الكافرين كلهم
من اهل الملل او يعود على كفار اليهود خاصة فنقول ان كان

المثل للرسول ولهم فيكون معناه ومثل الذين كفروا ومثل
دعاء الرسول لهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
فعند غير اهل طريقتنا خرج عباد الاصنام والاوثان
من هذا المثل وعندنا لم يخرج منهم احد عن هذا المثل
فان الاصنام عندنا تسمع وتشهد على متبعيها كما ورد في
انه يشهد للموذن مدى صوته من رطب ويابس وتسبيح
الحصى في كف النبي عليه السلام فخرق العادة عندنا لم يكن في تسبيح
الحصى وانما كان في ادراكنا ما لم نكن قبل ندركه قال تعالى وان
من شيء الا يسبح بحمده فجرى المثل على كل من عبد غير الله ممن
هو بهذه الصفة وليس التشبيه هنا براعي الغنم والابل فانها
تفهم عن الراعي اذا نعق بها ما يريد بذلك من مشي وورود ماء
ونهي عن اكل وانما الاوجه نداء الشخص بالوحوش الشاردة
فاذا سمعت نداء تخيلت انه الصائد فندت وشردت عن نداء
كذلك الرسول يريد ان يوقعهم في حبالة الايمان ويقيدهم
عن مسارحهم التي كانوا فيها فيشردون عند دعائه خوفا
من ذلك ويكون التشبيه مطابقا والوجه الاخر ان يشبههم
في دعائهم آلهتهم اذا لجؤا اليها في اوقات ضروراتهم فلا
يجيبونهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وهم كما
قلنا الوحوش الشاردة فاذا سمعت آلهتهم اصواتهم بنسبة
الالوهية لهم فرقوا من ذلك وتبرؤا منهم الى الله مما نسبوه لهم وهم لا يشعرون

الى الله

لانهم لا يحسون بذلك منهم وقد ختم الله عليهم فلا يجيبونهم
الا بامر الله وقوله الا دعاء ونداء كلام صحيح فان السمع انما متعلقه
الصوت والفهم من قوة اخرى وهو العقل فذكر ادراك النداء
والدعاء وما ذكر ادراك المعنى المقصود من ذلك الدعاء وقوله
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ تقدم الكلام في تفسيره وقوله فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ وقال فيمن تقدم فهم لا يرجعون فهؤلاء
عرفوا الحق وما رجعوا وهؤلاء سمعوا وما فهموا لانه جاءهم
بما خالف ما كان عليه اباؤهم فلم يعلموا ذلك ولا استعملوا
عقولهم في النظر فيه قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ الآية خطاب للمومنين بالاكل من طيبات
ما رزقناكم فان كانت من للتبيين فهم منه ان مسمى
الرزق يكون حراما وحلالا فامرنا ان ناكل من حلاله
ونعمل في الحرام ما امرنا بالعمل فيه في مواضع كثيرة فما امرنا قط
في هذا ولا الا عن الاكل ومن جعل من للتبعيض حمل الرزق
على الحلال ولكن التبعيض يضعف فانه معلوم ضرورة
فانه لا يخلو الطيب من الرزق الذي يملكه اما ان يكون اكثر من
حاجته في الوقت فالتبعيض لا بد منه واما ان يكون مقدار
الحاجة او دون الحاجة فيبطل معنى التبعيض فالتبيين اولى
منه ثم قال وَاشْكُرُوا لِلَّهِ تقدم القول عليه في قوله
واشكروا لي ولا تكفرون ثم قال إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

فامتثلوا امره فيما امركم به من كل الطيب الذي هو الحلال
المستلذ ومن الشكر عليه قوله انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله
غفور رحيم لما كان من قولهم على الله ما لا يعلمون
تحريم امور لم يحرمها الله واتخذوها شرعا ما انزل الله
به من سلطان عرفنا الله سبحانه في هذه الآية بما حرمه على
كافة عباده اذ كانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة
لجميع الناس فقال تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم
فالالف واللام للتعريف اي التي تسميها العرب ميتة في عرفها
والحيوان قسمان بري وبحري فاتفق العلماء على تحريم ميتة
البر واختلفوا في ميتة البحر على ثلاثة مذاهب فطائفة قالوا
هي حلال مطلقا وهو مذهب مالك وغيره وذهب آخرون
الى تحريمها مطلقا وفرق آخرون فقالوا ما جزر عنه البحر فهو
حلال وما طفا من السمك فهو حرام ولكل فريق حجة موضعها
كتب الاحكام واختلفوا في ميتة الجراد لانهم اختلفوا فيه
هل هو بري او بحري فمن قال انه بري وغلب عليه حكم البر
الحقه بميتة البر ومن غلب عليه حكم البحر لحديث الترمذي انه
نثرة حوت الحقه بميتة البحر واما الدم فمن جعل الالف
واللام للجنس عمم ومن جعله للتعريف حمله على الدم المسفوح

في قوله تعالى او دما مسفوحا فقيده فاتفق العلماء على تحريم
الدم المسفوح من الحيوان المذكى واختلفوا في غير المسفوح
منه والسفح الذي يشترط انما هو الدم السائل من التذكية
في الحيوان الحلال الاكل اذ الدم السائل من الحي فهو حرام
بلا خلاف قليله وكثيره وكذلك ما سال من دم الحيوان
المحرم الاكل وان ذكي فقليله وكثيره حرام بغير خلاف واما
اختلافهم في دم الحوت فمن حرمه فبعموم اللفظ ومن احله
فليس له دليل الا انه راى ان الدم تابع في الحرمة والحل لميتة
الحيوان فما كان ميتته حراما فدمه حرام وما كان ميتته
حلالا فدمه حلال واما لحم الخنزير فاتفقوا على تحريم
لحمه وشحمه وجلده ما لم يدبغ جلده واما الشحم وان فارق
اللحم بالاسم فان اللحم يوصف به فيقال لحم شحيم اي سمين فكان
جنسا من اللحم يسمى شحما وقوله وما اهل به لغير الله الاهلال
رفع الصوت والمراد هنا ما ذبح لغير الله اي سمي عليه غير الله
على جهة القربة والعبادة لمن ذبح له وهو قوله وما ذبح على النصب
ويتفرع هنا مسائل ليس هذا موضعها وقوله فمن اضطر
فيه وجهان المكره ومن مسته مجاعة يتوقع منها تلف الروح
غير باغ اي غير طالب لذلك من غير اكراه ولا مجاعة ولا عاد اي
ولا يتعدى عند الاخذ قدر الحاجة لذي المجاعة وقدر ما يكره
عليه من ذلك للمكره يقول فلا اثم عليه اي لا حرج عليه في ذلك من الله

وقوله ان الله غفور رحيم والمغفرة تستدعي ذنبا او شبهة
ذنب والذنب الحاصل هنا انما هو شبهة الذنب فتتعلق
بذلك المغفرة من الله وهو يرجع الى الاكل في جهله قدر الحاجة
لانه عسير جدا فقد يزيد من حيث ما يرى انه محتاج على الحاجة
التي تكون بها حيوته وقد ترجع المغفرة للعلماء المجتهدين
الذين ذكرناهم في اطلاق التحريم واطلاق التحليل والقول
بالتفرقة في ذلك ولا بد ان يكون في احد هذه الاقوال اصابة
وخطأ كما نص عليه الشارع فالخطأ متحقق في بعض هذه الاقوال
من غير تعيين فاخبر الله تعالى انه غفور لذلك وقد يمكن ان يكون
راجعا لمن لم يوف حق الاجتهاد المطلوب منه لما غاب عنه
في ذلك من معرفة ماهية الاجتهاد وقوله رحيم بما رخصه
من ذلك ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
الى قوله لفي شقاق بعيد دخل في هذا التعريف اهل الكتاب
وغيرهم وقد بينا ما كتم اهل التورية والانجيل من ذلك قبل
ويدخل في هذا التعريف الحاكم يحكم بخلاف علمه المشروع لم
الحكم به لرغبته في اقتناء مال او جاه او سلطان وهو الثمن القليل
فانه منقطع ويبقى الوبال عليه فقد يعتقد الحاكم ان الحكم
الصحيح عنده الذي يدين الله به هو امر ما عنده فاذا عرف
من السلطان انه يسره الحكم بخلاف ذلك لغرض له فيه
فيقضي الحاكم بما يوافق هواه مما لا يعتقده حقا ولا ينجيه من هذه

الخطيئة ان يكون ذلك الحكم الذي رجع اليه مذهب
بعض الائمة فان ذلك القول عنده خطأ لا يدين الله به
ولولا السلطان ورغبته في اخذ المنزلة عنده بذلك
ما حكم به فنسال الله العافية والعصمة من ذلك وهو احد
القاضيين اللذين في النار وقوله اولئك اشارة الى
الذين يكتمون ما ياكلون في بطونهم الا النار
هذا موجود في كلام العرب معروف يقال اكل فلان سرجه
وثوبه اي باعه واكل بثمنه ما يؤكل فكنى عما يحصل له من
الجاه والمتاع بالاكل ولا يكلمهم الله لما كان تكليم
الله عباده شرفا لذلك نفاه عنهم وقوله اخسئوا فيها
على هذا يكون كلام الملك عن الله قال تعالى فاجره حتى
يسمع كلام الله وقوله ولا يزكيهم اي لا يطهرهم
ولا ينمي خيرهم ولهم عذاب اليم موجع وقوله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فاما في حق الكفار فقد بيناه في اول البقرة واما ما يختص
بالحاكم من هذا فهو ان الحق الذي كتمه ولم يحكم به
هو الذي اشترى بكتمانه اياه الثمن القليل والضلالة
التي حكم بها ولو اراد الشرا بالذي حكم به
لم يقل بالهدى لانه ليس عنده هدى وانما هو ضلالة وما
ذكر انه اشترى بالضلالة وقوله والعذاب بالمغفرة

لما كان الهدى مكتوما في هذه القضية جعل المغفرة
التي هي الستر وجعل العذاب للضلالة وقوله فما اصبرهم
على النار تعجبا يدل على انهم عارفون بالحق وانهم مخلدون
به من عند الله فقام لهم هذا العلم مقام من هو في النار
وقوله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق
يقول وما عملوا ومن ذلك انه نقيده بما نغلب على ظنه
انه الحق فلم يحكم به وان الذين اختلفوا في الكتاب
ليسوا المؤمنين ولا علماء اهل الكتاب فانهم عالمون به
وانما هذا في الطائفة التي قالت في الكتاب انه شعر وسحر
وغير ذلك وقوله لفي شقاق يوم القيمة في عذاب
يشق عليهم حمله بعيد . زواله عنهم وقد يكون
عبارة عن منازعتهم فيه ومشاقتهم بعضهم مع بعض
ويكون قوله بعيد يعني عن اصابتهم الحق في ذلك
ليس البر ان تولوا وجوهكم
الاية يخاطب اليهود والنصارى لما كثرت قالتهم في
تحويل القبلة وكل طائفة منهم تحب ان تستقبل قبلتها
فانزل تعالى ليس البر ما انتم عليه من تولية وجوهكم
في صلواتكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر اي الاحسان المقرب الى الله تعالى من
امن بالله اي بر من امن بالله والوجه عندي في ذلك

لما كانت الاية تقتضي المدح والثناء بقيام هذه
الاوصاف التي عددها ذكر من قامت به تتميما اذ كانت
الصفة اذا تحقق بها الموصوف هي والموصوف كالشيء
الواحد فاقام من الذي هو الموصوف مقام الايمان
الذي هو الصفة وهو مبالغة في الثناء فالمعنى ولكن البر
الايمان بالله اي بوجود الله وتوحيده وفي هذا رد على المعطل
والمشرك واليوم الاخر خلافا لمنكري البعث الجسماني
والملائكة خلافا لمن يجعلها قوى والكتاب
يريد الكتب المنزلة من عند الله والالف واللام للجنس
خلافا لمنكريها انها من عند الله من اهل النظر وقوله
والنبيين خلافا للبراهمة ومنكري الرسل واتى
المال على حبه يقول واعطى المال لحبا لله وقد يعود
الضمير على المال اي يعطيه على حبه فيه اي على انه يحبه
قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فكان
ابن عمر يشتري السكر ويتصدق به ويقول
اني احبه ويتلو هذه الاية وهو الاوجه في التاويل
ونعني بهذا العطاء صدقة التطوع والتضييف و
الهدية والهبة وقوله ذوي القربى يريد صلة
الرحم واليتامى من لا مال له منهم والمساكين
الذين يسكنون الى الناس ليعطوهم وان لم يسالوا ابتداء

وابن السبيل ضيافة المسافر والسائلين الملتمسين
العطاء من المحتاجين وغيرهم وفي الرقاب معونة المكاتبين
في كتابتهم واقام الصلوة بحدودها ولوازمها واتى
الزكوة المفروضة والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا مع الله ومع غيرهم على الوجه المشروع الذي
اباح لهم الشرع ان يعاهدوا عليه ومنه الوفاء بالنذر
والصابرين في البأساء في حال الشدائد
والضراء فيما يتضررون به مما فيه قربة الى الله وحين
البأس المجاهدين في سبيل الله اولئك اشارة الى
القائمين بهذه العبادات الذين صدقوا اي اخذوها
بقوة وصلابة في الدين لان الصدق الصلابة في الدين
يقال رمح صدق اي صلب يقول صدقوا مع الله في ذلك
واولئك هم الذين سميناهم بانهم المتقون من عبادي
الذين كتبت لهم رحمتي وقد تقدم المتقي من هو وان
ما ذكره في هذه الاية صفة المتقي يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الحر
بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
يقول فرض عليكم القصاص في القتلى ان قتل حر حرا قتل به
وان قتل انثى انثى قتلت بها لا يقتل حر بعبد لم يقتل ولا
رجل بامرأة لم يقتلها وما تعرض في الاية الى حكم الحر بالعبد

و لو قتل عبد عبدا قتل به

ولا

ولا الذكر بالانثى حتى يدعى في هذه الاية النسخ فاذا
ورد حكم اخر في الكتاب والسنة عمل به وكان زيادة حكم
وانما تكون هذه الاية منسوخة لو لم يقتل حر بحر ولا عبد بعبد
ولا انثى بانثى وما قال في الاية ولا يجوز غير هذا
ولو قال ذلك لكان النسخ يرد على قوله حكما
ولا يجوز غير هذا الثبوت الحكم فيما ذكره
ولا خلاف ان هذا الحكم في قتل العمد
واما شبه العمد او الخطا فله حكم اخر اذا
ورد يرد الكلام عليه والشرط الذي يجب به القصاص في
المقتول هو ان يكون دم المقتول مكافيا لدم القاتل و
الذي به تختلف به النفوس هو الاسلام والكفر والحرية والعبودية
الذكورية والانوثية والواحد والكثير ولا خلاف بين العلماء
ان المقتول اذا كان مكافيا للقاتل في هذه الاربعة انه يجب
القصاص فثبت بهذا الاتفاق ان هذه الاية ليست بمنسوخة و
ان النبي عليه السلام انما كان حكمه بين الحيين في السبب الموجب
لنزول هذه الاية ان لا يقتل بالمقتول غير قاتله كما ذكرناه ثم قال
فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان
فيه وجوه منها اذا عفى ولي المقتول عن القود وقبل
الدية فيطلبها من القاتل بمعروف اي برفق على وجه مشروع

ولا يستطط في الدية بان يطلب الغاية القصوى في سمنها
وحسنها وليطلب بحكم التوسط في ذلك وليؤدي القاتل اليه
ذلك باحسان اي بحيث يطيب قلبه ووجه اخر وهو فمن
عفي له اي بقيت له من دية اخيه بقية فليطلبها كما ذكرناه
سواء كثرت او قلت وقد يكون للدم اولياء فيعفو بعضهم
فيسقط القود وتتعين الدية فيطلبونها بالمعروف اي بالعدل
كما ذكرناه **ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**
من الذي كان مكتوبا في ذلك على اهل الكتابين فكتب على
اليهود القتل وليس لهم ان يعفوا ولا ان ياخذوا الدية
وعلى اهل الانجيل العفو ليس لهم قتل ولا اخذ دية فوسع
الله علينا وعليهم فخفف بان خيرنا في احدى ثلاث قود
او عفو او دية فالرحمة باولياء المقتول ان اخذوا الدية
انتفعوا بها وان قتلوا اشتفوا صدورهم وكان ذلك كفارة
للقاتل ورحمة في حق القاتل ان قتل فكفارة وان عفي عنه
او اخذوا الدية فقد ابقيت عليه حيوته ليتوب ويرجع
فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
اي من اعتدى على القاتل فقتله بعد اخذ الدية او العفو
او اعتدى في القود اذا تولى قتله ان يمثل به يقول بعد فرض
الحكم الذي شرعه الله على حد ما شرعه في القصاص ان
يقتل بمثل ما قتل به وهو قول جماعة او يقتل بالسيف وهو

قول جماعة اخرى ولكل فريق حجة ليس هذا موضعها
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۝
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ يقول لا يقتل بالمقتول سوى
قاتله لان العرب كانت تقتل الجماعة بالواحد وقد يريد بالقصاص
اخذ الدية فتبقى حيوة القاتل عليه وقد يكون القصاص ردعا
وزجرا فيقل القتل خوفا من القصاص وقد يكون جميع هذه
الوجوه مقصودة بالقصاص وفي هذه الاية شرف للعقول
وانه ما خاطب بالحكم الا العقلاء وقوله لعلكم تتقون
تقدم تفسيره في اول السورة **كُتِبَ عَلَيْكُمْ**
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ
لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝
يقول فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت يعني اذا جاء اجله
ان ترك خيرا اي مالا فله ان يوصي لوالديه بماله الذي يملكه
والذي يملكه من حضره الموت من ماله انما هو الثلث لا غير
فللانسان ان يهب ماله كله الذي ملكه الشرع صحيحا او مريضا
لان التمليك للشارع وتلك الوصية حقا لله عليه في
ماله ان اتقى الله وذهب بعضهم الى انه يعصي من لا يفعل ذلك
والاقربون هنا من لا يرث كالخالة والخال وقد جاء
النص في بر الخالة والوصية عليها وقد جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث فاما الاقربون فيسوغ

فيهم ما ذهبوا اليه واما الوالدان فيتعينون وقد قال
وبالوالدين احسانا فما المانع ان يجمع الله لهم بين الوصية و
الميراث اذ كان حقهم اعظم الحقوق واوجبها والقرآن نص مقطوع
به وقد اتفقوا على انه لا يجوز الوصية لوارث فاذا وقعت
فاجمعوا انه لا يجوز اذا لم يجزها الورثة واختلفوا اذا
اجازتها الورثة وقال الاكثرون يجوز وقال اهل الظاهر
لا يجوز وان اجازتها الورثة وحكى ذلك عن المزني والذي
يقتضيه النظر ان تنفيذها من كونها وصية لا يجوز وقد رفع
الشارع حكمها ان تكون وصية اذن فليست بوصية شرعا
واذا لم تكن وصية وتعين القدر الذي ذكره الميت فيقسم على
الورثة باسرهم ما لم يعين قرابة مخصوصين فان عين فالاولى
بالورثة اذا سمحوا باعطاء هذا المال صدقة منهم عن الميت
ان يوصلوه لمن عينه على حكم ما عينه وهي عندنا عبادة غير
معللة وقوله بالمعروف حقا على المتقين يؤيد انها غير منسوخة
وانها غير مخالفة لآية المواريث فيكون المعنى كتب عليكم ما
اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم الآيات كلها فاعملوا فيها بالمعروف
واعطوا كل ذي حق حقه كما اوصى الله بالمعروف حقا واجبا
على القاسم لها ان يتقي الله فيها على انه قد روي عن بعض اهل
العلم انه يجمع للوالدين بين الوصية والميراث ومن قال بالثاني وبل

الاول

الاول لجعل المعروف ان لا يتجاوز الموصي الثلث ويعمل بالعدل
في ذلك فمن بدله اي من غيره ما وقعت به الوصية
بعد ما سمعه من الموصي فانما اثم التبديل على من بدله
ان الله سميع ما اوصى به الميت عليم به وفيه وعد الحكيم
فمن خاف اي توقع من موص جنفا ميلا عن الحق
وهو لا يدري او اثما متعمدا لذلك فتنازع الموصى لهم
في ذلك فاصلح بينهم فلا اثم عليه وان اخطا في القسمة
او في رد ذلك الى الوجه المشروع في اجتهاده ان الله غفور
في حق المصلح والميت الذي ما تعمد الخطا رحيم بالكل
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
الآية يقول فرض عليكم الصيام وهو الامساك عن
كل ما امر الشرع ان يمسك عنه الصائم من طلوع الفجر المستطير
الى غروب الشمس بنية القربة الى الله تعالى عبادة كما كتب
اي مثل ما فرض على الذين من قبلكم من الامم الخالية
لعلكم تتقون الله فيما امرتم به من الامساك عنه
من اكل وشرب ونكاح وغيبة زمان الامساك ثم قال اياما
معدودات فقللها لان بنية افعال لجمع القلة وكذلك
افعل وافعلة وفعلة ونصب بكتب الاول على المفعولية و
كذلك ايام شهر رمضان بالنسبة الى ايام السنة قليلة ثم قال
فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من

أيام يأتي تفسيره في الآية التي تلي هذه والذي يتعلق من ذلك
بهذه الآية انه من رجح الصوم على الاطعام لما كان مخيرا بينهما
مع الطاقة كان حكمه اذا مرض او سافر عدة من ايام اخر اذ
قد انقضى زمان شهر رمضان بنية الصوم لولا المرض او السفر
فلا يجوز له في القضاء الاطعام كما جاز في زمان رمضان
لان الصوم قد ترتب في الذمة بالترجيح في زمان التخيير وانقضى
الزمان على ذلك ثم قال وعلى الذين يطيقونه اي يصومونه
طاقتهم فدية طعام مساكين لكل يوم اطعام مسكين
واختلف الناس في قدر ذلك والاولى ان يكون الاطعام بنصف
صاع من طعام اذ قد نص الشارع عليه في بعض الكفارات
فالرجوع الى الرسول عليه السلام عند الخلاف اولى فمن تطوع خيرا
اي زاد على الواجب من جنسه فاطعم اكثر من مسكين او اكثر
من نصف صاع فهو خير له اي اعظم لاجره وان تصوموا
به لا من الاطعام خير لكم عند الله واعظم اجرا ان كنتم
تعلمون اي ان علمتم بما اعلمتكم وهذه الاية مختصة
بالمرضع والشيخ والعجوز وان كانوا قادرين على الصوم
لكن ببذل المجهود من طاقتهم وخرج من هذه الاية غير هؤلاء
بالاية الاخرى فارتفع الحكم بالتخيير الى الحكم بوجوب الصوم
في حق قوم موصوفين بصفة مخصوصة ولم يرتفع فيمن ذكرناهم
اذ احكام الشرع تتبع الاسماء والاحوال فلكل اسم وحال حكم

ليس

ليس للاخر وهو اشد الوجوه المذكورة في هذا الفصل
شهر رمضان الى قوله تشكرون نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقال رمضان فان رمضان
اسم من اسماء الله تعالى وقولوا شهر رمضان فيكون معناه
شهر الله وان كان رمضان اسم لهذا الشهر فاراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم رفع اللبس فاذا امنا الالتباس
قلنا ان نقول رمضان قال عليه السلام من قام رمضان
ايمانا واحتسابا وقال من صام رمضان ولم يذكر لفظة شهر
لانه امن الالتباس في ذلك اذ الغرض التعريف عند السامع
بما قصده المتكلم قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن فهذا دليل على ان ليلة القدر في رمضان لانه
قال انا انزلناه في ليلة القدر يعني القرآن يقال نزل الى
السماء الدنيا في هذه الليلة جملة واحدة وقيل نزل
منه في كل ليلة القدر في رمضان قدر ما ينزل منه
على النبي صلى الله عليه وسلم في سائر السنة وقد ورد ان
الصحف والكتب المنزلة على الانبياء نزلت كلها في رمضان
فوصل الينا من ذلك ان صحف ابراهيم نزلت اول ليلة من رمضان
والتورية لست خلت منه والقرآن لاربع وعشرين ليلة خلت
منه فيكون نزول القرآن ليلة القدر ليلة خمس وعشرين من
رمضان ووجه اخر في قوله الذي انزل فيه القرآن اي الذي

٧ والانجيل لثلث عشرة ليلة خلت منه

انزل في شأن القرآن يريد بذلك قوله تعالى كتب عليكم الصيام
يقال نزل القرآن في شأن عمر بكذا او كذا وقوله هدًى للناس
منصوب على الحال والعامل فيه انزل وبينات ودلائل واضحات
يهتدى بها ويفرق بها بين الحق والباطل ثم قال فمن شهد
منكم الشهر فليصمه يقول من كان حاضرا في اهله
مقيما فليصمه ومن كان مريضا او على سفر يقول او في
سفر او على عزم سفر اذا دخل مدينة واقام بها لشغل يقضيه
وهو عازم على السفر في كل يوم وقد يستروح منه فطر الصائم
يوم خروجه قبل خروجه وان لا ينشئ الصوم من الليلة التي
عزم على السفر في صبيحتها وقوله فعدة من ايام اخر قال
بعض العلماء انه الواجب وان صام رمضان لم يجزه وعليه
عدة من ايام اخر في السفر والحضر حيث شاء صامها بخلاف
شهر رمضان ثم قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وهو رفع الحرج في الدين كما قال وما جعل عليكم في الدين
من حرج ولتكملوا العدة ثلاثين ان غم عليكم و
لتكبروا الله حامدين على ما هداكم اي وفقكم لصيامه
وقيامه ولعلكم تشكرون ٥ اي ولتشكروا
ايضا برخصته لكم بفطره في السفر والمرض فان الرخصة نعمة
من الله يجب الشكر عليها والعمل بها قربة كالعمل بالعزائم
واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب

الآية

الآية يقول لنبيه عليه السلام اذا سألك عبادي عني من
كان منهم تدل قرينة الحال ان سؤالهم عنه سبحانه اذا دعوه
ما يكون منه اليهم قال فقل لهم عني اني قريب اجابة دعوة
الداع اذا دعاني ولكن اذا دعاه عن ظهر قلب محقق معرض
بقلبه عما سواه وهذا حال الاضطرار ومتى اختل هذا الشرط
م فادعاه ثم قال كما انهم اذا دعوني لحاجاتهم اجيبهم
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم الى الايمان بي وبملائكتي وكتبي
ورسلي وما جاؤوا اليهم به وليؤمنوا بي اي لاجيبهم اجابة
اخرى جزاء لاجابتهم لي وقرن السين في اجابتهم
للمبالغة في ذلك اذ كان ثم مزيد عوهم الى غير الله ثم قال
لعلهم يرشدون ٥ يقول يتخذون سبيل الرشد في ذلك
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
كان الامر قبل نزول هذه الآية في الصوم ان الصائم اذا
صلى العشاء الآخرة او نام قبل ان يفطر حرم عليه ما يحرم على
الصائم من الاكل والشرب والنكاح وان عمر بن الخطاب
واقع اهله بعد صلوة العشاء فلما فرغ ندم وبكى واخبر
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني اعتذر الى الله
واليك من نفسي هذه الخاطئة فهل تجد لي رخصة فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انك لم تكن جديرا بذلك يا عمر
الحديث بطوله فانزل الله احل لكم ليلة الصيام الرفث

الى نسائكم وهو كناية عن الجماع يقال الرفث والرفوث وهو
الافصاح بما يجب ان يكنى عنه فى الجماع وقوله ليلة الصيام اى
الليلة التى يصبحون فى صبحتها صائمين فكان لهم النوم و
صلوة العشاء حدًّا للمنع مثل ما صار طلوع الفجر بعد ذلك
وما انزل الله فى هذه قضاء ذلك اليوم على عمر ولا غيره ممن نزلت
فى سببه الاية فارتفع القضاء عن من جامع فى رمضان وهو
صائم ووجبت الكفارة بالسنة ولم يثبت فى ذلك حديث
القضاء وقوله **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** اى يلابس
بعضكم بعضا بالسكون فهى له شعار وهو لها دثار واذا
لابسها فقد خالطها واتحد بها وصورة ذلك ان الزوجين
اذا اجتمعا مكافحة وامتص كل واحد منهما ريق صاحبه
وسرى من نفسه فيه فحصل من ذلك النفس ورطوبات ذلك
الريق عند الامتصاص بالتقبيل فى جسم كل واحد منهما
روحا حيوانيا به حيوة ذلك الشخص فهذا معنى هن لباس لكم
وانتم لباس لهن اذ الروح الحيوانى هو البخار الخارج من
تجويف القلب وذلك البخار هو الذى خرج من كل واحد منهما
ودخل فى جوف الاخر فكان روح كل واحد منهما روحا لصاحبه
فاتحدت ارواحهما وتجاورت اجسامهما ثم قال
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
اى تعملون فى اكتساب خيانة انفسكم فان التاء زائدة

بلغ

اذ الاختيان افتعال من الخيانة ومن رحمته ان قال تختانون
انفسكم ولم يقل تخونون الله اذ كان المؤمن لا يقصد بالمعصية
انتهاك حرمة الله لما فى قلبه من تعظيم الله وانما الانسان
تغلب عليه الشهوة فى ذلك الامر فيتوجه الى تحصيله ويذهل
عما فى فعله من ترك تعظيم واجب حق الله فيه ويعلم ان له ربا
يأخذ بالذنب فما خان المؤمن ربه وانما خان نفسه حيث
فوتها ما لها من الاجر فى الوفاء بالامانة فقال سبحانه لما
علم هذا منهم وانهم خانوا انفسهم لم يخونوا ربهم
ولا رسوله كان هذا القدر شفيعا لهم عند الله فاخبر
فقال **فتاب عليكم** اى رجع عليكم بتحليل ما كان حرمه
عليكم **وعفا عنكم** يقول واذهب عنكم تحريم ذلك
يقال عفا رسم الدار اذا ذهب اثرها ودرس واتى بالعفو
دون غيره لانه يتضمن ازالة التحريم وعدم المؤاخذة على
الخيانة **فالان باشروهن** يقول جاء زمان الاباحة
فباشروهن كناية عن النكاح ولم يذكر الرفث هنا لانه صار
حلالا فذكر من الكنايات ما لا يقبح عند العرب ذكره وذكر
الرفث اولا لانه وقع منهم فى وقت التحريم وهو كناية يقبح
ذكرها عند العرب لقربها فى استعمالهم من لفظة التصريح
الذى هو النيك ولهذا قرن هذه اللفظة بالفسوق فى الحج
فقال فلا رفث ولا فسوق ولم يقل غيرها من الكنايات وذلك

لما فيهما من الانفصاح عن الفعل وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا وابحثوا عما فرض الله لكم من تحليل وتحريم فاحكموا فيه بما حكم الله ان كان حراما فحراما وحلالا فحلالا ومن جملة ذلك اباحة الوطئ من غروب الشمس الى طلوع الفجر وكذلك ايضا اباح الاكل والشرب حتى يتبين لكم الخيط الابيض الذي هو بياض النهار من الخيط الاسود الذي هو سواد الليل من الفجر المستطير الممتد عرضا مع الافق وهو انفجار الصبح من الليل كانفجار الماء من الحجر فيحرم عليكم ذلك ما ذكرت تحليله بالليل لكم ثم اتموا الصيام الى الليل اي الى غروب الشمس وليس الحد هنا داخلا في المحدود بخلاف قوله وايديكم الى المرافق وقوله وارجلكم الى الكعبين فان الحد هنالك داخل في المحدود وليس الفرق بينهما من اللفظ فانه على السواء وانما خرج هذا عن حكم هذا بدليل استفدناه من الشارع والالف واللام في الفجر للتعريف بالفجر الثاني المعترض فان الفجر فجران فجر اول وهو ذنب السرحان وهو يأخذ في الطول طالبا كبد السماء ثم تعقبه ظلمة ثم بعد ذلك يطلع الفجر الثاني وهو الحد المشروع وفي هذه الاية دليل على جواز النية في صوم رمضان من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس اذ النهار من طلوع الشمس الى غروبها والليل من غروب الشمس الى طلوعها والفجر حد مشروع في منع الاكل والشرب

والنكاح

والنكاح للصائم فمن نوى في ذلك الوقت فقد بيت واما قول النبي عليه السلام ان بلالا ينادي ليلا فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم ~~فهو قولنا ان الفجر حد مشروع في منع الاكل والشرب والنكاح للصائم فمن نوى في ذلك الوقت فقد بيت واما قول النبي عليه السلام ان بلالا ينادي ليلا فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم~~ فهو قولنا ان الفجر حد مشروع في منع الاكل وقوله لئلا يقول ان الليل يشتد بالتمكن اذ لم تبد علامة اقبال النهار فالفجر علامة اقبال النهار وفي قوله اتموا الصيام الى الليل ان الصيام يتم بدخول الليل وان الليل ليس بمحل للصوم سواء اكل او لم ياكل فيندرج فيه ان الوصال وان جاز فليس بصوم وانه مفطر شرعا وان لم ياكل فلا اجر في ذلك من حيث ما هو تارك للاكل لا من حيث هو صائم ولهذا واصل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو يواصل اي يستصحب ترك الاكل وقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قيل نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب وعمار بن ياسر وابي عبيدة بن الجراح كان احدهم يعتكف فاذا اراد الغائط رجع من المسجد الى اهله بالليل فيباشر ويجامع امراته ثم يغتسل ويرجع الى المسجد فانزل الله هذه الاية وقرنها بشرطين الاعتكاف وكونه في المسجد فاذا اجتمعا فلا

كالربيبة التي في الحجر مع الدخول بالام واذا انفرد احد الشرطين
لم يلزم الحكم حكم تحريم الجماع للمعتكف في غير الجامع المسجد
وقد قيل بذلك فليس للمعتكف في المسجد ان يجامع اهله ليلا او
نهارا ما دام في هذه العبادة وفي هذه الاية دليل على جواز الاعتكاف
في المساجد كلها فانه عم بلام الجنس والاعتكاف الاقامة في
المسجد ادنى ما ينطلق عليه اسم اقامة من ليل او نهار بنية
القربة والعبادة لله تعالى فمنع المعتكف من المباشرة وما
منعه من الاكل والشرب كما منع الصائم فدل على جواز الاعتكاف
بغير صوم وانه عمل مستقل وقوله **تلك** اشارة الى ما تقدم
من ذكر الاحكام كلها من صوم ووصية وقصاص يقول
تلك **حدود الله** التي حدها ليوقف عندها ولا يتجاوز
ثم قال **فلا تقربوها** مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فاذا لم يقرب المكلف
الحد فاحرى ان يتعداه فان الصائم اذا عانق او قبل او لمس
فقد قرب من الجماع الذى منع منه فهذا هو القرب ثم قال
كذلك يبين الله اياته للناس يظهر الادلة الواضحة
على ما شرع **لعلهم يتقون** يحذرون الوقوع فيما حرم
عليهم وقد يكون تقربوها تأتوها وهو الاوجه فان
تقبيل الصائم مشروع وما قال فلا تقاربوها ثم قال
ولا تاكلوا اموالكم بينكم

بالباطل وتدلوا بها الى الحكام
لتاكلوا فريقا من اموال
الناس بالاثم وانتم تعلمون
يقول ولا تاكلوا اي لا يأخذ بعضكم مال بعض بوجه
حرمه الله وقوله تدلوا بها اي تلقوها الى الحكام لتعرفكم
بوجوه المحاكمة والخصومة فيحكم لكم الحاكم على حد ما يسمع
فيقضي لك من مال اخيك وانتم تعلمون انكم على الباطل
فيما تدعون به وذلك على ثلاثة اوجه اما بحسن الخصام
ومعرفته بالجدل حتى يظهر الباطل انه في صورة الحق واما
باليمين واما بشهادة الزور وان كان الحاكم سوقيا فالرشوة
وما في ضمنها من جاه وخوف من ذي سلطان والسبب
في نزول هذه الاية ان امرئ القيس بن عابس الكلبي وعبدان
الحضرمي اختصما في ارض وكان الطالب عبدان والمطلوب
امرئ القيس ولم تكن لعبدان بينة فاراد امرؤ القيس ان يحلف
فقال النبي عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الى اخر الاية فلما سمعها امرؤ القيس كره ان يحلف
ولم يخاصمه في ارضه وحكمه فيها فقال النبي عليه السلام انما
انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشيء من
حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فان ما اقضي له قطعة من

النار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال
اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
ونزلت الاية ولا تأكلوا ومعنى وتدلوا ولا تدلوا فجزم
او منصوب باضمار ان **يسألونك عن الأهلة**
الآية السائل جماعة منهم معاذ بن جبل وثعلبة وهما من
الانصار فقالوا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو مثل
الخيط ثم ينمو حتى يمتلي ثم ينقص حتى يعود كما بدا فانزل
الله يسألونك عن الاهلة ثم قال له **قل** لهم يا محمد
هي مواقيت للناس والحج
فسماها اهلة ولم يقل هلالا فان للهلال في كل
ليلة حالة من نقص او زيادة ليس لليلة الاخرى فهلال
الليلة ما هو عين هلال الليلة التي قبلها ولا التي بعدها
فان الذي به سمي هلالا هذه الليلة على الاختصاص انما هو
لاجل الزائد او ما بقي بعد النقص وانما سموه هلالا لانه الحالة
التي تكون من الحي تتبين له في اول الشهر فيهلون عند
رؤيته اول الشهر اي يرفعون اصواتهم تعريفا بانه قد ظهر
والاهلال رفع الصوت فيه سمي هلالا فقال الله جعلت
ذلك مواقيتا اي اوقات للناس في فطرهم وصومهم وتاجيل
ديونهم وصلحهم مع الكفار وكل فعل يضرب له اجل كالطلاق
والحيض والحج وخص الحج بالذكر وان كان داخلا في قوله

مواقيت للناس والحج فان الحج لهذا البيت ليس من
خصوص الناس بل يحجه الملائكة وغيرهم ممن ليس لهم
احكام البشر التي ذكرناها من المداينات والمصالحات
والاهلة مواقيت لهم في ذلك ثم شرع فيما يتعلق بالحج فقال
وليس البر بان تأتوا البيوت
الآية مثل هذه الاسباب ينبغي ان تذكر حتى يعرف ما
معنى دخول البيت من ظهره او كيف يدخل منه فاعلم
ان سبب نزول هذه الآية ان الانصار كانت في الجاهلية
والاسلام اذا احرم احدهم بالحج او العمرة وكان من
اهل المدر وهو مقيم في اهله لم يدخل منزله من قبل
الباب وكان يوضع له سلم الى ظهر البيت فيرقى فيه وينحدر
منه الى بيته او يتسور من الجدار او يثقب ثقبا في ظهر
بيته فيدخل منه ويخرج حتى يتوجه الى مكة محرما
وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من وراء بيته
وان النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوما نخلا لبني النجار ودخل
معه قطبة بن عامر الانصاري من بني سلمة من جشم من
قبل الجدار وهو محرم فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من الباب وهو محرم خرج قطبة من الباب فقال رجل
هذا قطبة خرج من الباب وهو محرم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما حملك ان تخرج من الباب وانت محرم فقال

يا نبي الله رأيتك خرجت من الباب وانت محرم فخرجت
معك وديني دينك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
خرجت لاني من الحمس فقال قطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
ان كنت احمس فانا احمس وقد رضيت بهداك ودينك
واستننت بسنتك فانزل الله في قول قطبة بن عامر
للنبي صلى الله عليه وسلم ليس البر اي ليس من البر المشروع
ولا المعقول بان تأتوا البيوت **مِنْ ظُهُورِهَا**
وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ
اي تقوى الله والقائم الموصوف بها مقامها به او يكون
ولكن البر بر من اتقى وقد تقدم الكلام عليه في ليس البر ان
تولوا **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** فحصل من الفائدة
في هذه المسألة ان الانسان اولا كان اذا دخل من
باب بيته اتى مباحا او محظورا والان قد اقترن بالامر
فيكون في اتيان المحرم الى بيته من الباب عن امر الشرع ماجورا وان
كان مباحا فانه ما اتاه الا لامر الشارع لا لهوى نفسه
وكل مباح اذا اقترن مع فاعله فعله لكون الشارع اباحه
له كان له من الاجر ما يقابل حرمة القصد في ذلك لا لعين الفعل
وهو قوله وابتغوا ما كتب الله لكم فالمباح من ذلك اذ كان
فعله له لاباحته ثم قال **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**
قد تقدم الكلام في اول سورة البقرة على التقوى والفلاح ثم قال

وقاتلوا

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الآيات يقول وقاتلوا في سبيل الله **الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**
لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالات ربه
الى عباده لم يشرع له ان يبدأ بقتال والمشروع له وللمؤمنين
ان يبدؤا بدعائهم الى الاسلام فان اجابوا كففنا عنهم
وان لم يجيبوا فلا يخلوا اما ان يكونوا اهل كتاب او
لا يكونوا فان كانوا اهل كتاب وجنحوا الى السلم
الذي هو الصلح عرضنا عليهم ان يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون فان ابوا ولم يكونوا اهل كتاب
قاتلناهم فلهذا قال وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
اي لا تبدؤهم بقتال قبل الدعوة وقبل عرض الجزية ان
كانوا اهل كتاب ويدخل ايضا في هذا الخطاب من قاتلنا
في الحرم الذي يحرم القتال فيه وقوله **وَلَا تَعْتَدُوا**
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
اي لا تتجاوزوا ما حددنا لكم من النهي عن قتل الرهبان
والنساء والصبيان وكل من انحجز عن قتالكم من الرجال
ولكن هذا في الحرم خاصة واما في غير الحرم فنحن مأمورون
بقتال المشركين كافة فلا يغنيهم كونهم انحجزوا عنهم
فلا نقاتل في الحرم الا من باشر القتال ومن هنا صوب من
صوب قتال ابن الزبير للحجاج فان الحجاج قصده وقاتله

لكونه تثبت خلافته عنده ومن صوب قتال الحجاج لابن
الزبير لم تصح خلافته عنده ابن الزبير ورآه خارجًا على
الامام فقد عصى والحرم لا يعيذ عاصيًا عند من ذلك
فقاتله الحجاج بحق في الحرم ولم يكن لابن الزبير ان يقاتله
في الحرم ولا في غير الحرم **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**
يقول واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم على طريق
القهر والغلبة يقال في اللسان رجل ثقف اذا كان سريع
الاخذ لاقرانه واذا كان على هذا كذلك فلا يكون قتالهم
على وجه الاخذ والغلبة الا بعد المنع مما دعوناهم اليه
او ابتداء القتال منهم ثم قال **وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ**
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**
يعني مكة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل
حين اخبره ان قومه يخرجونه قال أو مخرجي هم قال نعم
فقال الله له اخرجوهم من حيث اخرجوكم **وَالْفِتْنَةُ**
اي الابتلاء بالصد عن المسجد الحرام وبمفارقة الاوطان
والخروج من الديار مع وجود الجوع وتجدد الآلام في كل وقت
لذلك **أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** فان القتل انما هو ساعة وينقل
فيستريح من عذاب مفارقة الوطن عن كره لشغله
بما يصير اليه من خير او شر وان اراد بالفتنة الكفر بالله
والشرك فيقول والشرك بالله في الحرم اشد من القتل بلا شك

[illegible]

ثم قال **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**
حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ اي لا تبدؤهم بقتال
كما ذكرنا قبل وقد يفهم من هذا ما ذهب اليه عطاء
بن ابي رباح ان الحرم كله مسجد فان النهي انما وقع
عن القتال في الحرم وهذا الخطاب عام الى يوم القيمة
ثم قال **فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** اي فان قاتلوكم
فيه يعني في الحرم فهنا لا يسوغ الا قتال من قاتل منهم
لا قتال من انحجز عنهم ولم يقاتل لحرمة الحرم وكذلك
في غير الحرم لو انحجز من المحاربين طائفة ولم تقاتل وطلبت
السلم منا واخرجوا ايديهم عن طاعة من قاتلنا منهم
لغير خداع فلنا ان نسالكم تلك الطائفة ثم قال
كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ
فجعل قتالنا لمن قاتلنا جزاء والجزاء لا يكون ابتداء
ففيه تاكيد ان لا نبدأ بقتال كما اشرنا والكاف
في كذلك ان شئت جعلتها زائدة وان شئت كانت
صفة اي مثل ذلك يكون ايضا جزاء الكافرين من اهل الكتاب
اذا قاتلوكم وكل من قاتلكم ممن ليس بمشرك لما كانت
الآية نزلت في حرب اهل الاوثان الذين ليسوا اهل كتاب
فاراد الله تعريفنا بان ذلك جزاء كل كافر شرعا ثم قال
فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

اي فان انتهوا عن قتالكم في الحرم او عن الشرك والكفر
فان الله يغفر لهم ما وقع منهم من الاثم والعدوان
في ايام كفرهم رحيم بكرمه بهم حيث قرر لهم ان يسلموا على
ما اسلفوا من خير ولم يحبط لهم ما كانوا عليه في الكفر
من العتق والبر ومكارم الاخلاق وان تمادوا على غيهم
ولم ينتهوا فقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي حتى لا يبقى كفر
او لا يبقى كافر في قوة تكون منه فتنة اي محنة وبلاء للمؤمنين
ويكون الدين لله اما بزوال الكفر رأسا واما باعلاء كلمة الله
على كلمة الكفر بان يكونوا تحت ذمة المسلمين ان كانوا
من اهل الكتاب واما المشركون من عبدة الاوثان فليس
الا الاسلام او القتل فان انتهوا ايضا فلا عدوان اي
فلا تعتدوا الا على الظالمين ان اعتدوا عليكم مثل قوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمي جزاء الظالم
ظلما كانه عين الظلم الذي فعله عاد عليه مثل قوله انما
هي اعمالكم ترد عليكم ثم قال الشهر الحرام بالشهر الحرام
نزلت هذه الآية في عمرة القضا، وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام الحديبية جاء معتمرا والمؤمنين معه
فصدهم المشركون عن المسجد الحرام والوصول اليه
وكان في الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة وما كان لهم ان
يصدوه في هذا الشهر فلما كان في العام القابل جاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء الذي صد عن تمامها
عام اول في هذا الشهر وكان المشركون قد عاهدوه على
ان يخلوا بينه وبين الكعبة ثلاثة ايام في العام الآتي وخاف
المسلمون ان لا يفي لهم المشركون بعهدهم فتأهبوا
لقتالهم ان صدوهم فلما جاؤا ايضا في ذي القعدة خلوا
بينهم وبين الكعبة على الشرط المعروف المذكور فاقاموا
ثلاثة ايام ثم خرجوا وكان الله قد انزل عليهم الشهر الحرام
الذي قضيتم فيه عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم
فيه عن تمام العمرة والحرمات قصاص اي من انتهك حرمة
انتهكت حرمته فان دخول المسلمين في عمرة القضاء الحرم كان
من اشق شيء على المشركين وقال الله لنبيه والمؤمنين فمن
اعتدى عليكم فقاتلكم او اذاكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم من غير زيادة واتقوا الله في
الابتداء بالتعدي او بمجاوزة المثل في القصاص ممن اعتدى
عليكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر و
الكلاية في هذه الآية دليل لمن يرى ان يعتدي من اعتدي
عليه في مال وغير ذلك من غير حكم حاكم ولا ارتفاع اليه
وهو مذهب ابن عباس ومنع غيره من ذلك وقال ليس له
ان يتعدى عليه ويرفعه الى الحاكم ويكون معنى قوله فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم بعد حكم الحاكم لا تتجاوزوا القدر

مثل ما اعتدى عليه صح

الذي اعتدى عليكم فيه اذا امكنتم من القصاص وكلا الوجهين
سائغ في الآية والاول اقوى والثاني احوط وفي عمرة القضا
التي نزلت فيها هذه الآية ان الشروع في نوافل العبادات
ملزمة لقوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وفيها قضاء نوافل العبادات
وفيه انه من صد عن عبادة شرع فيها فله اجر الصد وما له اجر
العمل اذ لو كان له اجر العمل وفائدة العمل حصول الثواب وقد
حصل فكان اذا شرع في وقت آخر في مثل ذلك العمل لا يكون
قضاء وانما يكون ابتداء عمل آخر مشابه للعمل الذي صد عنه
ولا كان ذلك يسمى عمرة القضاء هذا ان كان النقل
عن النبي عليه السلام هذه التسمية وان لم تكن منه فهذه
عمرة اخرى وتلك العمرة التي صد عن اتمامها حصل له اجرها وكان
محله حيث حبس ولهذا اشرع للمحرم ان محلي حيث حبستني واذا
لم يقل ذلك عندنا وحبس عن تمام حجه او عمرته فعليه دم على
تركه هذا القول فانه السنة والدماء في الحج لترك السنن
والنبي صلى الله عليه وسلم قد قضى الركعتين اللتين كان يصليهما
بعد الظهر بعد العصر واخبر انهما تلك الركعتين فقضاهما
وما كان قد شرع فيهما وانما جاء الوفد فشغله قبل الشروع
فيهما فكان قضاء لخروج الوقت الذي كان التزم ان يصليهما فيه
دائما ثم قال وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الآية يقال
اهلك فلان نفسه بيده فالمعنى ولا تلقوا انفسكم بايديكم

الى التهلكة وقد تكون الباء زائدة والمعنى ولا تلقوا
ايديكم الى التهلكة اي اذا دعاكم ما فيه هلاككم لا تلقوا
بايديكم اليه اي لا تنقادوا ولا تسمعوا له يحتمل سبيل
الله هنا طرق البر كلها ويحتمل الجهاد خاصة وان كان
نزولها في الجهاد لما آثرت الانصار على الاقامة في اهلها
واصلاح اموالها وترك الجهاد حين فشى الاسلام وكثر
ولكن سبل الله كثيرة فالعدول الى التخصيص تحكم لانه المقصود
بالآية والتهلكة هنا تحتمل امرين الواحد البخل والآخر التبذير
فكانه يريد الاقتصاد في النفقة حتى لا يقعد ملوما محسورا
ولا يترك اولاده عالة يتكففون الناس وهذا ينبني على
قدر الاوقات فقد يحسن في وقت بل يجب اخراج المال كله
لاقامة الدين والمصلحة وقد يحسن في وقت الاقتصاد في
النفقة وترجيح ابقاء البعض من المال فقال تعالى وانفقوا في
سبيل الله اي اخرجوا ما رزقكم الله وجعلكم مستخلفين فيه
سبيل الله اي في الطريق التي فرض الله عليكم او ندبكم ان
تخرجوا فيها الاموال واذا امر الانسان ان يبذل نفسه التي
هي اشرف من ماله ويهلكها في سبيل الله فالمال احرى واولى وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ يقول الى البخل بانه
فان فيه الهلاك او يقول ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بان تنفقوها مبذرين والتبذير الانفاق في غير طاعة الله

وهو الاسراف وقد يكون الانفاق في غير الاولى وهو ان يتعرض
له سبيلان الى الخير واحدهما آكد في الدين من الآخر واعظم
وللشرع به عناية غير ان نفس هذا المكلف صاحب المال له غرض
نفسي في السبيل الآخر الذي هو دون الآخر في عناية الشرع
به فينفق فيه ويترك الاولى فيكون ممن القى بيده الى التهلكة
حيث اختار ما لم يختر له الحق ولا سيما والله يقول وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فاثبت هذا العبد
لنفسه ما نفاه عنه الحق ثم قال **وَاَحْسِنُوا** في النفقة
وهذا يؤيد ما ذكرناه وهو ان الاحسان ان تعبد الله
في هذه النفقة كانك تراه واذا كنت بهذه المثابة فمن المحال
ان ترجح الا ما رجح الله من النفقة في احدى السبيلين وتختار
ما اختاره وقال **اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ** يقول
الذين يعبدونه على المشاهدة لان جميع الخيرات وايثار جناب
الحق تستلزم الاحسان في العبادة ثم قال تعالى
وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ
الآيات في هذه الآية دليل على ان الشروع ملزم وان
الانسان اذا شرع في عبادة من تطوع او واجبة عليه لزمه
اتمامها على حد ما شرعها الله اما في كتابه او على لسان رسوله
المبلغ عنه والمبين كما شرع فيمن احرم بالحج وليس له هدي
ان يردحجه عمرة ولا بد او المرأة فتحيض وتعرف ان حيضتها

تحرم بعمرة

تلوين

يكون معها في ايام الحج فترفض عمرتها وتحرم بالحج فاذا انقضت
الحج طافت بالبيت وقضت مكان عمرتها عمرة فقوله واتموا
الحج والعمرة لله معرى عن الموانع وليس في هذه الآية دليل
على وجوب الحج والعمرة على هذه القراءة وانما ورد الامر
بالاتمام لمن دخل فيهما او في احدهما على الشرط المعتبر
المشروع ولما قرن الحق بينهما في الاتمام وما افرد للعمرة
لفظا ثانيا من هذا الفعل يستروح منه ترجيح القران على
الافراد والكل جائز وانما يقع الخلاف اما في الافضل في
ذلك واما فيما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك هل كان قارنا او حاجا واما قوله لله يريد الاخلاص
في العبادة لله الا لله الدين الخالص لا يشوبه شيء من عمل
لاجل ثواب او خوف عقاب وانما يقصد بذلك امتثال امر
الله ان كان واجبا او اتيان ما رغب الله في اتيانه ان كان
تطوعا ثم قال **فَاِنْ اُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**
يقول فان منعكم مانع من اتمام الحج وحبسكم حابس
عنه بعد احرامكم من عدو او مرض او ما كان قال تعالى للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فالظاهر ان الفقر احصرهم
عن الضرب في الارض وهذا هو الاوجه عموم الموانع على ان
الناس اختلفوا كثيرا في هذا الاحصار المذكور في هذه الآية

فما نوع من انواع المنع الا وقد قال به قائل فلا فائدة في ايراده
اذ قد ادخلناه في قولنا او ما كان ذلك كذلك فنقول ان المحصر
بالعدو اتفق الاكثرون على انه يحل من عمرته او حجه حين احصر
وقالت طائفة منهم الثوري لا يتحلل الا يوم النحر فاما القائلون
بتحلله حين احصر اختلفوا في ايجاب الهدي فمنهم من منع
وقال لا يجب عليه هدي وان كان معه هدي نحره حيث
احل وهو قول مالك وقال غيره بوجوب الهدي عليه وان ينحره
حيث ما احل وقال ابو حنيفة ينحره بالحرم واما اعادة ما احصر
عنه فقال قوم لا اعادة عليه وقال اخرون عليه الاعادة وقال
بعضهم ان كان احرم بالحج فعليه حجة وعمرة وان كان قارنا
فعليه حجة وعمرتان وان كان معتمرا قضى عمرته وهل يقصر
المحلل بالاحصار ام لا فيه خلاف وقد ثبت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حلق راسه حين صد . واما المحصر بالمرض
فذهبت طائفة الى انه يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا
والمروة ويتحلل بعمرة لان الحج اذا فاته بطول المرض ينقلب عمرة
وهو قول ابن عمر وابن عباس وغيرهما وقال العراقيون حكمه
حكم المحصر بالعدو يحل مكانه ويرسل هديه ويقدر يوم النحر
ويحل في ذلك اليوم وبه يقول عبد الله بن مسعود وقال داود
وابو ثور لا هدي عليه واتفقوا على ايجاب القضاء عليه واما
من فاته الحج بغير مانع مرض وعدو ومن الاسباب الموجبة لفوات

الحج كالخطأ في رؤية الهلال او عدد الايام فحكمه
عند بعضهم حكم المحصر بالمرض وقال بعضهم من فاته
الحج بعذر غير المرض تحلل بعمرة ولا هدي عليه وعليه اعادة
الحج والاستقصاء في هذه المسألة عندي لا يكون الا
بالجمع بين الكتاب والسنة وذلك ان المحصر الذي منعه مانع فوته
الحج اما ان يكون قادرا على الوصول الى البيت او غير قادر
فان كان متمكنا من الوصول الى البيت فليس له ان يحل
ولا ينحر هديه حتى يطوف بالبيت ويسعى وان كان غير
متمكن احل في موضعه فان كان له هدي ساقه معه
نحره وليس عليه استيناف هدي اخر لحديث مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حل هو واصحابه بالحديبية
فنحروا الهدي وحلقوا روسهم وحلوا من كل شيء قبل ان
يطوفوا بالبيت وقبل ان يصل اليه الهدي ثم لم يعلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احدا من اصحابه ولا
ممن كان معه ان يقضوا شيئا ولا ان يعودوا والشيء والحديبية
موضع خارج عن الحرم فان لم يكن معه هدي فيجب عليه
ان يشتري هديا لقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من
الهدي فان تمكن له ارسال الهدي الى الحرم لينحر هنالك
فان شاء ارسله وهو الاولى لحديث ناجية بن جندب الاسلمي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معه الهدي حين

صد حتى نحره فى الحرم خرجه النسائى وهل يقدر له فلا
يحل حتى ينحر ليس عندنا نص فى ذلك فان اقام على احرامه
حتى يصل الهدي الى الحرم فبقوله تعالى **ولا تحلقوا**
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله
وهو متمكن من ابلاغه فله ان يقيم على احرامه حتى يبلغ
الهدي محله وان لم يقم فبحديث مالك الذي ذكرناه
آنفا وان لم يتمكن له ارسال الهدي نحره حيث صد واحل
بحديث مالك ولا قضاء عليه فيما صد عنه واحصر
ولا فى هديه فى هذا الحديث فان ترجح عنده حديث
الحجاج بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
عرج او كسر زاد ابو داود او مرض فقد حل وعليه الحجة اخرى
وقال ابو داود فى حديثه عليه الحج من قابل وفيه عن ابن عباس
وابي هريرة خرج هذا الحديث النسائى فان اضاف الى قضاء
ما حصر عنه قضاء الهدي فبحديث ابي داود عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يبدلوا الهدي الذي
ذكره عام الحديبية فى عمرة القضاء وان لم يقض شيئا من هذا
كله فبحكم الاصل اذ القضاء يفتقر الى امر من الشارع كما يفتقر
الاداء ولا سيما وقد ورد فى حديث مسلم عن عائشة قالت
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير
فقال لها اردت الحج قالت والله ما اجدني الا وجعة فقال لها

حج

حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني وقال
الترمذي قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث
تحبسني زاد النسائى فان لك على ربك ما استثنيت
وليس فى شيء من هذه الروايات الامر بالقضاء فى شيء
لا فيما حصر عنه ولا فى الهدي فمن ثبت عنده ما ذكرناه
من احاديث القضاء فهي زيادة حكم يجب العمل به ومن
لم يثبت عنده ذلك خيرناه فان شاء قضى وان شاء
لم يقض ثم قال **فمن كان منكم مريضا او به**
اذى من راسه فان حلق راسه المحرم لاذى قام
به من مرض وغيره **ففدية من صيام او صدقة**
او نسك ثم عين النبي صلى الله عليه وسلم قدر الفدا
من كل ما وقع فيه التخيير فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لكعب بن عجرة حين امره بحلق راسه وهو محرم ان شئت فاطعم
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام او صم
ثلاثة ايام او اذبح شاة وهو مخير ان يحلق قبل الفدا او
بعده ثم قال **فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج**
الاظهر فى هذه الاية انها فى التمتع الحقيقي فيكون
معناه واذا لم تكونوا خائفين فتمتعتم بالعمرة الى الحج
فما استيسر من الهدي قال بعض شيوخنا
ويدل على صحة هذا التاويل قوله سبحانه ذلك لمن لم

يكن اهله حاضري المسجد الحرام
والمحصر يستوى فيه حاضر المسجد الحرام وغيره
قلنا فاذا امتنع الموانع وقد فات الحج وسواء كان احصار
او غير احصار احل بعمرة بلا شك فان حج من سنته
تلك كان متمتعا فوجب عليه هدي التمتع وان لم يحج
من سنته تلك كان متمتعا فلا هدي عليه وليس بمتمتع
والهدي اما بدنة او بقرة وفي الشاة خلاف واما النسك
فبأي شيء كان فمن لم يجد يعني الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج فان صامها قبل يوم النحر وبعد
الاحرام بالحج فقد صامها في الحج وان صامها في ايام
التشريق فقد صامها في الحج اذ قد بقي عليه من مناسك
الحج رمي الجمار واستحب للمتمتع اذا اخر صيام الثلاثة
الايام الى بعد يوم النحر ان يؤخر طواف الافاضة حتى
يصومها ليكون صومه لها وهو متلبس بالحج قبل ان
يفرغ منه واما غير المتمتع فالسنة ان يطوف طواف
الصدر يوم النحر ثم قال وسبعة اذا رجعتم يعني
اذا رجعتم الى فعل ما كان يحرم عليكم بالاحرام في اي وقت
شاء في اهله وفي غير اهله واما قوله تلك عشرة كاملة
ومعلوم ان ثلاثة وسبعة تكون عشرة ففائدة ذكر
العشرة رفع الالتباس والاحتمال الذي في الواو من قوله

وسبعة

وسبعة من التخيير والاباحة بين الثلاثة والسبعة
ان شاء جمع بينهما وان شاء صام احدهما فاي
شيء فعل من ذلك اجزاه فرفع الحق هذا الالتباس بقوله
عشرة فكان الجمع ولابد واما قوله كاملة يريد
انها قامت في البدل من الهدي مقام الهدي على الكمال
ثم قال ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام لا خلاف ان اهل الحرم لا متعة لهم وهو ظاهر
الاية ولا ادري ما حجة من خرج عن ظاهر الاية الى
ان جعل ذلك ما دون المواقيت او مسافة تقصر فيها
الصلوة كل ذلك تحكم من غير حجة واتقوا الله اي
احذروه ان الله شديد العقاب اي قوي
العقوبة لمن لا يتقي محارمه وتعدى حدوده وسميت
عقوبة لانها تكون عقيب الذنب اي متاخرة عنه ثم قال
الحج اشهر معلومات اي الزمان الذي يفرض
فيه الحج اشهر معلومات اي كانت العرب تعلمها وهي
شوال وذو القعدة وذو الحجة كله عندنا وقيل وعشر
من ذي الحجة وقيل تسع من ذي الحجة والقولان سائغ
في كلام العرب لكن الحقيقة فيه ان يكون الشهر كله
وانما يعرف ما عدى ذلك بقرينة لا بمجرد الاطلاق
وهنا في هذه الاية ما ثم قرينة تدل على انه يريد بعض الشهر

فلو احرم الانسان بالحج بعد فراغه من مناسك الحج
جازله ذلك فانه محرم في اشهر الحج فانه لاخلاف عند
العرب انها تسمى ذو الحجة شهر الحج وهو احق بهذا الاسم
من شوال وذى القعدة اذ ليس لك الا فيهما ان تفعل
من افعال الحج سوى الاحرام بالحج والسعي ان جئت البيت
وجميع المناسك تقع فى ذى الحجة فهو اولى بالاسم ثم قال
فمن فرض فيهن الحج اي فمن احرم فيهن بالحج فلا
رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فجعل حكم
المحرم بالحج حكم المصلي ولهذا تسمى التكبيرة الاولى
التي يدخل بها فى الصلوة تكبيرة الاحرام وقال تعالى ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال فى الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال فيفترقان من وجه ويجتمعان من
وجه فقوله فلا رفث قد يريد لا نكاح فى الحج وهو الاظهر
وهل يتلفظ باسمه على التصريح فيه خلاف والذين
اجازوا التصريح بركابن عباس اجازه عند الرجال او
وحده ولم يجزه عند النساء وكان ابن عباس ينشد وهو محرم
خرجن يمشين بنا هميسا ❁ ان تصدق الطير ننك لميسا
فقيل له ارفث فى الحج فقال انما ذلك عند النساء مثل ان يقول
الرجل للمراة وهو محرم اذا احللت من احرامي نكتك واما قوله
ولا فسوق اي لا يتعدى المحرم شيئا من حدود الله مما يخرج

به عن امر الله ولاسيما على من نصبه وقد يحتمل ان يريد بالفسوق
اي لا يفعل فعلا تحرم عليه بفسده حجه مما كان يجوز له
فعله قبل الاحرام بالحج فهو فسوق في حال الحج وقوله ولا جدال
فى الحج بلا خلاف انه منصوب على النفي والتبرئة فهو مخالف
فى الاعراب للفسوق والرفث فكان الحكم فيه اشد وقيل
فى تفسير ذلك وجوه اولاها واحسنها واوجهها ان العرب
كانت تختلف فى ذلك كثيرا وهو قوله تعالى انما النسيء زيادة
فى الكفر فكانت العرب تحج وقتا فى المحرم ووقتا فى ذى الحجة
لتجمع بين حجتين فى سنة وتنقل اسماء الاشهر بعضها لبعض
فى وقت ثم ترد اسماءها عليها فى وقت اخر فتقول فى صفر و
ربيع الاول هما صفران وفى ربيع الاخر وجمادى الاول
ربيعان وفى جمادى الاخرة ورجب جمادان وتسمى شعبان
رجب وتسمى رمضان شعبان وتسمى شوال رمضان و
تسمى ذا القعدة شوال وتسمى ذا ~~القعدة~~ الحجة ذو القعدة
وتسمى المحرم ذو الحجة فتحج فى المحرم تلك السنة ثم ترد اسماء الشهور
عليها فتقول الصفر صفر والربيعان ربيعان والجمادان جمادان
والرجب رجب وكذلك شعبان ورمضان ثم شوال ثم ذو القعدة
ثم ذو الحجة فتحج فيه فيكون لها حجتان فى اثني عشر شهرا فقال
الله تعالى لا جدال فى الحج فنفى ان يعدل باسم الشهر عن مسماه

وقال النبي عليه السلام في ذلك ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلقه الله السنة اثنى عشر في كتاب الله يوم
خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذو القعده وذو
الحجة ومحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وابطل
النسأة فلاجدال في ذلك ثم قال **وما تفعلوا من خير**
يعلمه الله هذا من كرمه ولطفه التصريح بالخير والاغضاء
عن الشر ولا شك ان من المعلوم انه من يعلم الخير يعلم الشر
فاخبر عن علمه بالخير ليستحق العبد الجزاء عليه وكف عن التعريض
بالعلم بالشر مع كونه عالما ليعلم العبد من كرم الله انه قد لا
به ويعفو على انه قد كان من العرب من يعتقد ما اعتقد
بعض النظار من ان الله لا يعلم الجزئيات ولكن باعتبار آخر
غير اعتبار النظار وقد كان بعض العرب يعتقد انه اذا
تكلم جهرا سمعه الله واذا تكلم سرا لم يسمعه الله فاخبر الله
انه عالم في هذه الآية انه عالم بكل ما يفعله العبد من خير في
هذه العبادة وغيرها ولم يذكر الشر لانه لم يشرع في هذه العبادة
شيئا من الشر فهو تاكيد لقوله ولا فسوق ولا جدال اي لا
يفعل في الحج الا ما شرع ان يفعل في الحج واختلفوا في نكاح
المحرم والنكاح بمعنى العقد لا بمعنى الوطء وان وطئ ما
حكمه وفي هذه المسألة عندي نظر اذا وطئ قبل الوقوف

بعرفة لان زمان جواز وقوع الاحرام ما انصرم وليس
هذا التفسير موضع تفريع المسائل الا اذا انكلم في
احكام القرآن لمن يستوعب الكلام بايراد الاحاديث
في الاحكام المشروعة اذ كان الكتاب احد الادلة المشروعة
وقوله **وتزودوا فان خير الزاد التقوى**
يحرض في هذه الآية على التكثير من الزاد لمن اراد الحج
من اهل الآفاق وتضعيفه لطول الطريق ومغازاته
وما يطرأ فيه من العوائق فيطول الزمان على الحاج فقال
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وهو ما يقي به المرء وجهه
عن السؤال عند الحاجة فان السؤال يذهب بماء الوجه
ولا شك انه من لم يتزود ولا استكثر من الزاد في الغالب
فانه ما وقى وجهه عن السؤال اذ كان معرضا للحاجة
فهذا معنى التقوى هنا وكذا قوله ولباس التقوى ذلك
خير من هذا الباب غير انه على وجه آخر ونسق غير هذا ثم
قال مما يؤيد ما ذهبنا اليه في تفسير التقوى **واتقون**
يا اولي الالباب فخاطب اهل العقول والاستبصار
وهم الخاصة من عباده الذين نور الله قلوبهم بالعقل
عن الله فقال واتقوني يا اولي الالباب اذ كان اصحاب
الزاد يتخذونه لاتقاء الحاجة فانا اولى من يتقى اذ كان بيدي
بيدي ازال الحاجة ورفعها فالعالم العاقل عن الله لا يذيب

يستكثر من الزاد فی طريق الحج اتقاء الله ان ينزل به الحاجة
اليه اذ العبد معرض لذلك ولو بلغ ما بلغ قال ايوب عليه
السلام مسني الضر وقال عليه السلام اخرجني الجوع والعا...
من العباد يستكثرون من الزاد اتقاء الحاجة اليه مع الغفلة
عن الله فلهذا ضمت الاية النوعين من التقوى العام والخاص
ثم قال ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا الاية
يقول لا اثم عليكم فی هذه العبادة المشروعة لاقامة
ذكر الله خرج ابو داود عن النبي عليه السلام ان المناسك
شرعت لاقامة ذكر الله فربما يتوهم العبد انه لا ينبغي
ان يذكر الله فيها مهما الا بما يخص جنابه من الاجلال
والتعظيم وما تستلزمه تلك العبادة على الخصوص فاباح
الله لعباده فيها ان يطلبوا منه فضله من خير الدنيا
من المال والولد والاهل ما لم يكن اثما ومن خير الاخرة
ولهذا خصه بالاسم الرب اذ بيده مصالح الدنيا
والاخرة وهو مالك الملك وقد يريد بابتغاء الفضل
هنا التجارة فی هذا اليوم فرفع الاثم لمن اتجر فيه بحيث
ان لا يمنعه ذلك من ذكر الله ولا يشغله عن عبادته
ويجعل تجارته فی ذلك اليوم من جملة عبادته ولهذا
قال فضلا من ربكم فما عرى هذا الفضل المطلوب
عن الاضافة اليه اي لا اغيب عنكم فی حال طلبكم لهذا

الفضل واطلبوه مني فاني الذي اسوق اليكم الارباح و
الفضل الزيادة والربح زيادة على راس المال وما امر الله
بطلبه منه فی ذلك اليوم الا وهو تعالى قد علم انه يعطيه
فان خسر التاجر فی ذلك اليوم ونقصه من راس ماله او
لم يزد له عليه شيء فهي علامة له على غفلته عن الله فی
طلب الفضل منه فی وقت تجارته وبيعه وشرائه
فاذا افضتم من عرفات يقول اذا دفعتم
من عرفات اسم لموضع الوقوف فی الحج ويحتمل ان يكون
علما له مسمى باسم الجمع او يكون اسم جمع كمسلمات واحده
عرفة يقول فاذكروا الله عند المشعر الحرام
وهو المزدلفة وهو جمع وهو من مناسك الحج واختلفوا
فيمن لم يدرك صلوة الصبح مع الامام فيه هل فاته
الحج او لم يفته فمن جعل ذلك ركنا قال بفوات الحج اذا فاته
ومن لم يجعله ركنا كان حكمه حكم ما ليس بركن وقوله عند
المشعر الحرام جعله ظرفا للذكر فيه واذكروه كما هداكم
هذا الذكر الاخر لا يختص بهذا الموضع ولا بهذه
العبادة بل يعم ذكره جميع الاحوال وقوله كما هداكم
يقول مثل ما ذكركم عند هدايته اياكم من الضلال الذي
كنتم عليه فمعناه كما انه اعتنى بكم سبحانه بما بينه
لكم من الطريق التي تؤدي الى سعادتكم وكنتم بها جاهلين

قال تعالى ووجدك ضالا فهدى فاذكروه انتم شكرا على
هذه النعمة بقبولكم ما هداكم له ومشيكم عليه واتباعكم
سبيله تعظيما له فانه من اهدى اليك هدية عناية منه
بك فقبولك اياها دون ردها فيه تعظيم لجانب المهدي
وشكرك له على ذلك ثناء على ثناء وذكر على ذكر
ولهذا كرره في هذا الموضع ملصقا به فقال فاذكروا
الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ومن الهداية
وقوفنا بعرفات اذ كانت الحمس لا تقف الا بالمزدلفة
اختصاصا لها على سائر الناس لشرفها وتميزها بشرفها
في ذلك الموضع على سائر الناس فهدى الله نبيه الى ما هو
الحق عنده من الوقوف في ذلك اليوم التي بعرفة وهو قوله
وان كنتم من قبله لمن الضالين
في وقوفكم بالمزدلفة وقوله ثم افيضوا من حيث افاض
الناس الاوجه في تأويلها يخاطب الحاج يقول لهم
ثم افيضوا كما افضتم من عرفات الى المزدلفة افيضوا
ايضا من المزدلفة الى منى وقوله من حيث افاض الناس
يريد قريشا فان قريشا كانت تفيض من المزدلفة فلم تكن
لهم سوى افاضة واحدة من المزدلفة الى منى والوجه
الاخر ان يكون الضمير يعود على قريش يقول لهم ثم افيضوا
من حيث افاض الناس يعني من عرفات فيكون ثم هنا قد

سبقت لترتيب الجمل اللفظية لا الترتيب المعنى اذ لم يكن
في الايات المذكورة ذكر للحمس وانما خاطب في هذه الايات
كل من حج من حمس وغيره فحملها على ما قلناه اولى في التأويل
فانه على التأويل الثاني يكون هذا التأخير يراد به التقديم
فيكون موضعه بعد قوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم افيضوا يعني الحمس من
تحمس من حيث افاض الناس من عرفات ويكون الناس
هنا من بقي على ملة ابراهيم في الوقوف بعرفة في ذلك
اليوم وعلى هذا اكثر اهل التأويل وفيه بعد في سياق
الاية وان كان صحيح المعنى والذي ذهبنا اليه اقرب بالمساق
ثم قال واستغفروا الله اشعارا بما كان عليه
من الخطاء من وقف يوم عرفة بجمع وقد يكون الاستغفار
طلبا من العباد الى الله ان يضمن التبعات عنهم لاربابها
بارضاء الخصوم حتى ينقلبوا الى حجهم مطهرين من جميع
الذنوب وما امرهم بالاستغفار في هذا الموطن الا
وهو يغفر لهم ولو لم يكن كذلك لم يكن للاستغفار
المأمور به على التعيين فائدة فقال ان الله غفور
اذا استغفرتموه رحيم بكم حيث امركم ان تستغفروه
ثم قال فاذا قضيتم مناسككم
في هذا المساق اشعار ونوع حجة لمن لا يرى ان طواف

الافاضة ركن من اركان الحج لانه ما ذكره على التعيين كما
ذكر الاحرام بفرض الحج وذكر عرفات وذكر المزدلفة
يقوي من احتج بالحديث في انه من لم يدرك من الليل المزدلفة
ولا صلى مع الامام صلوة الصبح لم يدرك الحج فما ذكر
الا هؤلاء وما بقي ادخله في ذكر المناسك فقال
فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
الآية يقال منسِك بكسر السين وهو الاسم ومنسَكاً
بفتح السين يقال نسك ينسك نُسُكا ونسيكةً
ومنسكاً اذا ذبح نسكه بفتح السين ويجمع على مناسك
والنسك ايضاً العبادة والزهد والمنسِك الموضع
المشروع للعبادة فيه ومناسك الحج من ذلك فانها
اماكن مخصوصة وافعال مخصوصة وهي ما بين فرض
وسنة واستحباب فقال تعالى فاذا قضيتم مناسككم
اي الافعال التي شرعناها لكم في اماكنها على حد ما شرعناها
من واجب وغيره **فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ**
آبَاءَكُمْ يدل على ان عادتهم كانت جارية
منهم في ذلك الزمان بعد فراغ المناسك يذكرون آباءهم
ويفتخرون بانسابهم ويقومون النسابون في ذلك الوقت
فيذكرون الانساب وحكاية ابي بكر الصديق مع الاعرابي
مذكورة بحضور النبي عليه السلام فلما كان لهم يذكر آباءهم

في ذلك الموطن شدة عناية قال الله لهم اذكروا
الله مثل ذكركم اباءكم اي افتخروا بالله واذكروا نعمة
الله عليكم كما تذكرون اباءكم **أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**
يقول بل اكثر ذكرا الان الذي تنسبونه لاباءكم من الفخر
الذي تفخرون به انما هو من عطائي ونعمتي التي اسبغتها
على عبادي فانا احق بالذكر وانما قرن ذكر الاباء لهم
من الخير ولم يمنعهم من ذلك ويحجر عليهم لان ذكر
الاباء بالخير من البر بالوالدين والاحسان لهم وقد
قرن الشارع ذلك لعباده فقال ان اشكر لي وهو قوله أو
اشد ذكرا ولوالديك وهو قوله كذكركم اباءكم وقال
وبالوالدين احسانا ووصينا الانسان بوالديه حسنا
ولم يخص سبحانه في هذا الذكر الذي امرنا به ذكرا من
ذكر لكن نبه بما ذكر بعد ذلك ان الدعاء من الذكر المطلو
~~المطلو~~ هنا اذ كان من دعاك فقد ذكرك وليس كل من ذكر
دعا فقال تعالى **فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا** الآيات
يقول فمن الناس من يقول ربنا آتنا **فِي الدُّنْيَا** يطلب
من الله خيرا في الدنيا **وَمَا لَهُ فِي** الدعاء في خير **الْآخِرَةِ**
مِنْ خَلَاقٍ اي من نصيب وهذه حالة من اشتدت
ضرورته في الدنيا حتى انسته الآخرة فاخبر الله تعالى
عنه انه ما جعل في دعائه نصيبا **وَمِنْهُمْ** يعني من الناس

مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
اي حالة حسنة في كل شيء ومن كل شيء وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً اي حالة حسنة كذلك وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ يعم عذاب الدنيا والاخرة اذ يجمعهما العذاب
فان النار قد تكون في الدنيا رحمة لاصلاح معايش الناس
فالمسؤل الوقاية من عذابها ومن خصص التاويل بحسنة
دون حسنة فقد قيد ما اطلقه الله في الاخبار عنهم و
الناس يسألون بحسب اغراضهم واما من ذهب من اهل
التاويل الى ان القائلين ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة
من خلاق هم الذين لا رغبة لهم فيما عندهم من الاجر والثواب
في الاخرة عن قصد فما هم بمؤمنين ولا قضوا هذا المنسك مشروعا
قط والظاهر ان الحق سبحانه ما قسم الا الذين قضوا
مناسكهم وقوله أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا
يعم الفريقين فاما الفريق الثاني فلا شك فيه واما الفريق
الاول الذين غفلوا عن طلب خير الاخرة لشغلهم بما غلب
عليهم من ضيق الدنيا فاخبر تعالى ان لهم نصيبا في الاخرة
مما كسبوه من الاعمال في الحج وما لهم من حيث دعائهم
في الاخرة نصيب واما الآخرون فلهم نصيب من اعمالهم
ولهم نصيب في الآخرة ايضا من دعائهم في ذلك
ثم نبه سبحانه بقوله وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

لتعجيل نيل ما كسبوه من اعمالهم أخبر انه يحاسبهم
سريعًا ليفضوا الى نعيمهم فهي بشرى لهم بسرعة
الحساب لمن يحاسب وفيه فائدة اخرى لتنبيه طالب
الدنيا بانه محاسب على ما يؤتيه الله منها فيكون معظم طلبه ما
يتعلق بجانب الآخرة ويقلل من ذكر طلب الدنيا اذ الدنيا جوان
ليس له منها الا سد جوعته وستر عورته باي نوع كان
وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ
الايام المعدودات هي ايام التشريق وهي اربعة ايام بيوم
النحر وانما امر الله بالذكر في هذه الايام لانها كما قال
عليه السلام ايام اكل وشرب وبعال وهذه اسباب
مؤدية الى الغفلة عما يجب علينا من شكر الله على ما اعاننا
عليه من قضاء مناسكه وما اسبغ علينا من نعمه التي
كان نحرمها علينا في حجنا وامرنا بالذكر وشرع في هذه
الايام التكبير ادبار الصلوات والدعاء عند رمي الجمار
وقسم الجمار على الايام كلها كل ذلك حتى لا يغفل ولم
يقيد الذكر في هذه الايام المعدودات كما قيده في الايام
المعلومات على ما سياتي ذكره في موضعه انشاء الله تعالى
وارسل الذكر هنا مطلقا حتى يعم جميع الاذكار بجميع النعم
اذ كان عقيب فراغ من عبادات جمة ونعم متواليه فسبحان

العليم الحكيم مرتب الامور مواضعها وقوله
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
يريد يومين بعد يوم النحر من تعجل فيهما فنفر في اليوم
الثاني فلا اثم عليه **ومن تاخر** الى اليوم الثالث
فلا اثم عليه وفيه وجهان الوجه الواحد انه مغفور له
سواء عجل او اخر ما ينفر الا وهو مغفور له والوجه الآخر
من تعجل فنفر في اليوم الثاني فلا اثم في تعجيله حيث ترك
اليوم الثالث ومن تاخر الى اليوم الثالث فلا اثم عليه لتاخيره
كان التعجيل مشروعا وكان يمكن ان يكون منهيا عنه و
كان التاخير مشروعا وكان يمكن ان يكون منهيا عنه فلما
كان التعجيل والتاخير مشروعان ارتفع الاثم بترك كل
واحد منهما لا بتركهما معا وقوله **لمن اتقى** اي من
كان تعجيله وتاخيره ما هو مشروع له فقد اتقى وقوله
واتقوا الله يعني في المستانف فانه مغفور له بحجه فليتق
الله فيما بقي من عمره فامره الله بذلك واعلمه انه
اليه يحشر يوم القيمة ليميز طريق الاستقامة فهو ايقاظ
له لئلا تجح النفس وتسكن الى ما تقدم من مغفرة الله له في حجه
ومن الناس من يعجبك قوله
الآية هؤلاء الآيات وان كانت نزلت في الاخنس بن

شريق

٢٧ تم جزء

لا قوله والنفس المهاد

شريق الثقفي فهي عامة في كل من هو بهذه
الصفة من النفاق والفساد يقول ومن الناس من يعجبك
قوله لما فيه من اللين واللطف عند ما يلقاك او يلقى احباءك
ويشهد الله على ما في قلبه من غير ذلك من العداوة و
البغضاء لك وهذا لا يكون ممن يعرف انه نبي ويجحد
ما هو مستيقن بصدقه لقوله ويشهد الله اي انه يقول
لربه اشهد على اني عدو لهذا او اني اعتقد فيه انه كاذب
على جهة القربة الى الله فانه امكن في العداوة لاتخاذه
ذلك دينا ولو كان يعلم انه حق لقال ويشهد الله
بفتح الياء ورفع الله على الفاعلية **وهو الد الخصام**
اي شديد الخصومة في الحالتين اذا نازع احد فيه
صلى الله عليه وسلم خاصمه اشد الخصومة تحببا للنبي
صلى الله عليه وسلم وتملقا له واذا نازع احد في صدق
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انه على الحق في محل لا يعرف
انه يصل اليه ذلك الكلام خاصمه اشد الخصومة في
الرد على النبي عليه السلام والكفر به ولهذا وصفه بما قال
واذا تولى يقول واذا غاب عنك **سعى في الارض**
ليفسد فيها اي بالفساد **ويهلك الحرث** والبهائم
يحرق الزرع وعقر البقر **والنسل** بالقتل **والله لا** يحب
الفساد ابقاء على من انزلت من اجله هذه الآية

ليرجع الى الاسلام وهو من القول اللين الذى امر الله نبيه
موسى وهرون ان يقولاه لفرعون فقال فقولا له قولاً
ليناً لعله يتذكر وان كان قد علم سبحانه انه لا يتذكر ولا يخشى
فقال والله لا يحب الفساد فنفى عن نفسه حب الفساد لعله
يرجع عن هذه الصفة ولم يتمم لقوله ويشهد الله على ما فى قلبه
لقصده التقرب بذلك اليه سبحانه ثم قال ينبه على شرفه
فى نفسه وتمكن الكبرياء من قلبه وانه بمحل من العظمة فى نفسه
ان يقول له من هو فى نفسه دونه اتق الله فقال وَاِذَا قِيلَ
لَهُ اتَّقِ اللهَ كبر ذلك عليه لا تكبرا على الله ولكن
احتقارا بالمخاطب حيث يخاطب مثله بمثل هذا الخطاب
فاخبر تعالى انه أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ اى حمية الجاهلية بِالْاِثْمِ
اى على الاثم الذى نهى عنه فيفعله لجاجا وعزة على القائل له
هذا فاخبر سبحانه المؤمنين ليريحوا انفسهم من مثل هذا
المتكبر فقال فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ اى كفايته جهنم اى جهنم تكفيكم
شره وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ، بذم مقره فيها قال السدى
نزلت هذه الآيات فى الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
بن ابى سلمة الثقفى واسم امه ريطة بنت عبد الله بن ابى
قيس القرشى من بنى عامر بن لوى وكان حليفاً لبنى زهرة
اقبل الى النبى صلى الله عليه وسلم فاظهر له الاسلام فاعجب النبى
صلى الله عليه وسلم ذلك منه وقال انما جئت اريد الاسلام

والله يعلم انى لصادق ثم خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم
فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر
فنزلت الآيات وقال ابن عباس نزلت فى رجال من المنافقين
لما اصيبت السرية اصحاب خبيب بالرجيع بين مكة و
المدينة قال المنافقون يا ويح هؤلاء المقتولين الذى
هلكوا كذا لاهم قعدوا فى بيوتهم ولاهم ادوا رسالة
صاحبهم فانزل الله هذه الآية ثم قال
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
الآية لما باع المؤمن نفسه من الله واشتراها الله منه
اخبرنا بذلك فقال ومن الناس عامة من يشرى نفسه
وهو المؤمن يبيع نفسه من الله بالجهاد فى سبيله او
كلمة حق عند امير جائر يغلب على ظنه انه يقتله اذا امره
بمعروف او نهاه عن منكر طلبا لمَرْضَاتِ اللهِ اى ليرضى
الله عنه بذلك وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ۵
حيث لم يعزم عليهم فى ذلك ولا كلفهم بل وسع عليهم
على ثلاثة انحا فقال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فهذا
اقواهم ايمانا فان لم يستطع فبلسانه وهذا اضعف عن
الاول فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان ۵
ليس وراء ذلك مثقال حبة من خردل من ايمان ۵
فَهَذَا مِنْ رَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ

يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة
نزلت في جماعة من مؤمني اهل الكتاب منهم عبد الله
بن سلام استاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في ان يعملوا ببعض ما في
التورية من امر السبت وغيره فنزلت يا ايها الذين امنوا
اي صدقوا بما جاء من عندنا ادخلوا في العمل بشرايع الاسلام
المنزلة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باجمعكم واتركوا
ما انزلته من الشرايع قبله فلكل منهم شرعة ومنهاج
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طريقه
ولا تصغوا الى ما يوسوس به في صدوركم ليضلكم عن
طريق الهدى الذي انزلته في هذا الاوان على هذا النبي
المخصوص وان كان كل كتاب انزلته حقا وهدى ونورا
ولكن تعبدت به عبادي في زمن مخصوص وقد انقضت
تلك المدة لما سبق في علمي فاراد الشيطان ان يضلكم بما
وسوس به في صدوركم من اتباع ما نزل من عندنا كيدا
منه ومكرا وقد عرفتكم **انه لكم عدو مبين**
اي ظاهر العداوة لا يخفى على مؤمن عارف بطريق
ما يخرجكم عن الهدى **فان زللتم** يقول فان انتزعكم
فنزعتم عن طريق الهدى الذي هو القران **من بعد**
ما جاءتكم البينات الدلائل الواضحة من عندنا
وهي التعريفات بعداوة الشيطان لكم المذكورة في كل

كتاب وكفرتم او خالفتم بعض ما انزل اليكم في
هذا القران وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
فاعلموا ان الله عزيز
غالب لا يغالب لا يفوته هارب **حكيم**
بانزال العقوبات بمن يستحقها اذ الحكيم واضع كل شيء
في موضعه سمع اعرابي قارئا يقرأ هذه الاية فان
زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور
رحيم فانكر ان يكون هذا كلام الله وقال الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه فمثل هؤلاء عرفوا
اعجاز القرآن لمعرفتهم بمواقع الخطاب
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في هذه الاية اشعار بقرب قيام الساعة وبان هذا
القرآن وشرع الاسلام ما بقي بعده كتاب ينزل ولا
شرع ولا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفع حكمه فقال هل ينظرون الا اي ينتظرون الا ان يأتيهم
الله **في ظلل من الغمام** جمع ظلة وهو الطاق وهو
قيام الساعة فما ينتظر غيرها وهو قوله ويوم تشقق
السماء بالغمام اي عن الغمام فذلك اتيان الله الى عباده
للفصل والقضاء والغمام الضباب شبه السحاب والظلل
جمع ظلة وهو ما يظلهم من ذلك اي طاقات من الغمام

ظليلة فيقول هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بعذاب
من عنده في ظلل من الغمام تحمل العذاب كما تحمل المطر كما
كان في اهلاك عاد حين راوا السحابة السوداء قد
طلعت وكانوا ممحطين فسروا بذلك واستبشروا وقالوا
هذا عارض ممطرنا لكون الغيث ابدا يستلزم الغمام فقال
تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى ذلك يتغير
ويدخل ويخرج فاذا نزل الغيث وعلم انه رحمة
سكن فاذا راى الناس ظلل الغمام التي هي مظنة الخير
والرحمة يستبشرون فيبدو لهم منها من الباس والشدة
ما لم يكونوا يحتسبون وبدى لهم سيئات ما كسبوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو قوله في هذه الاية
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
وقوله وَالْمَلَائِكَةِ بالرفع والجر فمن جر عطف
على الغمام فيكون الملائكة الموكلون بما ذكرناه من
باس الله فان هذه الاية اية وعيد وتهديد ومن رفع
فمثل قوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك
او ياتي بعض ايات ربك والاولى في هذا الاتيان للفصل
والقضاء فيتضمن الرحمة بالمؤمنين لما في الغمام من الغيث
ويتضمن الباس للكافرين لما يتضمن من الصواعق والرعود

العواصف والبروق الخواطف والرياح الزعازع
والملائكة بالبشرى للفريقين ففريق تبشره بعذاب
اليم وفريق تبشره بنعيم مقيم وقضي الامر بين الفريقين
فريق في الجنة وفريق في السعير
سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ
يقول الله لنبيه سل بني اسرائيل كم وان كانت تحتمل
ان تكون خبرية ولكن الاستفهام فيها اظهر فان
قوله سل يطلبها والسؤال استفهام وهو استفهام
تقرير يقول سل بني اسرائيل كم اتيناهم من ايات النعم
وقد ذكرناها فيما تقدم من تظليل الغمام واهلاك
عدوهم وغير ذلك فاذا اخبروك بما انعمت عليهم واقروا
عندك بذلك واعترفوا فقل لهم وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ اي من حق نعمة الله الشكر عليها فمن
بدله بكفرها فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
على ذلك ووجه اخر كم اتيناهم من اية بينة على صدقك
في كتبهم وعلى السنة رسلهم وهي نعمة مني عليهم حيث
اقمت لهم البينات على طريق هداهم ومن يبدل نعمة الله
من بعد ما جاءته اي من بعد ما علمها وتحققها مثل
قوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه فان الله يعاقبهم على
ذلك اشد العقوبة ووجه واذا كانت كم خبرية يقول

يا محمد سل بني اسرائيل ثم يخبره سبحانه كم اتيناهم
يا محمد اي اعطيناهم من اية بينة فانك اذا سالتهم يقولون
ذلك مثل ما اخبرتك ويكون قوله ومن يبدل اخبارا
لمحمد عليه السلام ان الامر في كل من بدل نعمة الله كذا ويكون
على جهة ان يعرفهم بذلك اذا سالهم واعترفوا بنعم الله
زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا
لا فاعل الا الله قال تعالى زينا لهم اعمالهم تنبيه
ان يعتقد ذلك وانه من قضائه وقدره اذ كل شيء بيده
ثم قال زين لهم الشيطان اعمالهم تنبيه على الادب
ان يقال ذلك ويضاف الى الشيطان اذ جرى عليه
لسان الذم من الله تعالى تنزيها لجنابه وذلك بحسب
المخاطبين فان كان في العقد خلل اضيف التزيين الى الله
ليثبت في قلبه اعتقاد ان كل شيء بيده والخير والشر من الله
وان كان العقد سالما اضاف مثل ذلك الى الشيطان
او الى نفسه ثم جعل مرتبة ثالثة في ذلك فبني منه فعل ما لم
يسم فاعله فقال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ولم يذكر من زينها لهم
فهي حالة وسط بين العقد والادب فاذا لم يترجح
عند المتكلم احد الجانبين قال بهذه الصيغة لقرينة
الحال حيث يجمع المجلس المخاطبين الوجهين معا فلا يكون

انكار

انكار فان كل واحد يأخذه على حاله في الوقت فقال
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي نعيم الدنيا و
طلبه والمثابرة عليه فانه من حسن عنده شيء رغب
في تحصيله والتكثر منه وسفه غيره في ترك طلبه اياه
فاذا رأى من يزهد فيما استحسنه بما زين له سخر منه فقال تعالى
وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا حيث يعيبون عليهم ما هم فيه
من نعيم الاخرة الدنيا فيقولون لا عقل لهم مستهزئين
بهم فقال تعالى وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ ففيه تحريض للمؤمن على التقوى حتى لا يشاركوهم
يوم القيمة في شيء من النار فلو قال والذين امنوا فوقهم
يوم القيمة لكان الكافر اذا رأى المؤمنين الذين اوبقتهم
الذنوب حتى اوردتهم النار الى ان يشفع فيهم فيخرجون
لم يكن يصدق عندهم قوله والذين امنوا فوقهم يوم
القيمة فذكر المتقين الذين يحشرون يوم القيمة الى
الرحمن وفدا فيعلمون عند ذلك صدق الله
في صفة المتقي اذ لا طريق له الى النار ثم قال
وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
اي هذا المتقي ايضا قد يكون له حظ عظيم من الدنيا
ولا سيما كملك سليمان ويوسف وداود وما فتح الله
به على محمد صلى الله عليهم اجمعين ولا احاسبهم عليها

كما ورد في الحديث ان من امته محمد
سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب
ومن فسره على التقدير اي بغير تقدير فليس بشيء فان الله
يقول ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن
ينزل بقدر ما يشاء وما ننزله الا بقدر معلوم ولا تقتضي
الالوهية ان تكون الامور جزافا تعالى الله عن ذلك فهذا معنى
والله يرزق من يشاء بغير حساب وان قلنا معناه بغير تقدير
فيكون عند المرزوق وان كان يقول الله هذا الرزق
معلوم القدر عندنا فما اعلمنا المرزوق بذلك فمعناه
بغير تقدير عنده والاول اولى وامدح بالمتقي
كان الناس امة واحدة الاية
كان حرف وجودي يقول ان الناس وجدهم الله على الفطرة
وكلهم اقروا بوجود الله ثم اختلفوا بعد ذلك بحسب
ما ظهر لكل واحد منهم عند ما بحث وفكر في معرفة
من استند اليه في وجوده فاختلفت الفرق في ذلك وكل
ذهب الى ما اقتضاه نظره فمنهم المصيب ومنهم المخطئ
فبعث الله النبيين بالكتب مبشرين لمن اصاب الحق في
نظره ومنذرين من اخطأ وامروا من اخطأ ان يرجع
الى الصواب وعينت الانبياء لهم ذلك وانزل معهم
الكتب ليحكموا بها بين الناس فيما اختلفوا فيه

فيكون الحاكم الله بينهم في ذلك ثم انهم اختلفوا في
الكتاب خلافا آخر فمنهم من صدق به ومنهم من كذب
به جهلا ومنهم من كذب به بغيا وحسدا كيف انزل
على شخص منهم بعينه دون غيره وهم مشتركون في الجنس
الانساني والذي صدقوا به اختلفوا فيما يتضمنه فمنهم
من آمن به كله ومنهم من آمن ببعضه وكفر ببعضه و
انقسم هذا المخلط قسمين منهم من كفر ببعضه جهلا
بمعناه وقلة فهم ومنهم من كفر ببعضه بغيا وحسدا
كما قلنا مثل كفرهم بما جاء في التورية من ذكر القرآن ونبوة
محمد وملة ابراهيم والذين امنوا على قسمين منهم
من اجتهد فاخطأ في بعض المسائل كيوم الجمعة
الذي فرضه الله عليهم كما فرضه علينا فقالت اليهود
السبت وقالت النصارى الاحد وهدى الله المؤمنين
لما اختلفوا فيه من ذلك فاصبنا يوم الجمعة واصبنا
ملة ابراهيم واصبنا الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله من غير ان نفرق بين احد منهم فقال
تعالى مخبرا كان الناس امة واحدة اي على امر واحد
فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
مرغبين ومخوفين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم
الحق المنزل في الكتاب فيما اختلفوا فيه ليبين الصواب

عند من هو منهم من الخطأ ثم اختلف في الكتاب من انزل
اليهم من الامم فقال **وما اختلف فيه الا الذين**
اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات يقول المعجزات
والدلائل على ان هذا الكتاب هو من عند الله
بغيا حسدا **بينهم** كيف انزل الكتاب على فلان
ولم ينزل على فلان كما قالوا في القران لولا انزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم فذكر الطائفة التي علمت وجحدت
والطائفة التي جاءها الدليل فلم تعقله **فهدى الله**
المؤمنين من اهل الكتاب ومنا **لما اختلفوا فيه**
من الحق باذنه اي باعلامه ايانا على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم **والله يهدي من يشاء الى صراط**
مستقيم . الى الطريق الذي يهدي الى الحق الذي
فيه سعادتهم عند الله

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة

نزلت لما اصيب المسلمون يوم احد تعزية للنبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بما اصاب المؤمنين قبلهم من الشدة
والبلاء فقال لما انهم مهتدون الى الايمان ام حسبتم لكونكم
مؤمنين ان تدخلوا الجنة من غير ابتلاء وامتحان **ولما ياتكم**
يصبكم **مثل الذين خلوا من قبلكم** شبه الذين
خلوا من الامم **مستهم** الضمير يعود على الذين خلوا

منا ومنهم صح

البأساء

البأساء شدة القتل **والضراء** ما يضرهم من البلاء
الواقع بهم من الاعداء **وزلزلوا** اي ارجعوا في قلوبهم با
لمخاويف من قصد العدو ونكايتهم ومنازلتهم فيشتد عليهم
ذلك **حتى** الى ان **يقول الرسول** المبعوث اليهم **والذين**
امنوا معه لشدة ما مستهم من الضر والارجاف
متى نصر الله اي متى ياتي نصر الله الذي وعدنا من
قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون فقال الله لهم
الا ان نصر الله قريب . اتيانه اليكم بشرى لهم
وتسكين لما وقع في قلوبهم من الخوف ان تعلو كلمة
الكفر اذ المؤمن الحقيقي غائب عن نفسه بايثار جانب
ربه في اعلاء كلمته واعزازها ولما كانت لا تعلو
ولا تظهر الا بظهور المؤمنين وسلامتهم وقوتهم وبقائهم
كان سؤالهم في حصول العافية لهم نعما فاتفق
الصحابة عند ذلك ومن ياتي بعدهم من المؤمنين الى يوم القيمة
انه سبحانه لا بد ان يبتلي عباده فانه خبر وخبره صدق
قال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون ومثل هذه الايات

يسئلونك ماذا ينفقون الاية

قال تعالى وانفقوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماذا ينفقون فقال الله تعالى **قل** لهم يا محمد

ما انفقتم من خير فبين ان النفقة من المال الذى
هو الخير كما قال ان ترك خيرا اي ما لا ينفقوا
فاعطوه للوالدين والاقربين اي صلوا به ارحامكم
واليتامى الذين لا مال لهم والمساكين الذين يسكنون
اليكم لحاجتهم وان لم يسألوا وابن السبيل يريد الضيف
وتزويد المسافر الذى هو عابر سبيل ثم قال وما
ما تنفقوا من خير فالخير هنا كل معروف وكل عمل
محمود شرعا فان الله به عليم اي بقدره و
منزلته ليكون الجزاء مطابقا له بقول عليم بالانفاق
وبالخير الذى وقع فيه الفعل وبالمنفق عليهم من الاصناف
فانه لكل جزاء معين فللانفاق جزاء من حيث ما هو انفاق
مامور به وجوبا او ندبا وللمنفق منه جزاء يخصه كما قال
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فكان ابن عمر يشترى
السكر ويتصدق به ويقول اني احبه وله من جهة المنفق
عليه جزاء مخصوص يفضل بعضه على بعض فليس الانفاق
على ذوي الارحام كغيرهم فانها صدقة وصلة وصدقة
الرجل على نفسه افضل منها على زوجه ونفقته على زوجه افضل
منها على ولده وعلى ولده افضل منها على خادمه وعلى الصالحين
من المساكين افضل منها على من ليس بصالح وفي هذه الاية باب
من اجاب باكثر مما سئل عنه • وكان السائل عمرو بن الجموح

بز

قيل نزلت قبل اية الزكوة وعلى اي وجه كان
فالمراد بها نفقة التطوع
كتب عليكم القتال وهو كره لكم
الاية اخبر تعالى في هذه الاية انه اعلم بمصالح عباده
وانهم لا يعلمون ذلك وانه لا يكلف عباده الا بما
هو الاصلح لهم في سعادتهم ولا يترك ما يترك من
التكاليف الا كذلك لعلمه سبحانه بذلك ولطفه
بعباده ففي هذه الاية تحريض على الرضا بما يقضيه
الله والمبادرة اليه والتسليم له وان له في كل امر يقضيه
الله له خيرا اما عاجلا واما آجلا فلا ينبغي للمؤمن ان
يكره شيئا من ذلك قال تعالى كتب عليكم القتال
وهو كره لكم اي امر تكرهونه لما فيه من بذل المال والنفس
وعسى ان تكرهوا شيئا مما كلفكم فعله وهو خير لكم
عند الله مثل هذا اما عاجلا فالغنيمة والشفاء من
نكاية العدو واما آجلا فالاجر وان استشهد فاجر
الشهادة وعسى ان تحبوا شيئا وهو ترك ما كلفكم فعله
وهو شر لكم عند الله ومنه هذا اما عاجلا فما
ذكرناه واما آجلا فما ذكرناه والله يعلم ما في ذلك
من الخير والشر وانتم لا تعلمون • وتتضمن هذه
الاية فرض القتال وهو قوله كتب اي فرض وقد

الاوامر الالهية بذلك فقال تعالى يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
وقال انفروا خفافا وثقالا وقال واقتلوهم حيث وجدتموهم
والضمير في عليكم يعود على الرجال الاحرار فانه لاخلاف
في ذلك البالغين العقلاء لارتفاع التكليف عن غير البالغ
بحديث رفع القلم عن ثلاث فذكر منهم الصبي والمجنون
الاصحاء الذين يجدون ما ينفقون لقوله ليس على الضعفا
ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج
الذين لا عذر لهم من حق يجب عليهم القيام به وهو من
فروض الكفاية اذا قام به من يقع به الغناء سقط
عن الباقي لقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج قط الى غزو وعدو
الا وترك بعض الناس في المدينة ويتعلق بهذه الآية
احكام كثيرة هي مذكورة في القران نتكلم عليها في مواضعها
مثل معرفة المحارب الذي امرنا بقتاله ومعرفة ما يجوز
من النكاية في صنف صنف من اهل الحرب مما لا يجوز
وشروط جواز الحرب والثبات والفرار فيه والمهادنة
ولماذا انحاربهم وما يتفرع على هذا من المسائل ولها
مواضع في القران تاتي ان شاء الله

يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه

الآية

الآية في ذلك من كان بمكة من المسلمين غير المهاجرين
قبل الفتح لسبعة عشر من بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى نخلة الى المشركين فاصابوا منهم وذلك في رجب وهو
من الاشهر الحرم فعاب ذلك المشركون على المسلمين حيث
اباح القتال في شهر حرام فلما وصل الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت هذه الآية يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه اي عن
القتال فيه فقال الله لرسوله قل لهم يا محمد
قتال فيه كبير يعني ما اردتموه من قتالكم لنا في ذي
القعدة لما اصددتمونا وصد عن سبيل الله
وعن المسجد الحرام الذي كان منكم لنا وكفر به
اي كفر كبير فيه واخراج اهله منه اكبر اي اخراجكم لنا
وللمؤمنين من اهل الحرم من الحرم كل ذلك اكبر
عند الله من قتالنا اياكم في الشهر الحرام والفتنة
اكبر من القتل اما يريد الشرك واما يريد ما امتحنوا
به من كان عندهم من المؤمنين وعذبوه على الاسلام
كخباب بن الارت وبلال وغيرهما يقول ذلك اكبر من القتل
فيه فهذا تقرير وتفريع كيف انكرتم علينا امرا هو بالنسبة
الى ما فعلتموه انتم وما تفعلونه كلا شيء ثم اخبر تعالى عنهم
انهم لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
ان استطاعوا وحتى هنا للعلة والسبب كما تقول

جئتك حتى تعطيني اي العله في مجيئي اليك العطاء ثم اخبر
الله المؤمنين فقال **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ**
اي من يرجع لاجل الفتنة عن دينه اي عن ايمانه وتصديقه
فانه يقول الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان **فَيَمُتْ**
وَهُوَ كَافِرٌ اي يبقى على ردته الى حين موته فانه يموت
كافرا **فَأُولَٰئِكَ** اشارة لمن ارتد من المؤمنين **حَبِطَتْ**
أَعْمَالُهُمْ اي بطل ما كانوا يرجون من الثواب على اعمالهم
في الاخرة التي عملوها في الدنيا في حال الاسلام بالردة الى الكفر
فالعامل في الدنيا انما هو اعمالهم والعامل في الاخرة حبطت
يقول **وَأُولَٰئِكَ** الاشارة اليهم **أَصْحَابُ النَّارِ** اهل النار
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فيها معمول الخالدين وهنا
تفصيل في ردتهم هل رجعوا عن توحيد الله او عن الايمان
بما جاء من عند الله ولكل ردة مما ذكرناه حكم خاص و
عذاب خاص ليس للاخر والقتال في الاشهر الحرم مختلف
فيه بين العلماء فان الله يقول قل قتال فيه كبير فجعل
ذلك من الكبائر وبه قال عطاء واحتج المبيح لذلك بغزوة
حنين والطائف واوطاس وبيعة الرضوان على القتال وذلك
في شوال وبعض ذي القعدة وهو متأخر عن نزول تحريم
القتال فيه بلا شك **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ**
هَاجَرُوا الاية في هذه الاية تحريض لمن في مكة

من المسلمين على الهجرة والجهاد في سبيل الله للمؤمنين فقال
ان الذين امنوا والذين هاجروا لم يقل وهاجروا فيه تنبيه
على من هاجر من دار الحرب واخرجوا المسلمين وجاهد
في سبيل الله مع المؤمنين **أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ**
اللَّهِ بان يرزقهم الايمان فيؤمنوا بطول مجالسة
المؤمنين ومعاشرتهم **وَاللَّهُ غَفُورٌ** ما كان منهم من
الخطايا في كفرهم **رَحِيمٌ** حيث من عليهم بالايمان و
المغفرة كما فعل بالمؤمنين وهذا الوجه سائغ في الاية
وفي استعانة المؤمنين في القتال بالكفار خلاف وانهم
ان قاتلوا من غير استعانة من المؤمنين بهم بل تطوعا من
انفسهم فلا خلاف اعرف في ذلك ثم ليعلم انه ما من طائفة
من الكفار والمشركين الا وهي ترجو رحمة الله الا المعطلة
والقائلين بان الله لا يعلم الجزئيات قال المشركون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهم يرجون القرب
من الله وقربه سبحانه رحمته بخلقه في الدار الاخرة وقد يكون
قوله والذين هاجروا تاكيدا للتشريف بالذكر لان هاجروا
صلة الذين اذ كانت من الاسماء النواقص ❊ المهاجرة
المتاركة عن عداوة وشحناء وذهد من هجر فلان فلانا
لشيء وقع بينهما فهو ترك خاص ❊ والجهاد مأخوذ من الجهد
وهو المشقة فاثنى الله على هؤلاء المؤمنين بهجرتهم اوطانهم

ودیارهم واهلهم الی دار الایمان واخوانهم من المؤمنین
ایثاراً لجناب الله حتی تعز به کلمة الله وتعلوا وجاهدوا
ذوی ارحامهم من ابائهم وابنائهم واخوانهم فی سبیل الله
ای فی طریق الله رجاء رحمة الله ان تصیبهم فاخبر الله تعالی
انه غفور رحیم فقوله رحیم تحقیق لرجائهم انه ینیلهم رحمته
وزادهم الغفران لما وقع منهم ویقع من الزلل زیادة
فی کرم الکریم ان یعطی فوق المأمول والمرجو منه
یَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِمَا إِثْمٌ
كَبِیرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا
الخمر معروفة والمیسر القمار کله ومنه المراهنة والمخاطرة
الا ما اباحه الشرع فی سباق الخیل والرمی وما عدا ذلك
فهو حرام حتی اللعب بالجوز والکعاب فی هذه الایة
تحریم الخمر والقمار الذی هو المیسر وذلك ان الحل والحرمة
والاثم وغیر الاثم وجمیع الاحکام لا تتعلق باعیان الاشیاء
وانما تتعلق بافعال المکلفین فالخمر لیس عین الذنب و
الاثم ولا المیسر ولکن الاثم استعمال ذلك وهو شرب
الخمر وهو فعل المکلف فقول الله تعالی فیهما اثم ای فی
استعمالهما واذا فعل الانسان ما وجب علیه او ما ابیح له
لا یقال انه اثم بهذا الفعل ولا خلاف فی ذلك وانما یاثم
فی الشرع اذا فعل فعلاً حرم الشرع علیه ذلك الفعل فکان

قوله

قوله تعالی فیهما اثم نص فی التحریم فی الاستعمال وما خص شیئاً
من شیء واما من یجعل الاثم اسم من اسماء الخمر ویحتج
بقول الشاعر

شربت الاثم حتی ضل عقلی ⁂ کذاك الاثم یذهب بالعقول

فلا ننکر ان تسمی اثماً فان وضع الاسماء غیر ممنوع الا فی
اسماء الله ولکن کلامنا فی الاثم المذکور فی هذه الایة
وبطلان من یحتج بذلك فی هذه الایة من وجهین احد
انه ادخل المیسر فی الاثمیة ولا یسمی المیسر اثماً کما سموا
الخمر والوجه الثانی انك اذا فسرت الاثم بانه اسم الخمر فکانه
یقول یسئلونك عن الخمر قل فیه خمر نعم یتوجه ان یرید الله
بالاثم اسم الخمر فی قوله انما حرم ربی الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والاثم فقد یکون هنا الاثم اسم الخمر والصحیح
انه کل ما یاثم به فاعله من المکلفین ثم انه اکد ذلك بقوله
کبیر فجعله من الکبائر اذ کانت الاثام التی هی
المعاصی منها کبائر وصغائر فاستعمال الخمر والمیسر من الکبائر
والعجب ممن یقول لما ورد فی القرآن تحریمها وای شیء ابین من
هذا وقوله ومنافع للناس اما فی المیسر فمعلوم فان الغالب
فی القمار ینتفع بلا شك مما یحصل له من مال غریمه او اهله
او عقاره واما الخمر فبوجهین الوجه الواحد ما یحصل من
ثمنها وان کان حراماً ولا یجوز له استعماله ولکن لا شك

انه انتفع به عاجلا في نيل اغراضه ولا يلزم من ذلك انه
فعل ما يجوز او ما لا يجوز ذلك حكم شرعي وهذا انتفاع
عقلي معلوم ذلك ضرورة واما الوجه الاخر من المنافع فبقول
الاطباء فانهم اطبقوا على الثناء عليهما بالمنافع التي اودع
الله فيهما ونحن نجوز التداوي بها والعدول اليها في الامراض
الشديدة التي لا يقوم فيها بدلها من غيرها والذي يحتج علينا
بقوله عليه السلام ان الله ما جعل شفاء امته فيما حرم
عليها فصحيح ذلك ولكن المضطر ما هو محرم عليه استعمال
ما اضطر اليه ثم انه سبحانه زاد بالتكرار تاكيد الاثم فزاد تاكيد
التحريم فقال واثمهما اكبر من نفعهما فان نفع الخمر في بيعها
وفي دفع المرض باستعمالها ولو كانت حراما شرعا على المضطر
فكيف والامر بخلافه واما الاثم فيتعلق بها من جهتين
الجهة الواحدة شربها والجهة الاخرى ما يستلزمها
عند اخذها بالعقول من الاثام الكبائر كالقتل والزنا
والكفر وشتم ما امر الله بتعظيمه وقس على ذهاب العقل
كل رذيلة ثم ما ينضاف الى ذلك مما يدخل شارب الخمر من العجب
والكبرياء في نفسه والخيلاء كما قال بعضهم

فاذا سكرت فانني ... رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ... رب الشويهة والبعير

فلهذا قال واثمهما اكبر من نفعهما واما الميسر ففعله اثم

نفسه ثم يتضمن اثاما ومحرمات فانه اذا وقعت المغالبة
لا بد ان يجد المغلوب في نفسه موجدة على غالبه فيؤديه
ذلك الى السب والتسابب اذ الفحش ادى الى ذكر محرمات
كثيرة وادى الى المؤاخذة بالايدي من الضرب والجراحة
فكان الاثم اكبر من المنفعة بلا شك والميسر قد يكون ماخوذا
من اليسر واليسار فان كان من اليسر فهو من يسر يقال
يسرته اذا قامرته وهو اخذك مال من قامرته بيسر من
غير تعب ومن جعله من اليسار قال يكثر يساره بما ياخذه
ممن يقامره وكذلك اسم الخمر من خمرت الشيء اذا غطيته والخمر
تغطي شاربها عقله يقال نزلت هذه الاية في عبد الله بن
عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب ونفر
من الانصار وذلك ان الرجل كان يقول في الجاهلية اين
اصحاب الجزور فيقوم نفر فيشترون الجزور بثمن معلوم فيجعلون
لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون فمن خرج سهمه تبرا من الثمن
حتى يبقى اخرهم رجلا فيكون ثمن الجزور كله عليه وحده ولا
يكون له نصيب في الجزور ويقتسم الجزور بقيتهم بينهم وهذا
نوع من انواع القمار وهذا كانت تسمية العرب بالميسر والازلام
قداحة واحدة زلمة وسيأتي تفسيره ان شاء الله في المائدة

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ

العفو من الاضداد ينطلق على القليل والكثير كالقرء

ينطلق على الطهر والحيض والجون على الابيض والاسود
واذا كان مما ينطلق على الشيء وضده فيجمع بينهما بامر ونقول
الانفاق من فضل المال قل ذلك الفضل او كثر فهو العفو
فيكون دحرا بالمنفق والمنفق عليه فكان السوال هنا عن
قدر ما ينفق والسوال في الاول من اي شي ينفق واختلف
السوالان في المعنى بالجواب لا بنفس السوال وفهمها
المسول بقرائن الاحوال ولهذا كان علم الصحابة بالاحكام
اتم من علم التابعين وغيرهم لمشاهدة القران عند نزول
الحكم من الله فيفهمون منه ما لا يفهم فيعملون بمقتضى ذلك
ونحن نعمل بمقتضى التاويل بحسب ما يعطيه الكلام معرى
عن القرينة الا ان تنقل القرينة كما نقل الحكم ووجه اخر عندي
فيه وهو ان يكون من العافية كما قال عليه السلام في الدعاء
انك عفو تحب العفو فاعف عني اي تجاوز وذلك ان النبي
عليه السلام كان يكره لاصحابه ان يسالوه لئلا يفترض عليهم
ما يعجزون عن القيام به وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا
عن اشياء وقال عليه السلام انما اهلك من كان قبلكم كثرة
سوالهم واختلافهم على انبيائهم فلما سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قدر ما ينفقون قال الله له قل العفو لهم
ان يتجاوزوا عن هذا السوال لئلا يفرض عليهم ما يشق عليهم اذ
كان يمكن ان يقول لهم انفقوا اموالكم كلها واخرجوا عنها

قال

ثم قال كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة يتعلق في الدنيا والاخرة على وجه بانهما
وعلى وجه بيبين وعلى وجه بقوله تتفكرون يقول واثمهما
في الدنيا والاخرة اكبر من نفعهما في الدنيا فان الاخرة ليس
لها تعلق بمنافعهما يقول كذلك يبين اي يظهر لكم الايات
جميع ما تقدم من الدلالات فيما مضى من ذلك في هذه السورة
في الدنيا لتومنوا والاخرة لمن يتبينهما هنا لعلكم تتفكرون
في الدنيا واحوالها وفنائها فتزهدوا فيها والاخرة وما اعد
فيها للعصاة والطائعين من عباده فترغبوا فيها بالاعمال
الموصلة الى النجاة من عذابها والحصول على نعيمها ثم قال
وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ
تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٭
السائل هنا ثابت بن رفاعة الانصاري ساله عن خلط مال
اليتيم بماله فانهم كانوا على ذلك فلما نزلت ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن ونزلت الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما عزل كل من كان عنده يتيم ماله عن ماله في طعامه وشرابه
وجميع مصالحه فشق ذلك عليهم وربما صار في ذلك تبذير لمال
اليتيم فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله
ويسالونك عن اليتامى فقال الله قل لهم اصلاح لهم خير

اي اعملوا معهم ما يكون لهم فيه مصلحة و توفير لاموالهم
وحفظ فان كان ذلك الصلاح في مخالطتهم في الاكل والشرب
وما تمس حاجة الانسان اليه ومصاهرتهم وانكاحهم ونكاحهم
فخالطوهم فانهم اخوانكم في الدين قال تعالى انما المؤمنون اخوة
والله يعلم المفسد من المصلح هذا مثل وما الله بغافل عما تعملون
يقول من افسد منكم في مال اليتيم فانا اعلمه والمعنى اجازيه
على ذلك وكذلك المصلح ولو شاء الله لاعنتكم يقول لفرض
عليكم ما يشق عليكم مما فيه مصلحة لليتيم ومشقة شديدة
عليكم من العنت وهو الشيء الشاق على الانسان فعله ان الله
عزيز اي غالب لمن خالف امره وتعدى على مال يتيم ان كان عنده
حكيم يقول فيما كلفكم مما تعاملون به اليتامى وفيما لم يكلفكم
من ذلك اذ كان الحكيم واضع الامور في مواضعها
وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ الآية
نهانا الله عن نكاح المشركات والنهي محمول على التحريم حتى
تخرجه عن ذلك قرينة حال كما ان الامر محمول على الوجوب
ولما قال **وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ
أَعْجَبَتْكُمْ** فمما تاكد عنده النهي فقوله ولو اعجبتكم
يقوي عنده التحريم والتحريم ضد الحل كما قال تعالى لنبيه
عليه السلام لا يحل لك النساء من بعد ولو اعجبك حسنهن
تقوية للحكم بتحريم ذلك عليه ويخرج قوله ولامة مؤمنة خير

ثقيله

من

من مشركة مخرج العلة للتحريم ومن فهم من قوله خير من مشركة
المفاضلة والاولوية عدل عن نهي التحريم الى الكراهة والاولى
ويؤيد التحريم قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر ويؤيده ومن يكفر
بالايمان فقد حبط عمله فيلحق بالنكاح الفاسد الذي لا ينعقد
معه النكاح فان الله قد احبط عمله في الدنيا بقوله وهو
في الاخرة من الخاسرين وقال فيمت وهو كافر حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة وقال لئن اشركت ليحبطن عملك كسائر
العبادات من الصوم والصلوة لم يكن ذلك عملا مشروعا لعدم
المصحح وهو الايمان والنكاح من جملة العبادات المشروعة
والمشرك هو الذي يجعل مع الله الها آخر سواء كان من اهل
الكتاب او من غير اهل الكتاب واذا كان اهل الكتاب هم
الذين انزل اليهم الكتاب وجاءهم الرسول بذلك وكانوا
كافرين بكتابهم وامرنا الله بقتالهم حتى يعطوا الجزية فيجوز
لنا نكاح بناتهم بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
ويمنع من ذلك بقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر على من يحمل
النهي هنا على التحريم وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط
عمله على اظهر الوجهين فان النص عزيز في ذلك وفي قوله
**وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن
مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ** مثل ذلك غير انه في هذه الآية
ان ولي المراة احق بتزويجها منها اذ رجح النكاح الولي بكونه

ذكره ولو اعتبرو لانتها النفسها لنصب النسآء وبينهما من الفرق
ان نكاح المرأة المشركة فيه اعلآء كلمة الله على كلمة الكفر
لما للرجل عليها من الحكم والولاية وفي انكاح المشرك عكس ذلك
على التسواء فيجوز نكاح المشركة ولا يجوز انكاح المشرك وقوله
ولو اعجبكم ولو اعجبكم في الحسن والمال والجاه وشرف النسب
وقوله اولئك يدعون الى النار اي الى الاعمال المؤدية
الى النار اما في حق الرجل فانه الاقوى والضعف الذي في النسآء
واما من جانب المرأة فلما يتعلق بقلب الرجل من حبها والحب
يعمي ويصم فقد تدعوه الى دينها فيجيب وقد راينا ذلك
ورويناه وقوله والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه
اي الى اسباب ما يوجب الجنة والمغفرة من الله ونكاح
المسلمة وانكاح المسلم من الاسباب المعينة على طاعة
الله وقوله باذنه اي بامر الله كل واحد من الزوجين ان يأمر
الاخر بر من الخير المؤدي الى السعادة قال ويبين اياته
للناس اي ما نصب من الادلة على ذلك لعلهم يتذكرون
ما اعطاهم الفكر الصحيح والعقل الموافق لما جاءت به الشرائع
من الدلالات فانه ما جاء بما يحيله العقول بل بما يجيزه فنصب
الايات على ترجيح احد الممكنين بالوقوع فهذا معنى قوله يتذكرون
فهو خطاب خاص لذوي الالباب وما خاطب الله في القرآن
الا اولي الالباب واولي النهى

قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى الاية
يقول ويسئلونك يا محمد عن وطئ النسآء في موضع الحيض
في حال الحيض فقل لهم هو اذى اي هو مما يتأذون بفعله فقد
يخرج مخرج العلة في تحريم الوطئ ويحتمل معنيين احدهما
يتعلق بالطب اي يتأذى فاعله في نفسه والثاني انه اذى
عند الله من حيث حرمه وقد يكون المعنيان مقصودين
في الخطاب فاعتزلوا النسآء في المحيض في وقت اتيانه
وفي محله ولا تقربوهن فيه كناية عن الجماع حتى يطهرن
فاذا تطهرن الذي ينبغي في الكلام ان لا يقدر فيه
المحذوف الا عند الحاجة اليه ولا بد لاختلال المعنى واذ
لا ينتقل في الكلمة من الحقيقة الى المجاز الا بعد استحالة
حملها على الحقيقة فنقول المعنى حتى يطهرن اي حتى يغتسلن
بالمآء بعد انقطاع الدم وهو فعل ينطلق عليه اسم الطهارة
والمفهوم الثاني الاغتسال المشروع الذي يبيح الصلوة فعله
ولا يحمل حتى يطهرن على انقطاع الدم فان الفعل اذا اضيف
الى المكلف فلا يضاف اليه الا اذا كان هو الفاعل له هذا
هو الحقيقة وانقطاع الدم ليس من فعل المكلف والاغتسال
بالمآء على الوجهين من فعل المكلف واذا حملنا يطهرن على
انقطاع الدم يحتاج ان يتكلف الحذف في الكلام فيكون
التقدير حتى يطهرن ويتطهرن فاذا تطهرن وان لم يكن كذلك

والافليس من كلام العرب ان يقول لا اعطيك ثوبا
حتى تركب فاذا دخلت السوق اعطيتك ثوبا والذى
تقوله العرب فاذا ركبت اعطيتك ثوبا وتكلف الحذف مع
الاستغناء عنه تحكم على كلام الله فيكون المفهوم من يطهرن
هو المفهوم بعينه من يتطهرن على المعانى الثلاثة التى ذكرناها
وهو انقطاع الدم او غسل موضع الحيض بالماء او الاغتسال
المبيح للصلوة وهذا هو موضع اجتهاد المجتهد ويعمل بحسب
ما يترجح عنده ثم قال فاذا تطهرن على ما قدمناه فأتوهن
كناية عن الجماع من حيث امركم الله باتيان المرأة اذا
طهرت من المحيض ثم قال ان الله يحب التوابين
يريد الذين يرجعون الى الله والى رسوله فيما يتنازعون
فيه فيرجعون الى حكم الله ثم قال ويحب المتطهرين
يقول الذين فعلوا الطهارة وهو استعمال الماء على ما ذكرنا
قبل فاوجب محبته للمتصفين بهاتين الصفتين التوبة والتطهر
وقد يكون من حيث امركم الله متعلقا بقوله فاعتزلوا النساء
ولا تقربوهن من حيث امركم الله باعتزالهن فى المحيض
حتى يطهرن وقد يتعلق بتقربوهن
قوله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم الآية
كناية عن الجماع فى غاية الحسن بضرب من التشبيه
ولما كان المقصود من الحرث بذر الحب فى الارض ليخرج من

ذلك

ذلك ما تقع به المنفعة وكان المراد من النكاح فى الدنيا
التناسل لابقاء النوع انزل ذلك منزلة الحرث فيكون الاوجه
على هذا المعنى المفهوم من التشبيه فى قوله انى شئتم
كيف من الاختلاف فى هيآت الجماع فى موضع البذر
ومع هذا فقوله انى شئتم فهو لفظ صالح ان يكون موضع
كيف واين وحيث وقد اختلف الناس فى هذه المسألة
اعنى وطئ المرأة الحلال فى الدبر فمنهم من اباحه ومنهم
من حرمه والاصل اباحة الاشياء ومن ادعى تحجيرها اى
الله فعليه بالدليل على ذلك وما ورد فى تحريمه ولا فى تحليله
شئ يصح حمله واخذه على تعيينه غير الاصل المرجوع اليه
العام فى كل شئ وهو الاباحة وقوله وقدموا لانفسكم
يؤيد انه اراد النكاح فى الفرج فانه من احسن ما يقدمه
الانسان لنفسه عند ربه ولده ان مات قبله كان له
فرطا وان مات الوالد دعا له ولده وقد ورد الخبر فى
الامرين معا فيمن قدم ولده او ترك ولدا بعده ثم قال
واتقوا الله ان تعدلوا او تخالفوا ما امرناكم به او نهيناكم
عنه فيما تقدم من الاحكام من الوطئ وصورته والنكاح
والانكاح واليتامى والانفاق والخمر والميسر والقتال فى
الاشهر الحرم ثم قال واعلموا انكم ملاقوه فيسألكم
عن ذلك كله ففيه انذار وتخويف وتحريض على فعل الخير

والوقوف عند ما امر الله به او نهى عنه ثم قال **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**
في مقابلة هذا الانذار جعل البشرى للمؤمنين العاملين بما
امنوا به فان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وصوم رمضان وان يؤدوا الخمس من المغنم
ونهاهم عن الربا والحنتم والمزفت والنقير وقال احفظوه
واخبروا به من وراءكم ففسر الايمان بالافعال وهو الذي
اراد بالمؤمنين هنا زيادة على التصديق لان البشرى الواردة في
القرآن للمؤمنين مقرونة بالاعمال الصالحة مثل قوله
الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى وقال تعالى الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم
فما بشر الا العاملين بما امنوا به قوله تعالى

وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ
أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ
وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

قوله عرضة من قول القائل اعترضني الشيء دون كذا اي
حال بيني وبين الوصول اليه كانه يقول ولا تجعلوا ايمانكم
بالله تعترض بينكم وبين فعل الخير فتقول لولا اني حلفت
اني لا اوليك برا لاوليتك فنهى الله عن ذلك وذلك انه لما

كان

كان الله قد شرع لعباده ان يأتوا مكارم الاخلاق وكره
لهم سفسافها فامرهم بافعال البر والتقوى والاصلاح
بين الناس والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وكان
الناس اذا غضبوا يحلفون بالله لا يفعلون مع فلان
خيرا ولا يولونه احسانا ولا برا وان كان في اصلاح بين
اثنين يحلف الرجل بالله لا يصلح بينهما ويقول والله لا اتقيت
الله فيك فانزل الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
باسمه يقول قوة وتقوية على ترك فعل الخير الذي امركم الله
بفعله فاذا قيل لك افعل هذا الخير تقول قد حلفت بالله
اني لا افعل ذلك فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
ان يكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير وقد انزل في ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح رجل
من قرابته ويحسن اليه فبلغ ابا بكر انه شارك اهل الافك
فيما تحملوه فحلف ابو بكر ان لا يحسن اليه فانزل الله ولا
يأتل اي لا يحلف اولوا الفضل منكم من له مال رزقه الله و
السعة يعني في الرزق ان يؤتوا يعطوا اولي القربى ذوي
الرحم واليتامى والمساكين وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم فرد ابو بكر رضي الله عنه على مسطح نفقته
واجراه على عادته وقوله ان تبروا معناه ان لا تبروا وحذف
لدلالة الكلام عليه قال امرؤ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ..

اراد لا ابرح فحذف لا لدلالة الكلام عليه والعرضة القوة والشدة وقد قيل هو من عرضت العود على الاناء اذا غطيته به خوفا ان يصل الى الماء شيء فجعلته حاجزا فكانه يقول ولا تجعلوا ايمانكم بالله عرضة اي حاجزا بينكم وبين فعل الخير والله سميع ما تحلفون به عليم بما تقصدونه بايمانكم

قوله تعالى **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم**

يقال لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو اي ساقط فكل يمين اسقط الشرع الكفارة والاثم عن الحالف فتلك اليمين لغو لان الشارع الغاها وما اعتد بها واسقط الحكم بالمؤاخذة عن الحالف بها فقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو اي يعاقبكم بالكفارة والاثم وقوله باللغو في ايمانكم اي بما اسقطنا الحكم فيه من الايمان بالمؤاخذة واذا تقرر هذا فنقول ان لغو الايمان عند العلماء بالشريعة على قسمين منها مقصودة وغير مقصودة ومشتبهة فغير المقصود منها هو الذي يجري على السنة الناس من قولهم بالله ولا والله من غير قصد لليمين بقلبه للعادة التي استصحبوها في كلامهم فهذه اليمين لغو وبذلك فسرته عائشة واما اليمين الاخرى المشتبهة فيمين الحرج والغضبان فقد تشبه ان تكون مقصودة وان تكون غير مقصودة فجعلها القاضي

اسمعيل من لغو اليمين واما الايمان المقصودة فمنها ان يحلف الحالف ان الامر كذا او لا يعلم ان الامر في نفسه على خلاف ما حلف عليه فهذا من لغو اليمين عند مالك وغيره ومنها ان يحلف ان يفعل معصية فهذه اليمين لغو عند ابن عباس ومن لغو اليمين ان يحلف على ما لا يملك عند ابن عباس ايضا ومنها ان يحلف انه يفعل ما له ان يفعل فلم يفعل وراى ترك الفعل خيرا له فليكفر عن يمينه ويفعل الذي هو خير وجعل ابن عباس هذا النوع من لغو اليمين واما يمين المكره وذلك ان يلزمه ذو سلطان يمينا لم يلزمها الشرع اياه فالظاهر ان الشرع يلغي هذه اليمين ولا يجب عليه برها ولا يعتبر هنا نية المستحلف اذ لا حق له في استحلافه شرعا وهي على نية الحالف ولنا في هذه اليمين نظر وهو ان حلف من هذه صورته على نية المستحلف لزمته ولم تكن لغوا لانه الزم نفسه ما لم يلزمه الشرع فقد اوجب على نفسه وان حلف على غير نية المستحلف فهي لغو لا يلزمه فيها حكم ثم قال **ولكن يؤاخذكم** اي يلزمكم الكفارة والاثم **بما كسبت قلوبكم** اي بما تعمدت قلوبكم اليمين عليه وهو باطل يقول ولكن يعاقبكم اذا قصدتم باليمين قطع حق يجب عليكم اداؤه انه ليس كذلك او هو كذلك وانت تعلم انك كاذب في يمينك فهذا هو اليمين التي شرع فيها الكفارة

الا عند بعض الناس فانه لا كفارة في اليمين الغموس وهي هذه
ثم قال **والله غفور** لما وقع منكم من الايمان لغوا وعقدا
حيث اسقط المواخذه في اللغو وشرع الكفارة في الاخرى وقوله
حليم اي من حلمه ما عجل عليكم بالعقوبة وامهلكم لتتوبوا
على قول من لا يرى الكفارة وعلى قول من يرى الكفارة في اليمين
الغموس يكون حليما حيث جعل الكفارة ترفع العقوبة ولم يواخذكم
لما فعلتموه من اسقاط حرمة اسم الله حيث حلفتم به كاذبين
وانتم تعلمون انه يعلم منكم خلاف ما حلفتم عليه واما
اضافة الايمان الينا فيدل ظاهرا على كل ما يحلف به عرفا
وشرعا مما يسمى يمينا عندنا الا ان يخرج الشرع من ذلك شيئا
مثل قوله لا تحلفوا بابائكم وقوله من كان حالفا فليحلف
بالله او ليصمت ولا اعرف في صفة الايمان المعتبرة يمينا
متفقا عليها الا اليمين بالله فانقسمت الايمان الى قسمين
الى ما يجوز ان يحلف به والى ما لا يجوز ان يحلف به وما من
قسم جوزته طائفة الا ومنعته اخرى من الحلف بالله وباسمائه
وبصفاته وبافعاله وبما عظمه الشرع وما عندنا نص ان
الله اقسم بشيء دون نفسه ولكن ثم ظواهر وسيرد الكلام
في الايمان ان شاء الله في سورة المائدة ثم قال من الايات
للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر الاية
الايلاء اليمين يقال اليت على الشيء الية اذا حلفت عليه

والايلاء

والايلاء المعلوم في هذه الاية ان يحلف الرجل ان لا يطأ
امرأته سواء كان على غضب او غير غضب فان العلماء اختلفوا
في ذلك فقال ابن عباس لا ايلاء الا بغضب والاوجه انه لا يعتبر
في الايلاء موجب ولا يعتبر فيه الا العزم على ترك الجماع
وسواء كان بيمين او بغير يمين فان كان بيمين وفاء كفر
وان كان بغير يمين وفاء لم يكفر فليس لليمين هنا حكم الا
للكفارة وانما جاءت لفظة الايلاء اذ كان الغالب ان لا
يقع مثل هذا من الرجل الا بيمين وقد يقع في الغالب
عن غضب ولهذا اعتبره ابن عباس واما قوله تربص
اربعة اشهر فهو حكم من الله تعالى لا يزاد فيه فمن زاد فيه
فقد شرع ما لم ياذن به الله وسواء قيد المولي مدة هي
الاربعة الاشهر او اكثر او اطلقها وانها لا تبلغ الا الاربعة
اشهر خاصة لانه قال تربص اربعة اشهر **فان فاءوا** يعني
فيها اي في هذه المدة يقول رجعوا ولا بد من الجماع في
الرجوع فان لم يجامع فالايلاء باق على حكمه لان الايلاء
والعزم انما وقع على ترك الجماع فلا تكون الفيئة الا بوقوعه
والمفهوم من الشرع في تعيين مدة الايلاء انما هو دفع
الضرر عن المرأة ورعاية المصلحة لها فان ورد حكم من
الشارع بيانا في نقض هذه المصلحة في بعض ما في هذه المسالة
من الاحكام وقفنا عنده في ذلك واعتبرنا المصلحة ورفع

الضرر فيما عدا ذلك الوجه الذي ورد فيه الحكم
ثم ان كان الايلاء بيمين معتبرة فى الشرع فسبيلها عندنا
سبيل الايمان وان كان الايلاء بيمين غير مشروعة فلا
ايلاء فلا كفارة لو وقع الفيء منه و بقي الحكم ينسحب على العزم
الى اخر المدة ما لم يجامع فاذا انقضت المدة المشروعة وما
فاء طلقت ولا عدة عليها ان كانت قد حاضت فى تلك المدة
ثلاث حيض وان انتقص من ذلك شيئا اتمته بعد الطلاق
اذ كانت العدة مشروعة هنا لبراءة الرحم وقد وجدت
مع ما انضاف الى ذلك من المصلحة المعتبرة فى هذه المسالة
فترجح هنا على من يرى ان العدة عبادة غير معللة فان الايلاء
يشبه طلاق الرجعة والمدة فى الايلاء تشبه العدة فى
الطلاق الرجعي ويكون الطلاق بائنا بعد انقضاء المدة
لما فيه من المصلحة للمرأة ووجود الضرر لو كان رجعيا
لما يبقى له من الحكم عليها والعزم على الطلاق ان لا يفيء فى
تلك المدة فان العازم على عدم الفيئة يحدث نفسه بالطلاق
واذا وقع الحديث فلا شك ان الله سميع حديثه فى نفسه
فهذا قوله فان عزموا الطلاق فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بما
يحدث به نفسه من ذلك عَلِيمٌ ∴ بما قصده و نواه من
ذلك والحر والعبد فى هذه المسالة فى الحكم سواء وما من
وجه ذهبنا اليه والا وفيه خلاف بين العلماء والذى

يتعلق بهذه الاية من الترجمة قوله للذين يؤلون اي يحلفون
من نسائهم من اجل نسائهم ان لا يجامعوهن تربص اربعة اشهر
ينتظر به انقضاء هذه المدة فان فاءوا اي رجعوا اما فى الاربعة
الاشهر او عند انقضائها يحتمل فيها الوجهان فان الله غفور
رحيم اي غفور لما وقع منهم من الايلاء اذ كان مكروها
فانه مناقض لقوله تعالى ليسكنوا اليها فكان الاولى المولى
لما لم يعتبر العلة التى لها كان التزويج كره له ذلك وضرب
له اجل وغفر الله له برجوعه عن ذلك فكان رحيما به
من حيث انه تعالى غفر له ورحيما بالمرأة حيث رد عليها
زوجها بالعطف ولم يكن الايلاء مكروها فى حق النبي عليه السلام
لانه الاسوة فاجراه الله عليه لتبيين الحكم فى ذلك فانه
لا ياتي مكروها يكرهه الله وان كرهه الناس وَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ يقول وان رجح الطلاق على
الفيئة فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يحتمل التلفظ بالطلاق
او حديثا لنفسه به ولذلك اشترط بعضهم التلفظ
بالطلاق وحينئذ يقع وانه لا يقع بانقضاء المدة عنده
ولا بالعزم فان العزم غير مسموع لكن قوله عَلِيمٌ
قد يكون بما عزم عليه من الطلاق بترك الفيئة فى هذه
المدة فتطلق فتطلق بالانقضاء ويكون سميع ان تكلم به
بالطلاق مع الخلاف الذي بين اهل النظر فى معنى السميع

فانى سبحانه بالاسمين جميعا لوجود الحالتين
قوله **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**
هذا عام فى كل حرة مدخول بها مطلقة تحيض فيخرج من
هذه الاية من المطلقات اليائسة والتى لم تبلغ المحيض
والحامل والامة وغير المدخول بها والمرتفعة الحيض فى سن
الحيض والا المستحاضة والمرتابة بالحمل الحس بحده فى بطنها
وغير المرتابة وهي التى عرفت سبب انقطاع دمها من مرض
اوجماع . فالمطلقة التى تتربص ثلاثة قروء هي ما ذكرنا ولكل
جنس مما خرج عن هذا عدة من المطلقات وقوله يتربصن
بانفسهن يلبثن بغير نكاح اي لا يتزوجن ثلاثة قروء يعنى
هذه المدة واختلف الناس فى القرء فى هذه الآية فطائفة
قالت اراد الاطهار واخرى قالت الحيض والاظهر انه الحيض
لقوله عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك وقد روي
عدة الامة حيضتان والقرء فى اللسان من الاضداد
يقال للحيض والطهر ويقوى من يقول انه الحيض قوله واللائى
يئسن من المحيض من نسائكم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام
الاشهر مقام الحيض وهذا ظاهر ليس بنص وايضا فان
استبراء الرحم انما يقع بالحيض والظاهر فى العدة انها لا
الرحم وقد نقل عن العرب اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة
مقرئ وقوله فطلقوهن لعدتهن اي لاستقبال عدتهن

والطلاق

والطلاق المشروع لا يكون الا فى طهر لم يجامع فيه فاذا
طلق فيه كانت الاطهار غير كاملة ولا بد ان تكون الثلاثة
قروء كاملة فيتقوى من هذا المجموع انها الحيض فان قيل
يقال ثلاثة قروء تجوزا وان لم تكمل قلنا لا نرجع من الحقيقة
الى المجاز الا بدليل وهم بلا شك يعتدون بالطهر الذي
يطلق فيه ولقد رايت رسول الله وانا بمكة فى المنام سنة
تسع وتسعين وخمسمائة وهو عليه السلام فى الحرم فكنت
اقول له يا رسول الله ان الله يقول والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء وهو من الاضداد وانت اعلم بما اراد
الله بالقرء فى هذه الآية اذ انت اعلم بما انزل الله عليك فقال
اذا فرغ قروؤها فافرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله
فكنت اقول له يا رسول الله اذن هو الحيض فتبسم وقال اذا فرغ
قروؤها فافرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله قلت فاذن
هو الحيض يا رسول الله فتبسم وقال اذا فرغ قروؤها فافرغوا
عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله فقلت له فاذن هو الحيض
يا رسول الله فتبسم وما زاد على ذلك وكنت افهم منه فى ذلك
الوقت انه يريد بقوله اذا فرغ قروؤها اذا انقطع عنها الدم
فافرغوا عليها الماء اي مروها بالغسل وكلوا مما رزقكم الله
كناية عن الجماع وتبين فى هذا الحديث صحة مذهب من يقول
ان الحائض اذا طهرت لا يقربها زوجها الا بعد استعمال

الماء ويرجحه على قول المخالف ويريد به الاغتسال المشروع
بقوله عليها ولا خلاف انه الاولى عند الكل وبالجملة ان
الآية مجملة لا يظهر فيها ترجيح وانما يطلب الدليل من جهة اخرى
قال احمد بن حنبل الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون الاقراء هي الحيض ومما يؤيد عندي انها الحيض قوله تعالى
في هذه الآية

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ

فان الذي خلق الله في ارحامهن انما هو الدم والطهر عبارة
عن عدم الدم ولا يقال خلق الله العدم لان العدم لا شيء وهذا
من بعض وجوه ما يحتمله لفظ هذه الآية فكانه يريد اذا
طلقن حرم الله عليهن ان يكتمن ازواجهن الحيض ويقلن قد
طهرن استعجالا للطلاق لما له عليها من حكم الرجعة في زمان
العدة وهذا التأويل في الآية ظاهر ويريد ايضا كتمان الولد
تكتم حملها لئلا يضر بالطلاق وهذا الوجه ايضا سائغ
في الآية ثم قال

إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

يقول لا يفعلن ذلك ان كن يؤمن بالله اي يصدقن بان
الله يؤاخذهم على ذلك ويعاقبهم في الدار الآخرة فانه
من صدق باليوم الآخر وان الله له فيه حكم على عباده وانه
مسؤول لا يقدم على مثل هذا وهذه الآية من اصعب شيء

على من يرى ان الايمان هو التصديق فقط فان الشرط اذا
انتفى انتفى المشروط والاقرار بما في ارحامهن شرط في وجود
الايمان وقد انتفى بالكتمان فينتفي الايمان ثم قال

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا

الظاهر من هذا الكلام ان للمرأة حقا في الرجعة فاذا ابت
الرجعة وهي في العدة رجح الشارع ارادة زوجها رجعتها
على ابايتها في ذلك اي في زمان العدة وقوله ان ارادوا اصلاحا
يعني البعولة ان اراد الزوج بالرجعة اصلاحا فان اراد
ضرارا بها فهو اثم عند الله كما انها ان كتمت ما خلق الله في رحمها
لان تضر زوجها بقطع ما له من الحق في ذلك فهي تأثم في ذلك
فهذا في مقابلة ذلك وارادته الاصلاح او غير الاصلاح
شيء في نفس الزوج لا يعلمه الا الله فيحكم له بالمراجعة ظاهرا
كما يحكم لها ان كتمت بعدم المراجعة ظاهرا والله يتولى
السرائر البعل زوج المرأة ويجمع على بعول وبعولة وقوله

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

يقول ولهن من الحقوق الواجبة على ازواجهن بالشرع مثل
الذي لازواجهن عليهن من الحقوق الواجبة والمثلية في
الوجوب لا فيما يجب من الافعال وقوله بالمعروف اي بما لا
ينكره الشرع فلا تكلفه ما لم يجوز لها الشرع تكليفه ولا
يكلفها الزوج ما لم يجوز له الشرع ان يكلفها وقوله

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وهي كون امرها بيده وحكمه
عليها بما القى الله بيده من ذلك **وَاللّٰهُ عَزِيزٌ** اي
غالب لمن نازعه فيما امر به وتعدى حدوده المرأة
بالكتمان والرجل بالاضرار وقوله **حَكِيمٌ** اي عليم بتعيين
ما ينبغي ان يعاقب به من يفعل هذا الفعل المعين
**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ
بِإِحْسَانٍ** يقول الطلاق الذي يملك به الرجل به الرجعة
مرتان لان الثالثة لا يملكها فيها ولا بعده الا حتى تنكح زوجا
غيره وترضى برجوعها اليه فامساك بمعروف في نفس الطلاق
الرجعي فان امرها بيده متى شاء راجعها فله ان يعاشرها و
يعاملها في ذلك الحال بالمعروف لا بما لا يجيز له الشرع ان
يعاملها به وينكره عليه وقوله او تسريح باحسان وهي الطلقة
الثالثة يقول وان عجز عن المعروف في الامساك لاسباب
يعرفها من جهته فليسرحها بالاحسان فمن الاحسان
ان لا يخالعها بشيء يأخذه منها ويستحي من الله تعالى في تسريحها
فلا يرزأها في شيء من نفسها بضرب وغيره وعرضها بكلام
قبيح يشنعها ومال بشيء يأخذه منها مما وهبها اياه او استحقته
عليه وقال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فلهذا فسرناه هنا بالحياء من الله الم يعلم بان الله يرى ومن
احسانه اليها في هذا التسريح ان يترك لها حقا يستوجبه عليها

اويدفع

او يدفع لها شيئا من عنده تستعين به في زمان عدتها فضلا
منه وكل ذلك من مكارم الاخلاق الذي بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليتمها او يريد بقوله فامساك بمعروف
اي بعد ان يراجعها او تسريح باحسان في وقوع الطلاق
بعد المراجعة وانما جعلنا هذا التفسير في الثالثة من
اجل فاء التعقيب من قوله فامساك بعد قوله الطلاق مرتان
وانما من حيث المعاملة فهذا يلزمه شرعا في الطلقة الاولى وفوق
**وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ
شَيْئًا إِلَّا**
يقول وحرمت عليكم اذ كان ضد الحل الحرمة لا من اجل قوله
لا وانما ذلك من اجل الفعل الذي دخل عليه النهي وقوله
ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا يقول وهبتموهن شيئا فان العائد
في هبته كالكلب يعود في قيئه واما الصداق
وما الزمه الشرع من الكسوة والنفقة فذلك حق لها وقد
نال منها العوض لذلك فاذا حرم عليه ان يأخذ ما وهبها
منها مع انه يمكن ان يعود في هبته لقلة مروءته وخساسة
نفسه وان له في ذلك حقا ما لم يكافيه على ذلك بقيمته فمن
باب الاحرى والاولى ان يحرم عليه ولا يحل له ان يأخذ مما
اعطاها من صداق وانفاق يلزمه لقبوله العوض فكان كالبيع
والعوض لا يمكن رده لانه الاستمتاع بوطئها فاخذ ذلك منها

من اكل المال بالباطل الا ان تطيب له نفسًا بشئ منه
قال تعالى وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن
منكم ميثاقا غليظا وذلك لان الافضاء لا يصح فيه الرجوع فلا يصح
ايضًا في المعوض منه ومع هذه الوجوه يسوغ ان يريد بقوله
ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا كل ما وصل
اليها منه من صداق وغيره وقوله تعالى
الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله الآية
يقول الا ان يخاف كل واحد منهما ان يتعدى حدود الله
في معاشرة صاحبه المرأة تخاف من النشوز وما في ضمنه
والرجل يخاف ان يتعدى فيها حد الله الذي امره بالوقوف
عنده وبالمجموع يجوز الاختلاع بما آتاها **فان خفتم**
الضمير يعود على الحكام او على الذين يفتون في الدين من العلماء
لئلا يحجروا عليهما ذلك وان لم يكن لهم ذكر ولكن يعرف
بقرينة الحال يقول فان خفتم **ان لا يقيما حدود الله**
بالمعاشرة **فلا جناح** اي لا اثم ولا حرج **عليهما فيما افتدت
به** ان تعطيه وان يأخذ منها فان خافت هي ولم يخف الرجل ذلك
فلا حرج عليها في البذل ويبقى الرجل فان نوى بذلك الاحسان اليها
في لخفة ذلك ليعصمها مما يخاف من الوقوع فيه من فساد آخرتها
جاز له اخذه ولا جناح عليه وان طلقها لا على عوض فهو اولى به
وابرأ لذمته وارفع للحرج عنه وكذلك في الجانب

الآخر مثله سواء وهذا النوع من فراق يسمى الخلع وهو
بذل المرأة للرجل العوض على طلاقها فان بذلت كل ما اعطاها
عوضًا كان خلعًا وان كان بعضه كان صلحًا وان كان اكثر
كان فدية وان كان اسقاطه عنه كان مباراة هذا اصطلاح
الفقهاء وحكم الكل حكم الخلع وهل هذا النوع من فراق يسمى
طلاقا فيعتد به في الثالثة او يكون فسخًا فلا يعتد به ويجوز
له المراجعة من غير ان تنكح زوجا غيره وهل يلزمها العدة
ام لا والظاهر ان العدة تلزمها فان العدة من حكم النكاح لا
من حكم الطلاق وفي ذلك خلاف بين العلماء وانما رجحنا
كون العدة من حكم النكاح لان غير المدخول بها اذا طلقت لا عدة
عليها ولو كانت العدة من حكم الطلاق اوجب الله العدة
عليها لان الطلاق موجود والنكاح غير موجود وهذا النوع
من الفراق البائن ولا بد سواء كان فسخًا او طلاقًا من اجل
ما افتدت به فانه لو ملك رجعتها مع اخذ مالها ارتفعت
الفائدة في حقها فلا بد ان يكون بائنا ثم قال **تلك حدود
الله فلا تعتدوها** يريد بحدود الله ما نصبها من
الاحكام فلا تعتدوها اي لا يحل ما حرم الله ولا يحرم ما احل
الله ثم قال **ومن يتعد حدود الله فاولئك هم
الظالمون** على قدر ما تعدى منها فان تعدى
منها ما يرجع الى نفسه كان ظالما لنفسه وان تعدى

منها ما يرجع الى غيره كان ظالما لغيره ولنفسه ثم قال
فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ
يحتمل ان يريد نعم فان طلقها يقول فان وقع ما ذكرناه من الفدا
فقد طلقت بعد طلقتين فلا تحل له حتى تعقد على زوج آخر
غيره ويحتمل ان لا يعتبر الخلع ولا يجعله طلاقا وانه يجوز له مراجعتها
اذا خالعها بعد التطليقتين ويعتبر صريح الطلاق يقول فان
طلقها فلا تحل له قبل ان يراجعها برضاها او بعد مراجعته اياها
برضاها فانها بائن بالفداء فانها تقع ثالثة اذ كانت بعد تطليقتين
ولكن اذا تلفظ في الخلع بالطلاق او ينويه طلاقا ويجعله مثل
الكنايات فلا تحل له اي هي حرام عليه حتى تتزوج بغيره فهل تحل
بمجرد العقد على الزوج الآخر للاول ام لا فظاهر الآية جواز ذلك
فان العقد نكاح وبه قال ابن المسيب والذي يشترط الوطي في ذلك
يفتقر الى نص من الشرع وقد ورد في ذلك حديث ولكن فيه نظر
من حيث انه قضية في عين وتتضمن هذه الآية صحة نكاح المحلل
لانه ارسله مطلقا من غير تقييد ويخرج قول النبي عليه السلام
لعن الله المحلل والمحلل له مخرج اللغو كاللغو في الايمان اذ كانت
اللعنة بمعنى البعد فكانه قال لعن الله اي ابعد الله المحلل والمحلل
له لما في ذلك من عدم الغيرة وقلة المروة فلا يريد به الجزم
بالدعاء عليهما ولا الاخبار عن الله انه ابعدهما من رحمته
والاظهر انه بعد من المروة والغيرة المستحسنة في الرجال

ولهذا

ولهذا اجوز نكاحه من جوزه وهو الاوجه في المسالة اذ
كانت لعنة المؤمن حراما والنبي ابعد من كل ما نهى عنه فانه
اتقى لله وقد روينا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال
لامراة مطلقة بالثلاث يا فلانة وهل تستحل باحد افضل
مني فتبسمت فلو فهم من لعنة النبي عليه السلام ما فهم
من لم يجوز ذلك لكان الحسن ابعد منه رضي الله عنه قال
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وهو من اهل البيت بلا شك وقد اخبر الله انه
طهرهم واذهب عنهم الرجس وخبره صدق وهذا يدل على
عصمة اهل البيت في حركاتهم وحفظ الله لهم في ذلك
ولبس ذلك لغيرهم فقد راى الحسن نكاح التحليل
فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا
يقول فان طلقها الزوج الذي وقع بنكاحه الاحلال
فللزوج الاول ان يراجعها ولها ان تراجعه إِنْ ظَنَّا
أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ اي ان غلب على ظنهما ان كل
واحد منهما يقوم بحق الله فيما اوجبه الله عليه في معاشرة
صاحبه اذ كان سبب الخلع الخوف من ذلك ثم قال
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
يعني مواقع البيان والكلام ثم قال
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا

يقول واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فان اراد الطلقة
التى يملك فيها الرجعة الا انه لم يراجعها حتى انقضت عدتها
على اختلاف احوال النساء فى العدة مثل اليائسة والحائض
والتى لم تحض بعد وغيرهن وقد يريد فى الطلاق البائن الذى
لا يراجعها الا برضاها والمحللة اذا انقضت عدتها من الثانى
كل ذلك سائغ فى تاويل هذه الاية وفى الكلام حذف
وهو فراجعتموهن بعد فراغ الاجل فامسكوهن بمعروف اى
بما امر الله ان تمسك به وان لم تطق على ذلك فقد جعل لك
سراحها فقال او سرحوهن بمعروف اى لا تسرحوهن بما لم يامر
به الله فهو قوله فان طلقها فلا جناح عليهما ان تراجعا ان ظنا ان ان يقيما
يقيما حدود الله قال ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا نهى الله
الرجل ان يمسك المراة ويضارها فى ذلك ليعتدى عليها
اما مناكدة منه ورغبة فى اذاها فقد تعدى فيها حد الله
واما يقصد باضرارها لتختلع ويأخذ بذلك طائفة من مالها
فقد تعدى حد الله فى ذلك فانه حرام عليه اخذه وانما يحل
من ذلك ما تعطيه على الخوف من جهتها ان تتعدى فى زوجها
حد الله قال **ومن يفعل ذلك** يعنى الامساك على الاضرار
فقد ظلم نفسه بما تاخذ المراة من حسنات الرجل لذلك



او يحمل نفسه من اوزارها على الوجهين فهو ظلم نفسه
ثم قال **ولا تتخذوا آيات الله هزوا** اى ما نصب
لكم فيما انزل عليكم من الدلالات على مواخذته اياكم على
مثل ذلك هذا الفعل هزوا يعنى لا تبالون بروتتاولونه
على غير وجهه واما الاستهزاء على غير وجه التاويل فهو
كفر بيا فض واستخفا فبحق الله الايمان نعوذ بالله من ذلك ثم قال
واذكروا نعمة الله عليكم فيما
احله لكم من نيل شهواتكم واستمتاعكم بطيبات رزق الله
الذى رزقكم واذكروا ايضا **ما انزل عليكم من الكتاب**
والحكمة يعظكم به يعنى على جهة الوعظ
لكم لتزدجروا وتنتهوا وتقفوا عند حدود الله ثم قال
واتقوا الله فى ذلك اى فى كل ما ذكرناه **واعلموا ان**
الله بكل شىء تعملونه وتضمرونه فى قلوبكم من خير وشر
عليم وعيد من الله وتعليم وتنبيه وتذكرة ثم قال
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف
يقول واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بانقضاء العدة
على كل وجه كما تقدم فلا تعضلوهن يخاطب من يخاف المراة
من عايلته من اوليائها يقول لا تمنعوهن ان ينكحن ازواجهن ان
ترجع الى زوجها اذا تراضيا على ذلك بالمعروف فهو احق



بها من غيره وفي هذه الاية دليل على ان تنكح المراة نفسها
وقوله بالمعروف يعني اذا تراضوا بينهم بما يجيزه الشريعة من
ذلك اي على الوجه المشروع ثم قال ذلك يوعظ به
من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر الاشارة
بذلك لقوله تعضلوهن ولقوله بالمعروف في هذه الاية
العضل في اللسان الامر الذي لا يطاق لشدته على النفوس
ومنه الداء العضال وهو الذي لا يطاق علاجه يقال عضل
الفضا بالجيش اي ضاق عنه لكثرته فلا يسعه وعضلت المراة
اذا نشب الولد في رحمها لضيق المخرج واعضل الامر اذا اشتد
يقول وهذا الوعظ المنزل من الله لا يقبله الا من كان منكم
يومن اي يصدق بالله واليوم الاخر انه عليم بما يكون منكم وقادر
على مواخذتكم على ذلك واليوم الاخر يقول ويصدق بان ثم يوما
بعد انقضاء الدنيا ياخذ الله فيه من الظالم للمظلوم وقوله
ذلكم ازكى لكم واطهر اي لا تعضلوهن وفي حق الزوجين
ازكى واطهر ان يتراضيا بالمعروف والله يعلم وانتم
لا تعلمون ۝ اي والله يعلم ما ينفعكم عنده فيامركم به
وما يضركم عنده فينهاكم عنه وانتم لا تعلمون ذلك ففي هذا
رد على الفلاسفة حيث يزعمون انهم عالمون بذلك من غير
ورود وحي منزل من الله وان ذلك من مدارك العقول وعند
المعتزلة ان بعض ذلك من مدارك العقول وبعضه لا يدرك

(الا

الا باعلامه لاشتباهه علينا فنفى الحق ذلك بقوله والله
يعلم وانتم لا تعلمون نزلت هذه الاية في معقل بن يسار حين
عضل اخته وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عمه

والوالدات يرضعن اولادهن
حولين كاملين

امر خرج مخرج الخبر يقول حق على الوالدة رضاع ولدها
والذي يقول انه لا يجب عليها ذلك لقوله تعالى فان
ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وان تعاسرتم فسترضع
له اخرى وانه انما يجب على المولود له وهو الاب يقول
بايجابه اذا لم يقبل غير ثدي امه او يكون الوالد معسرا فالقرآن
اوجب الرضاعة على الام واوجب على الاب نفقة الام
وكسوتها ما دامت ترضعه وذلك بالمعروف وهو ان لا
تكلفه الا على قدر ما يجده ولا تضاره ولا يضارها
في الولد بان تكلفه من اجل ولدها فوق استطاعته او ترميه
له ويضارها الاب بان ياخذه منها بعد ان الفته ليسقط
عنه بذلك النفقة وما يجب لها وكل ضرر يتعلق بسبب
الولد من كل واحد منهما بصاحبه وقوله حولين كاملين
يقول سنتين وقوله كاملين دفعا للتجوز الذي يدخل الكلام
في ذلك تقول في بعض اليوم الثاني ما رأيت فلانا منذ يومين

من قبل ان ينقضي اليوم الثاني فاذا قال كاملين رفع هذا
الالتباس ولذلك قال **لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**
والعامل في قوله لمن يرضعن فما اوجب سبحانه ايام الرضاعة
له ثم قال **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ** يريد الاب دون الام
فان الولد للاب ويقوى هذا قول من يقول من العلماء بهذا
الشان من الحكماء ان ماء المرأة لا يكون منه ولد وانما ذلك
من ماء الرجل والتكوين للمولود من ماء الرجل وكون المولود
ذكرا او انثى او خنثى انما ذلك راجع الى سبق احد المائين بحيث
يعلو احدهما على الاخر فان تما الرجل اذكرا وان علا ماء المراة
انثى وان تساويا كان الخنثى وتساويهما ان يحصلا معا
في الرحم من غير سبق واحد منهما فكان هذا المقدار مؤثرا
في الذكورية والانوثة وهما عرضان لا في عين التكوين فلهذا
اضيف الى الاب واذا اضيف الولد الى امه فمن كونه
يكون في رحمها وكان غذاؤه منها في مدة كونه في بطنها
وانما امهات الناس اوعية ؛ مستودعات وللابناء اباء
وقوله **وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ** احسن التاويلات
فيه ان يكون المعنى بالوارث الولد اذا مات ابوه انفق عليه
مما يرثه من ابيه من ماله وقوله مثل ذلك اي مثل ما كان يجب
على الاب من النفقة والكسوة لمن يرضعه وقوله
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ

منهما

مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
يقول فان اراد الوالدان بعد ان عرفا التحديد على اكمل
الوجوه بذكر الحولين لمن اراد تتميم الرضاعة يقول فان
تراضيا وتشاورا على فصاله اي فطامه من الرضاعة فلا
جناح عليهما وسبب ذلك ان الام اعلم بمصالح الطفل
الصغير وتربيته فينبغي ان لا يكون الفصال الا بعد
مشورتها ومشورة الاب ورضاه لما يلزمه على ذلك فاذا
رايا الزيادة اصلح بالطفل زادوا او النقص من الحولين
اتفقا على ذلك للحق الذي لكل واحد منهما في الولد قال
تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا على اقل ما يولد من زمن
الحمل ويعيش وهو ستة اشهر حملا وسنتان رضاعا على
التمام وان اتم الحمل المعتاد في الغالب وهو تسعة اشهر
كانت مدة الرضاع حولين الا ربع حول وهي احد وعشرون
شهرا ورفع الله الاثم والحرج عن الابوين في الزيادة والنقص
عن التحديد الذي حده الله من النقص والتمام **وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ** الاية
يقول ان امتنعت الام من رضاع ولدها اما ابايةً او لعذر
قام بها من انقطاع او فساد لمرض يخاف على الصبي ان يرث
منه فاردتم ان تسترضعوا من يرضع اولادكم من النساء
وهي الضئر فحذف احد المفعولين **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**

يقول فلا حرج عليكم في ذلك **اذا** شرط يقول اذا **اسلمتم**
ما آتيتم بالمعروف والتسليم الاعطاء بسهولة والانقياد
الى ذلك ومنه اسلمت وجهي اليك يقول اذا اقبضتم الظئر
ما انيتم النقد والذي تعطونها من الاجرة على ذلك بالمعروف
اي بالوجه المشروع من السماحة في العطاء والمبادرة اليه
من غير نقص مما وقع عليه الاتفاق بينكم من غير مطل
واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه في كل ما تقدم
ذكره **واعلموا ان الله بما تعملون** من ذلك **بصيره**
اي عالم براكم كما قال تعالى الذي يراك حين تقوم وقال
الم يعلم بان الله يرى ثم قال تعالى ٥ ٥ ٥
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
الآية يقولوا الذين يموتون منكم خطابا للرجال ويتركون
ازواجا في عصمة نكاحهم وهي المراة الحرة التي عقد عليها و
دخل بها ثم مات عنها وهي في نكاحه فامرها الله ان تحبس
نفسها عن النكاح وعن الزينة وهي الاحداد اربعة اشهر
وعشرة ايام فقال تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن **بانفسهن اربعة اشهر وعشرا**
فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في
انفسهن بالمعروف يقول اذا انقضت عدتهن التي
ذكرناها فلا جناح عليكم يخاطب الحكام والمسلمين

اي لا حرج فيما فعلن في انفسهن من نكاح وزينة
بالمعروف على الحد المشروع وفي هذه الآية ايضا دليل
على انكاحها نفسها لانه اضاف الفعل اليها ولم يقل فيما
امرن ان يفعلن في انفسهن فيكون خطابا للاولياء
والله بما تعملون خبير • من جميع اعمالكم
تنبيه من الله ان لا يتصرفوا ولا يعملوا الا على حد ما شرع
لهم سبحانه وقوله وعشرا يريد الليالي فحذف الهاء
وكانت الايام تبعا فان الليل في حساب العرب مقدم على النهار
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
يقول ولا حرج عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء من
غير تصريح بلفظ يدل على النكاح لا صريحا ولا كناية للمراة
التي في العدة ولكن يقول لها كلاما يفهم بقرينة الحال الامر
نفس ما تكلم به دون القرينة انه يريد نكاحها فتمسك
نفسها عليه ان وقع لها في ذلك غرض وكذا فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر لام سلمة وهي في عدتها مكانته من الله
وما شرفه الله على سائر خلقه خاصة فكان ذلك خطبة فلما
انقضت عدتها تزوج بها وقوله **او اكننتم في انفسكم**
يريد بذلك ما سترتم في نفوسكم من ارادتكم بذلك التعريض
نكاح المراة وحدثتم به انفسكم لا اثم عليكم في ذلك
علم الله انكم ستذكرونهن

يقول ان الانسان من جبلته انه لا يخلو ولا ينفك ان
يحدث نفسه في نفسه بما يشتهي ويريد فعله قبل
ان يفعله فرفع الله عن عباده الاثم في ذلك ثم حذف
فاذكروهن لدلالة الكلام عليه وجاء بحرف الاستدراك
الدال على المحذوف فقال ولكن لا تواعدوهن سرا
اي لا تذكروا لهن في التعريض لفظة جماع ولا نكاح ولا تكنوا
عن ذلك وقد يحتمل ان يريد بالسر هنا ضد العلانية لان التسر
بالكلام في مثل هذا يدل على انه ربما يقول ما يفحش سماعه ولذلك
استثنى استثناء متصلا فقال الا ان تقولوا سرا معها
قولا معروفا يريد قولا غير منكر شرعا في هذا الموطن ثم قال
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله
لما كان العزم على الشيء يؤذن بوقوع المعزوم عليه والنهي
انما ورد في وقوع عقد النكاح في العدة نهينا عن العزم الذي
هو سبب فكان من باب الاحرى والاولى النهي عن وقوع المعزوم
عليه وقوله حتى يبلغ الكتاب اجله هو انقضاء العدة وقوله
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
اذا اضمرتم فيها ما نهاكم الله عنه ان تضمروه وهو العزم
هنا ليس في الاية غير ذلك قال تعالى فاحذروه
اي خافوه واتقوه ان يؤاخذكم بذلك قال تعالى ويحذركم
الله نفسه ولست اعرف في القرآن ولا في السنة مؤاخذة

على

على ارادة النفس الا هذا وقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم وهي اشد من ذلك هذا اذا كان
العزم خصوص وصف في الارادة ثم قال واعلموا ان الله
غفور اي يستركم ويستر عليكم فلا يؤاخذكم بذلك عاجلا
فتخيلوا انه نسيا محكم فيما كان منكم من ذلك فذلك من
مكره الخفي في عباده الذي لا يشعر به ولا يريد هنا غفران
الذنب ازالة المؤاخذة به في الدنيا والاخرة فانه قال في اثره
تاكيدا له حليم . والحليم هو الذي يمهل ويؤخر العقوبة
ولا يهمل مع وجود القدرة على ذلك ولا يلزم من حلمه في الوقت
التجاوز عن الذنب مطلقا وان كان فنبهنا سبحانه بقوله
حليم ما اراد بالمغفرة هنا ثم قال
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن الاية م
يقول لا اثم عليكم في الطلاق قبل الدخول وكنى بقوله تمسوهن
عن الجماع او تفرضوا لهن فريضة يقول ولم تسموا لهن
صداقا فامرنا سبحانه واوجب علينا اذا طلقنا المراة على
هذه الحال ان نمتعها بشيء ندفعه لها من ذهب وثياب او
شيء تنتفع به على قدر جدة الرجل وعدم جدته فقال على
الموسع قدره اي من وسع الله عليه رزقه وعلى المقتر
هو الذي ضيق عليه رزقه متاعا اي يمتعها بذلك وقوله
بالمعروف باء السبب اي بسبب انه شرع لكم وقوله حقا

اي واجبا **على المحسنين** اي على من اعتقد ان الله يراه ويعلم
سره ونجواه ويظهر في هذه الاية ان الكفار غير مخاطبين
بفروع الشريعة فانه ما اوجبه الا على من يعتقد ان الله يراه
ومن لا يعتقد ذلك فليس بمؤمن سال جبريل النبي عن الاحسان
فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وهذا لا يقول به الا الجاهلية الجهلاء من العرب ومن لا يقول
من اهل النظر من الفلاسفة ان الله لا يعلم الجزئيات وكان
هذا الذي فرض الله لغير المدخول بها من المتعة لمن لم يفرض لها
صداقا ونصف المهر لمن فرض لها صداقا وطلقها قبل الدخول
بها انما ذلك في مقابلة ما نالها من الضرر بما ان عقده عليها
فمنع العقد بينها وبين ان تتصرف في نفسها ومنافعها
بحكم التزويج فكانت تنال في تلك المدة راحة من غيره فجعل
سبحانه هذا القدر عوضا من ذلك وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قبل من واحد فلسا في المتعة وقال انما
اردت بذلك الحياء سنة اذ كان قدر المنفعة بالفلس خسيس
ولم يكن في وسع الزوج اكثر من ذلك ثم قال
وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ الاية
يقول وان طلقتموا النساء اللاتي عقدتم عليهن من قبل ان
تمسوهن كناية عن الجماع او كناية عن الدخول بها وان لم يقربها
فالشرع يحكم لها بالصداق كله ولا يدينوه في ذلك لو انكر

يعني عليه السلام

المسيس فهذا شيء لا يعلمه الا الزوج والزوجة ولا شك
ان المسيس انما يكنى به عن الجماع ولذلك قال الله تعالى
وان تعفوا عن اخذ نصف الصداق اقرب للتقوى لانه
ما نال منها ما فرض الصداق من اجله فكانه مال لا عن معاوضة
وان عفت المراة عن ذلك فان الرجل يتعين عليه ان يمتعها
ويلحقها بمن لم يفرض لها صداقا وان كان لا يجب ذلك
عليه ولكنه خير هند وبا ليه اذ كانت الهبة على الاطلاق
مشروعة فكيف اذا اقترن بذلك شبهة حق بدخوله بها
وان لم يمسها وتورعت المراة في اسقاط ذلك في الحق عنه
وليس للذي بيده عقدة النكاح بعد الدخول بها ان يعفو
عن ذلك الا حتى يتيقن من ذلك ما تيقنت المراة وهو
عدم المنفعة والتلذذ بها من كل وجه من عناق وتقبيل
وما في ضمن ذلك فقال تعالى وان طلقتم النساء من قبل ان
تمسوهن اي تدخلوا بهن وقد فرضتم **لهن** صداقا معينا
فنصف ما فرضتم يجب عليكم اعطاؤه لها فانه مثل
المتعة في الوجوب غير ان المتعة على قدر حال الزوج من الجدة
وفي هذا الموضع لما الزم نفسه بتعيين الصداق الزمه الحق حتما
الزم نفسه نصف ذلك لكونه حجر عليها التصرف في نفسها وفرض
لها النصف ولكونه ما نال منها شيئا اسقط النصف فكان
المهر لمنفعته بها وحجره عليها فلما اسقط احد الامرين قسم

الصداق على ذلك ولما كان المعتبر والركن الاعظم من النكاح
الجماع ولم يقع رجح الله العفو عن اخذ ما عينه من نصف الصداق
لها على اخذه من عفا الشيء اذا ذهب رسمه فهذا معنى قوله و
وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وقوله وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ
بَيْنَكُمْ يؤيد ما ذهبنا اليه ان يهبها الزوج شيئا اذا هي
عفت عن اخذ النصف الذي اعطاها الله فيكافيها الزوج على
ذلك بشيء سماه الله الفضل فقال ولا تتركوا الفضل بينكم اي
كما تفضلت عليك بترك نصف الصداق الذي كان لها اخذه
فاحسن انت اليها مكافاة على ذلك إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ اي يرى ذلك ويتوجه في قوله او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح يريد الزوج اذا اعطاها الصداق كله عند عقد النكاح
عليها ثم طلقها فله ان يطالبها بنصف المهر فقال له الله او
يعفو الذي بيده عقدة النكاح عن مطالبتها بالنصف وقوله اقرب
للتقوى من انها استحقت ذلك بالعقد ووقع الطلاق من
الزوج لا من جهتها فخفف الله عن الزوج ونبهه سبحانه على
ان الافضل ترك ما اباح له اخذه اذ كان له في ترك ذلك
الاجر عند الله ويكون قوله ولا تنسوا الفضل بينكم ما كان
من فضل الزوجة حيث رضيت به واجابته الى مراده اذ كان
هو الطالب والخاطب لها فاسعفته في ذلك وقضت
حاجته وان الرجل بطلاقه اياها كسر قلبها وخجلها عند اهلها

فرنح

لا تنسى

فرنح له ترك النصف الذي اباح له اخذه على اخذه فضلا منه
عليها في مقابلة فضلها عليه في اجابتها فقال له لا تنسى ذلك
واجعل الجزاء عليه ترك ما ابيح لك اخذه ثم قال تعالى
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
المحافظة على الصلوة ان يؤتى بها في اوقاتها قال تعالى ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وان يؤتى بها ايضا
على اكمل هيئاتها من اتمام الركوع والسجود والقيام والجلوس
وما شرع الشارع من هيئاتها كما ورد في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال صلوا كما رايتموني اصلي وتعليمه
الصلوة للرجل الذي دخل عليه في المسجد فصلى فقال له عليه السلام
ارجع فصل فانك لم تصل وفيه فقال الرجل ما احسن غير هذا
وفيه انه صلى الله عليه وسلم لما علمه الصلوة قال له كبر ثم اقرا ثم
اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم اسجد حتى
تطمئن ساجدا ثم اجلس فاذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك
ومن المحافظة على الفرائض منها ان يؤتى بها في المساجد في الجماعة
ومن المحافظة عليها الاستكثار منها فان النبي عليه السلام
يقول ايضا في الصحيح اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل
العبد الصلوة فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان
انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان
له تطوع قال اكملوا لعبدي فريضته من تطوعه وقال تعالى

ومن الليل فتهجد به نافلة لك ومن المحافظة على الصلوة النافلة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى ركعتين اللتين كان يصليهما
بعد الظهر بعد العصر وبين انهما تلك الركعتان اذ كان الوفد
شغله عنهما فامرنا الله تعالى بالمحافظة على الصلوات وما خص
فرضًا من نفل ورغبنا فيها فقد يكون قوله والصلوة الوسطى
الفريضة من هذه الصلوات فان صلوة الفرض بلا خلاف افضل
من صلوة النافلة فاكد بذكرها المحافظة عليها لان السوال
عنها يقع كثيرًا يوم القيمة وامر بالمحافظة على النوافل في التكثير
منها وحسن اقامتها لما كان يكمل الفرائض منها بما فيها من الفرائض
والسنن فهذا غير بعيد في التاويل وقد يمكن ان يريد بالصلوة
الوسطى صلوة واحدة مخصوصة من الفرائض كما قد ذكر الناس
وما من صلوة من الخمس الا وقد روي انها الوسطى ولم يرد في
ذلك نص يرفع الاشكال فيها وكذلك اختلفوا في الوسطى
هل هو من الوسط الذى هو الشئ بين الشيئين او هو من الفضل
فان كان من الوسط فاحسن الوجوه فيها انها المغرب فان اول
صلوة صلاها الظهر فيكون المغرب وسطًا بلا شك وليس
في الصلوات وترًا الا المغرب وقد ورد في الخبر الصحيح ان الله
وتر يحب الوتر فهي وسط في الترتيب وهي افضل من طريق
الوترية وقد يتوجه على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ان
تكون صلوة الوتر اذ كانت عنده واجبة فهي دون الفرض وفوق

النفل

النفل فهي وسط بينهما فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم وهي الوتر فاضافها
الى ما فرض علينا من الصلاة وقال اوتروا يا اهل القرآن وما
نص على حفظ صلاة مما سوى الخمس ولا حافظ على ما نقل اكثر
من الوصية وحفظه على صلوة الوتر وجعلها وتر صلوة الليل
كما جعل المغرب وتر صلوة النهار وقد يتوجه في ذلك ان تكون
صلوة الجمعة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الوعيد بالحرق
بالنار في الدنيا على من تخلف عنها ومما يؤيد ما ذهبنا اليه من
انه تعالى يريد بالصلوة الوسطى صلوة الفرض قوله يوم الخندق
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وما شغلوه الا
عن صلوة العصر فذكر الصلوة المفروضة واتفق ان كانت
صلوة العصر فتحقق النص في الفرض ولم يتحقق في تعيين العصر
ولكنه محتمل وفي مصحف عائشة حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وصلوة العصر فهذا ايضا يقوى ما ذهبنا اليه
بجعل المحافظة على الصلوات مطلقًا نفلها وفرضها ثم قال
والصلوة الوسطى فاكد المحافظة على العصر من الفرائض اذ كان
وقتها من اخفى الاوقات كلها لا تزال الشمس مرتفعة
بيضاء نقية قبل ان تدخلها صفرة فما وقتها في البيان كوقت
الصبح بطلوع الفجر وصلوة الظهر بزوال الشمس والمغرب بغروب
الشمس والعتمة بمغيب الشفق فجميع الاوقات في غاية البيان

على الفرائض من الصلوة ثم قال وصلوة قال المحافظة ٢

فلهذا اكد بذكر صلوة العصر فى مصحف عائشة وهو المحافظة
على معرفة وقتها ثم قال تعالى
وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ
يعني فيها معناه ساكتين فانهم كانوا يتكلمون فى الصلوة
حتى نزلت هذه الاية قال الراوي فامرنا بالسكوت ونهينا
عن الكلام فى الصلوة وان كان القنوت الطاعة لله فقوله
وقوموا لله بها على حد ما امركم الله به وما علمكم اي من اجل الله
ثم قال فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا وهذا
من المحافظة على الصلوات ان تقام على جميع الاحوال وعلى
قدر الاستطاعة ولا سبيل الى تركها ولو صلاها ايما
بعينيه فقال تعالى فان كنتم فى حال خوف من عدو ولا تستطيعون
ان تؤدوها وانتم قائمون على الارض فلتصلوها وانتم تمشون
ان كنتم رجالا اي على ارجلكم او ركبانا يقول على رواحلكم اذا
لم تستطيعوا النزول على الارض ثم قال وَإِذَا أَمِنْتُمْ
فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
يقول فاذا ارتفع الخوف وكان الامن فصلوا كما علمكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اعمال الصلوة من القيام على الارض و
الركوع والسجود وليس فى هذه الاية ما يدل على النقص من
اعداد ركعات الصلوة كما ورد فى السنة من ان فرض الخائف
ركعة وهي مسئلة خلاف بين الناس وقد يمكن ان يكون قوله

فاذكروا

فاذكروا الله تحريض على شكره سبحانه كما علمنا كيف نؤدي
هذه الصلوة فى حال الخوف وفى حال الامن وعلى كل حال
ثم قال وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ
وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
الوجه عندي فى تاويل هذه الاية انه اخبار من الله بما
كان الامر عليه فى زمان الجاهلية واستمرار ذلك فى اول
الاسلام من غير ان يرد من الله فى ذلك حكم يرفعه ولا حكم
يقرره بل بقي الامر على ما هو عليه من ان المراة اذا مات عنها زوجها
وهي فى عصمته انه كان يوصى لها بالنفقة والسكنى حولا
كاملا ولم يكن لها ميراث فان استعجلت المراة الخروج قبل
الحول سقطت نفقتها وسكناها ولم ينزل الله عليهم فى حق
من تركها يخرج ولا فى حقهن اذا اخرجن اثما بل كان الاولياء
والمؤمنون يتركوهن وكانت النساء يزلن الاحداد ويتزين
ويتعرضن للخطاب والتزويج ولا حرج فى ذلك عليهم
ولا عليهن من الله الى ان نزلت اية الميراث والتربص اربعة
اشهر وعشرا فلم يكن الحول ولا النفقة فيه ولا السكنى شرعا
مقررا من عند الله ويؤيد هذا انه لما نزلت عدة المتوفى
فى اربعة اشهر وعشرا وظهر من الناس فى ذلك ما ظهر من

انه يسبق على النساء لعليه السلام قد كانت احدٰكن في
الجاهلية تقعد حولا في شر ثيابها الحديث ولم يقل عليه السلام
فيه ان ذلك كان شرعا من عند الله وقاله منكرا عليهن
وان الذي نزل عليه في ذلك اخف مما كان الامر عليه وهن
يضقن به ذرعا فاذا كانت هذه الاية اخبارا من الله تعالى
بما كان الامر عليه فلا يكون ما نزل من الحكم في ذلك بالاربعة
الاشهر والعشر الليالي واية الميراث ناسخا لهذا الخبر لان
الخبر لا ينسخ وانما الحكم الذي وقع الخبر عنه ارتفع بما نزل في
ذلك والذي ذهب اليه المفسرون ان هذه الاية خرجت
مخرج الحكم من الله في اول الاسلام ثم نسخها ما ذكرنا وهو
بعيد للانكار الوارد من النبي عليه السلام الذي ذكرناه و
قوله هنا والله عزيز اي غالب بما قهرهم به من الموت ممتنع
ان يحال بينه وبين ما يريد فانه الذي توفاهم وقوله حكيم
اي عليم بالوقت الذي انزل فيه رفع هذه المشقة من فان الحكيم
هو الذي لا يتعدى بالاشياء ميقاتها لعلمه بذلك ولا نعلمه
نحن ثم قال وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا
عَلَى الْمُتَّقِينَ
يقول ان حكم المطلقة ما هو حكم المتوفى عنها زوجها وهو عموم
في جميع المطلقات وهذه مسئلة خلاف بين العلماء فمن
الناس من قال ان المتاع هنا نفقة العدة ومنهم من قال هي

في غير المدخول بها كما تقدم ومنهم من قال هي واجبة في كل
مطلقة وقوله حقا على المتقين اي واجبة على من يتقي الله فيفعل
ما اوجب الله فعله عليه والظاهر لو اراد بهذه الاية ما اراد
بالاولى التي هي غير المدخول بها التي لم يفرض لها لكانت خلية
عن الفائدة فالاوجه ان يكون مثل الاولى في الوجوب في غير
المدخول بها وفي المدخول بها على الاستحباب والندب من الله
الى ذلك فالمتقي يبادر الى ما ندبه الله اليه مبادرته الى الواجب
على السواء ايثارا لما اختاره الله له وان لم يجب عليه فان المتقي
يوجبه على نفسه ومن الزم نفسه طاعة الزمه الشارع اياها
فلذلك قال حقا على المتقين اي واجبا وما كل مؤمن ذا
تقوى وفي حق غير المدخول بها واجب ولا بد ثم قال
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ اي يظهر لَكُمْ آيَاتِهِ اي العلامات
التي تستدلون بها على الاحكام او يقول كما بينت لكم الاحكام
بما انزلته عليكم في الكتاب مثل ذلك يبين الله لكم اياته
التي جاءت بها الانبياء دلالات على صدقهم وقوله
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اي تقيدوا انفسكم بالعمل بها ماخوذ
من العقال فلا تسرحوا الا فيما سرحكم الشرع فيه ثم قال
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ
حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

في هذه الاية رد على الاشاعرة في استدلالهم على رؤية
الله بالابصار بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
ان الرؤية اذا اقترنت بها كلمة الى كانت بالبصر فقول نظرت
الى كذا اي شاهدته ببصري ونظرت كذا اي قابلته واحتج
بذلك على نفاة الرؤية فقد جاءت الرؤية هنا بالى وليست
هنا الرؤية بالبصر بلا شك فانه خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم
ومن خوطب عن امم قد مضوا وما رايناهم حال خروجهم ولا
حال موتهم ولا حال احيائهم وكذلك قوله الم تر الى ربك
كيف مد الظل فجاء بالى ومعناه هنا الفكر ان يتفكر في ذلك
مع وجود الى فانه معلوم في هذه الاية ان واحدا منا ما راى
ربه وهو يمد الظل فيعرف كيفية ذلك المد بوساطة
مشاهدة البصر فبطل ما استشهد وا به من هذه الاية
لتقييدها بحرف الى فالرؤية في هذه الاية بمعنى التعجب و
الاعتبار اذا فكرت فيهم وعلمت قصتهم وحديثهم فان الخبر
الصدق والمعاينة على السواء في التصديق بذلك ولا اصدق
من الله حديثا وهو المخبر بقصة هؤلاء الذين اخبر عنهم
فلا فرق عندنا بين ان نشهدهم باعيننا في هذه الحالات
وبين هذا الخبر الالهي بل اتم واوضح وقوله وهم الوف اي
متالفون جمع الف كجالس وجلوس وقد يمكن ان يكون من العدد
ويكون الامران معا فاخبر الله تعالى انهم خرجوا فرارا من الموت

وفي كذا اي فكرت فيه ونظرت لكذا اي رحمته ونظرته م

وهو ان الطاعون كان نزل بهم فاراهم الله انه لا ينجي حذر من
قدر قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
فقال لهم الله موتوا فماتوا ميتة رجل واحد ثم احياهم ليعتبروا
فان الاجل المسمى ما كان وصل وقته وانما كان هذا موت اعتبار
واحياء اعتبار لهم ولنا من بعدهم ليعلموا ان الله على كل شيء
قدير وانه لا راد لامره ويخرج على هذا ان قوله تعالى لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى يريد في الاولى التي هي الدار الدنيا
فحذف حرف الجر فان هؤلاء قد حصل لهم في الاولى موتتان
ولامثالهم ثم قال ان الله لذو فضل على الناس منه هذا
وامثاله ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي يكفرون بنعم الله
عليهم هؤلاء القوم الذين اخبر الله عنهم كانوا من بني اسرائيل
وكان ذو الكفل بينهم الذي بعث اليهم وهو حزقيل بن دوم
وقيل حزقيا بن دوم وكان الله قد امره ان يخرج بقومه
لقتال عدوهم وكان الطاعون كثيرا ما يكون بارض عدوهم
فخاف قومه من القدوم على تلك الارض فابوا عليه فابتلاهم
الله بالطاعون فخرجوا من مدينتهم حذر الموت فدعا الله
حزقيل عليه السلام ربه ان يريهم اية يعرفون بها انه لا ينجيهم
حذرهم من قدر الله فقال لهم الله موتوا فماتوا ميتة
رجل واحد وجيفوا وانتثرت لحومهم عن عظامهم ثم
دعا الله حزقيل ان يحييهم فاحياهم فلما راوا ذلك تحققوا

ان الفرار من قدر الله لا ينجيهم ثم قال تعالى
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
يحتمل ان يكون المخاطب هؤلاء القوم بالقتال فيكون
اخبارا لنا من الحق بتمام القصة وبما امرهم به ويحتمل ان يكون
المؤمنون المخاطبين بهذه الآية بعد فراغ القصة تحريضا
للمؤمنين على جهاد عدوهم ولا يقولوا مثل ما قال هؤلاء الذين
ابوا على نبيهم فان الله سميع لكل ما يتكلمون به عليم بما يضمرونه
في صدورهم وان لم يتكلموا به وقد يكون قوله عليم علام بما
هي الحقائق فان السمع متعلقه الكلام من حيث ما هو كلام عليه ع
لا من حيث ما يدل عليه من المعاني فيكون قوله عليم بما دل عليه
الكلام المسموع فجعل له تعلقين تعلق السمع والعلم
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا
نزلت في ابي الدحداح عمرو بن الدحداح من الانصار
لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من تصدق بصدقة فله
مثلها في الجنة وكان لابي الدحداح حديقة فقال
يا رسول الله ان تصدقت بحديقتي فلي مثلها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال وام الدحداح معي
قال نعم قال والصبية قال نعم قال فتصدق بحديقته فانزل
الله فيه هذه الآية فيه وضاعف الله اجره على صدقته
فقال من ذا الذي يقول اي انسان كان من المؤمنين لم يخص به

واحدا

واحدا دون آخر يقرض الله قرضا حسنا القرض السلف
لما كان السلف يعود الى معطيه بعد ذلك جعل الحق سبحانه
ما يتصدق به من اجله قرضا لانه يعيد مثله واكثر من ذلك
على من اقرضه ولو قال ذلك بغير لفظة القرض ما اعطى هذا
المعنى واذا علم المعطي ان متاعه يعود اليه مضاعفا
سارع الى عطائه لمن يسال منه ذلك وقوله حسنا يقول
طيبة بذلك نفسه يبسط وجه السائل وبشاشته وفرح كان
الحسن صلوات الله عليه اذا وقف السائل ببابه يسارع بالصدقة
اليه بيده فارحا مستبشرا به ويقول مرحبا بحامل زادي الى
الآخرة ومن القرض الحسن رؤية النعمة من الله عند العطاء
وقوله قرضا حسنا اي من وجه من المال يجوز له التصدق به
مما ملكه الله اياه بوجه صحيح يرضاه الله وقوله فَيُضَاعِفَهُ
لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً هو قوله مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
وقوله عليه السلام ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربي
احدكم فلوه او فصيله ومن القرض الحسن ان لا يتبعه اذى
ولا منة قال تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى وقال
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والشيء اذا اكثره الله فلا
اكثر منه واقل الكثرة دوامه فكيف اذا انضاف الى

ذلك وجود الكثرة في الامثال مثل قوله فله عشر امثالها
لكان مبالغة في الكثرة ثم قال **وَاللّٰهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**
يريد هنا في الرزق يوسع الرزق على قوم ويضيقه على قوم بقدر
ما يعلمه من المصلحة في حق ذلك العبد وان كان شقيا فانه مرحوم
به في شقائه بوجه ما فان رحمته وسعت كل شيء قال تعالى
ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني الرزق وقال وما ننزله الا بقدر
معلوم فمن اعطاه الله علم ذلك فقد اعتنى به وقد علم شيا من
القدر ثم قال **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ليوفيكم ما اقرضتموه في دار
الكرامة وليندم من لم يقرضه في هذه الدار حين طلب منهم
ذلك بالوجه الذي يصح فيه التصرف فهو قوله يوم التغابن
للمعطي والمانع والمعطي من غير وجهه فيود المعطي المقبول
لو اعطى جميع ما عنده ويود المانع لو اعطى وما منع ويود المعطي
من غير وجهه انه اعطى من الوجه الذي يليق ويكون معه القبول
كما قد تقدم ٭ ولما خرج ابو الدحداح عن حديقته صدقة
لله تعالى جاء الى حديقته التي تصدق بها ليسلمها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجد ام الدحداح والصبية فيها فامتنع من
الدخول فيها فقال يا ام الدحداح قالت لبيك قال اني جعلت
حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وانت واولادنا
معنا فيها فقالت له ام الدحداح بارك الله لك فيما شريت وفيما
اشتريت فخرجوا منها وسلم ابو الدحداح الحديقة للنبي صلى الله

عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم نخلة مدلي عذوقها
لابي الدحداح في الجنة ٭ ما رأيت اعرف من ام الدحداح حيث
دعت حين بالبركة فيما باع وما اشترى فاما البركة فيما باعه
فهو قوله عليه السلام في الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربي
احدكم فلوه او فصيله حتى تصير مثل جبل احد وان كانت غاية
في الصغر فهذه بركته فيما باع فان الجزاء يقع عليها يوم يقع
على قدر ما انتهت اليه من العظم في التربية الالهية لا على قدر
الوقت الذي اعطاها والبركة التي تكون في المشترى هو ما لم
يدخل تحت التعريف مضافا الى القدر الذي زاد على ما كان
جزاء للصدقة في اول اعطائها قبل التربية فهذا من ادل دليل
على علمها بذلك ٭ ومن جملة القرض النفقة في سبيل الله
بتجهيز الضعفاء الذين لا مال لهم الى قتال عدوهم في قوله وقاتلوا
في سبيل الله ونفقتهم على انفسهم في ذلك فوقعت المناسبة بين
الآيتين ثم قال **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ
مُوسَى** الآية يقول الم تعلم بما اخبرتك به مما كان من قوم
بني اسرائيل من بعد موت موسى بن عمران **إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ**
قيل هو شمويل وهو بالعربية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن برخام
بن الهو بن يهرص بن علقمة بن ناجب بن عموصا بن عزريا بن
صفية بن علقمة بن ابي ياسف بن قارون بن يصهر بن قاهث
بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن وقيل هذا النبي

هو شمعون وقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم الخليل قالوا له **ابعث لنا ملكا** يقولون يتقدم
علينا ويملك امرنا ونسمع له ونطيع ليجمعنا على قتال عدونا
الذي جلانا عن اهلنا وبلادنا وهو جالوت واصحابه فهو **نقاتل**
في سبيل الله فقال لهم نبيهم **هل عسيتم**
ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا
كما قال تعالى لنا كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى من الله
ومن رسوله واجبة لان الانبياء قلوبهم محفوظة من الخواطر
المذمومة فما يقع في قلوبهم الا الحق وكذلك كان لما كتب
عليهم القتال تولوا او اعرضوا الا قليلا منهم كانوا ثلاثمائة و
ثلاثة عشر خاصة فالمعنى يقول لهم نبيهم لا اقرب من حالكم
ان كتب عليكم القتال انكم لا تقاتلون وتكرهون ذلك لان كلمة
عسى من افعال المقاربة **فقالوا** في جواب قوله **وما لنا الا نقاتل**
في سبيل الله يقولون وما يمنعنا من ذلك ونحن نطلب
ثارا من عدونا فقالوا **وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا**
لما ظهر علينا عدونا جالوت قال **فلما كتب عليهم**
القتال تولوا اي اعرضوا كما ظنه فيهم نبيهم صلى الله عليه
الا قليلا منهم فكان فعل المقاتلة انما دخل من اجل
من اطاع منهم ولم يتولى عن القتال فكانهم قاربوا ان يتولوا
باجمعهم لولا ان الله اعتنى بالطائفة التي استثنى منهم قال

والله

والله عليم بالظالمين وعيد وتهديد وتحقيق
ان الله يعلم ما يكون من الظالم من الظلم قبل وقوعه فانطق
الله بذلك نبيه عليه السلام وعرفنا الله بهذا كله تنبيها
لنا وتذكرة لئلا نكون مثلهم فيما يامرنا به سبحانه وتعزية
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لفؤاده ان وقع منا
في امر الله ما وقع من هؤلاء قال تعالى وكلا نقص عليك
من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ثم قال
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
يقول لما سال ملأ بني اسرائيل نبيهم ان يبعث لهم ملكا
يقاتلوا معه عدوهم قيل اوحى الله الى نبيه بقارورة فيها دهن
مقدس فقال له ربه اذا دخل عليك رجل فنش الدهن
عند دخوله فذلك هو الملك الذي نبعثه لهم فدخل عليه
طالوت يوما يرجو بركة دعائه في ان يرد الله عليه حمرا ضلت
له فلما دخل نش الدهن في القارورة فدهنه به وكان رجلا
دباغا حقيرا في قومه من سبط بنيامين ولم يكن في ذلك
السبط نبوة ولا ملك وكان طالوت من ادنى بيت فيه
وسمي طالوت لفضله عليهم في العلم والجسم من الطول وهو
الفضل واسمه بالسريانية شانك بن قيس بن انبال بن ضرار
بن يحرب بن افيح بن ايش بن يامين بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم الخليل فقال له شمويل ان الله قد امرني ان ابعثك

ملكا لهؤلاء القوم تقاتل بهم عدوهم ودهنه بدهن القدس
واعلم ان الله يوحي اليه اذا كان في مكان كذا وكذا ثم قال
لقومه ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا **قالوا انى يكون** يقولون
كيف يكون **له الملك علينا** وليس هو من سبط فيه نبوة
ولا ملك **ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال** يقولون ما له مال واسع يكون به ملكا **قال
لهم** نبيهم **ان الله اصطفاه** اي اختاره **عليكم** يقول
يكون ملكا عليكم يملك امركم **وزاده** عليكم **بسطة**
اي اتساعا **في العلم والجسم** اي منظره عظيم حسن
ومخبره مثل ذلك واحسن الناس من عظم منظرا او مخبرا وقيل
كان سقا يسقي الماء على حمار له **والله يؤتي ملكه
من يشاء** يقول الملك لله سبحانه ليس لكم فيعطيه لمن
يشاء من عباده قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ثم قال **والله واسع
عليم** لما قالوا ولم يؤت سعة من المال اخبرهم الله باني واسع
العطاء اذا شئت اغنيته بالمال وقوله عليم في هذا الموضع يقول
عليم بمن يصلح من عبادي للنيابة عني في خلقي والتقدم عليهم
ولما اخبرهم نبيهم بان الله اصطفى عليهم طالوت بالملك
قالوا ما آية ذلك فقال **لهم ان آية ملكه** اي علامة اعطاء الله
له الملك **ان يأتيكم التابوت** وكان عند انبياء بني اسرائيل

تابوتا

تابوتا قد جعل الله لهم فيه آية يسكنون اليها تدل على نصرهم
على عدوهم فكانوا اذا قاتلوا عدوهم قدموا التابوت امام
الجيش واستنصروا بربهم فيعطيهم النصر فهذا معنى قوله
فيه سكينة كما يقال اقبل هذا الامر فان
فيه فرجا لك وكان الله قد رفع التابوت من بني اسرائيل
لما فشت فيهم المخالفات والكفر فقيل اخذه منهم عدوهم
وقيل بل رفعه الله اليه ولا شك ان هذا الملا من بني اسرائيل
انما اتوا في انكارهم الملك على طالوت لكونهم ما طلبوا قتال عدوهم
لان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
ايثارا لجانب الحق تعالى والله اغنى الشركاء عن الشرك فقالوا
وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
فذكروا العلة فما قاتلوا الا لحظوظ نفوسهم لا لجناب الله فبعدوا
من الله فضعفوا في نفوسهم فلم يقبلوا فرض القتال عليهم و
نازعوا الله في ولاية طالوت عليهم فجاءت الملائكة بالتابوت
تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى انزلته في
بيت طالوت فحينئذ سمعوا له واطاعوا رغبة في النصر
على عدوهم وقوله فيه سكينة **من ربكم** اي فيه آية
تدل على النصر فيسكن اليه من كان معه في حال قتال عدوه
يقال سكن الى هذا الامر يسكن سكونا وسكينة على انه قد قيل
في هذه السكينة اقوال كلها ترجع الى ما ذكرناه فقالوا كانت

السكينة التي فيه ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وقيل
غير ذلك وسميت سكينة لما ذكرناه ولا فرق بين ان تكون
الاية حضور التابوت عندهم او تكون ما ذكروه قال تعالى هو
الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ويحتمل ان تكون السكينة
عبارة عن الملائكة الذين مع التابوت ينصرهم الله بهم مددا
ودعاء فانه قد ورد في الصحيح ان بعض الصحابة كان يقرأ القرآن
وله فرس فجعلت الفرس تضرب بيدها وتنفر فنظر الرجل فاذا
غمامتان قد نزلتا من السماء فلما سكت عن القراءة ارتفعتا
فذكر ذلك للنبي عليه السلام فقال تلك السكينة تنزلت للقرآن
وكانت الملائكة في الغمامتين وقوله وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ
آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ يعني الانبياء فيقال كان فيه عصا
موسى وعمامته وشيء من التورية وثياب موسى ورضراض
الالواح والطشت الذي كان يغسل فيه قلوب الانبياء
اِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
وهذا تنبيه على مغايرة العلم للايمان كما قدمنا فان الدليل
يعطي العلم لذاته ولا يعطي الايمان فالايمان نور يقذفه الله
في قلب من اختصه من عباده وقوله ان كنتم مؤمنين اي مصدقين
بان النصر يكون مع التابوت والاية كانت في اتيانه لا فيه
فقوله ذلك اشارة الى الاتيان فجعله دليلا على صدق شمويل
ان الله بعث لهم طالوت ملكا فاضيفت الاية للملك المضاف

الى طالوت لانه محل النزاع وقوله لاية لكم يدل على انه علم
سبحانه انهم اتخذوا الاتيان دليلا لانه من لم ينقر عنده
كون هذا الامر دليلا على كذا لا يكون عنده دليلا وان كان
في نفس الامر دليلا ولكن هنا غموض فانه اذا حصل هذا الدليل
عند الناظر فيه من جميع وجوهه باستيفاء اركانه فلا بد
ان يكون عنده دليلا لانه لذاته يدل ويرتبط بمدلوله
فليس الدليل بالاضافة فالجهل انما حصل من كون الناظر
ما استوفى النظر فيه ولهذا انقسم الناظرون في آيات الانبياء
الى قسمين قسم لم يحصل لهم العلم بالدليل فكفروا بالمدلول
وقسم حصل لهم العلم بذلك فجحدوا بالاية واستيقنتها انفسهم
فيختلف الحكم عليهم في الاخرة من عند الله لاختلاف احوالهم
وان جمعهم اسم الكفر فلما رأت بنوا اسرائيل اتيان الملائكة
بالتابوت الى بيت طالوت على حد ما ذكره نبيهم سمعوا له واطاعوا
فخرج بهم طالوت لقتال عدوهم وهو قوله فلما فصل طالوت
بجنوده من خرج من شيء فقد فصل عنه فصولا فقال تعالى
فَلَمَّا فَصَلَ اي خرج من بيته بجنوده يطلب عدوه وكان في
زمان الحر قَالَ لهم اِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ
قيل هو نهر الاردن الخارج من بحيرة طبرية الواقع في بحيرة
لوط فابتلاهم الله اي اختبر صدقهم في اتباع طالوت بالشرب
من النهر اذ التكليف انما يقع ويتعلق بفعل المكلف فَمَنْ شَرِبَ

مِنْهُ يقول من كرع فيه فشرب منه اكثر مما يسد به عطشه
خاصة وهو الضروري من ذلك الذي به تبقى حيوة الانسان
وان احس بالعطش يقول فمن فعل ذلك فَلَيْسَ مِنِّي
يقول وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ وصبر على عطشه فَإِنَّهُ مِنِّي
إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ وهو قدر الضرورة
الداعية اليه فانه مني وقوله مني اي الشرب منه ليس من سنتي
كما ورد من غشنا فليس منا اي ليس من سنتنا الغش قال
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وكانوا ثلاثمائة وثلاثة
عشر وما عدى هؤلاء فانهم شربوا حتى رووا منه قال تعالى
فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ يعني طالوت وَالَّذِينَ مَعَهُ يعني
عسكره ابصروا عسكر جالوت وكثرته وشدة بأسه ونظروا
الى ضعفهم وقلتهم قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ وهؤلاء القائلون منهم هم الذين شربوا
وهم الذين وقع عليهم الشرط بقوله ان في ذلك لاية لكم ان كنتم
مؤمنين وهم الذين قالوا وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فكرهوا
ان يخرجوا من انفسهم ايضا بالقتل فجبنوا عن قتال عدوهم وضعفوا
عن الايمان بالنصر المقترن بحضور التابوت فما كان في
حق هؤلاء سكينة لان نفوسهم ما سكنت اليه في ذلك فقال
القليل منهم وهم الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ
وقد تقدم الكلام في الظن في هذه السورة قالوا كَمْ مِنْ

فِئَةٍ

فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً الفئة الجماعة
وقوله بِإِذْنِ اللَّهِ اي الغلب لا يقع الا باذن الله اي بامره
فانه شيء وقد قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وقوله وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ قد تقدم الكلام
عليه في هذه السورة ثم قال وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
يقول ولما برزوا اي ظهروا الى عدوهم دعوا الله ان يصب
عليهم الصبر والثبات في الحرب والنصر على الاعداء وكيف
يسألون النصر وقد علموا وقوع النصر لهم على اعدائهم بكون
التابوت معهم فالجواب من وجهين الوجه الواحد الادب
مع الله والاعتماد عليه لا على الاسباب وما هم على يقين ان التابوت
يكون معه النصر كما كان لمن تقدم لتغير الاحوال ومجيئه انما
كان آية على ملك طالوت لا على نصره على عدوهم وما يقتضيه
ايضا جبلة الانسان من الجبن فاستعان بالدعاء للمبلغ الذي
قام به قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا
والوجه الاخر منقول عن السكينة فانهم قالوا انها كانت لها
راس كراس الهر وجناحان فاذا صاحت علموا انهم قد نصروا
واذا سكتت علموا انهم لا ينصرون وهم لا يدرون هل تصيح

فينصرون ام لا فاستعانوا بالدعاء لله والتضرع في النصر على
اعدائهم فاجاب الله دعاءهم فاخبر تعالى وقال **فهزموهم**
باذن الله كما قال او لا باذن الله تصديقا لهم حيث قالوا
غلبت فئة كثيرة باذن الله **وقتل داود جالوت** يريد داود
النبي صلى الله عليه وسلم وجالوت هو الملك **وآتاه الله** يعني
داود **الملك** الذي كان لطالوت **والحكمة** الزبور الذي انزل
عليه **وعلمه مما يشاء** ما اراده من العلوم التي فيها سعادته
وشرفه **ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض** اي ولولا
ان الله يدفع باوليائه شر اعدائه وفسادهم الذي يرومونه
في دين الله واوليائه **لفسدت الارض** اي لظهر الفساد في الارض
ولكن الله ذو فضل ذو منة وعناية **على العالمين**
يعني عباده ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
تلك آيات الله يعني جميع ما ذكره يعني جميع ما ذكره من
هذه القصة **نتلوها عليك** لكي نعرفك بها **بالحق** انها حق
وانك لمن المرسلين يقول كما ارسل هؤلاء وانك
ستلقى مثل ما لقي هؤلاء تعزية له لما لقيه من بني قريظة والنضير
ولما كانت الانبياء قد جعلها الله صنفين صنفا ارسلهم الى
الخلق مبشرين ومنذرين وصنف لم يرسلهم بل نبأهم وجعلهم على
شريعة من عنده تعبدهم بها قال لمحمد عليه السلام وانك لمن
المرسلين منهم اي من الصنف الذي ارسل وكان صلى الله عليه وسلم

اعظم

اعظم الرسل اذ كان ارساله الى كافة الناس لجميع بني آدم
من زمان رسالته الى يوم القيمة من امته من آمن منهم ومن
كفر فان امته ارجح الموازين وسواد امته اكثر سواد يوم القيمة
من سائر الامم فهو المكاثر الذي لا يكاثر
ثم نرجع الى ذكر القصة بعد انقضاء التفسير فنقول
ان بني اسرائيل لما استولى عليهم جالوت واخرجهم من ديارهم
وحال بينهم وبين ابنائهم بالاسر والجلاء والقتل واخذ التابوت
الذي كانوا تستنصر به الانبياء على اعدائها في القتال وكان
موسى لما مات في التيه ترك التابوت عند يوشع بن نون
بن افرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل و
اوصاه به ومازال التابوت ينتقل من نبي الى نبي بالوصية
عليه الى ان كفرت بنو اسرائيل وضلوا فسلط الله عليهم
جالوت فانكا فيهم فقيل ان التابوت رفعه الله وقيل ان
جالوت استولى عليه واخذه منهم وبقي عنده ما شاء الله ولما
رأت بنو اسرائيل ما جرى عليها اجتمع وجوههم الى النبي الذي
كان عندهم في ذلك الوقت وهو شمويل فقالوا له ان عدونا
استولى علينا وليس لنا ملك ولا رأس نرجع اليه ونسمع له
ونطيع فكان يغزونا عدونا ولا نبقى ضيمة يفتك فينا
بسيفه ورجاله فقال لهم نبيهم انا اسئل الله في ذلك
ولكني اخاف عليكم ان فرض الله عليكم القتال ان لا تقاتلوا

وكانت الامم تنزل عليها الاحكام على قدر رسولها فقالوا
لشمويل يا رسول الله وكيف نتخلف عن قتال عدونا وقد اخرجنا
من ديارنا وحال بيننا وبين ابنائنا وذهلوا عن الذى قال
لهم شمويل من فرض القتال عليهم لما كانوا فيه من شدة الحرص
على قتال عدوهم فما طلبوا الا ملكا يدبر امرهم لا ان يفرض
عليهم القتال فيعصون بتركه فلما اجاب الله نبيه شمويل
فيما سال من ذلك فرض الله عليهم القتال فقال لهم نبيهم
شمويل ان الله قد فرض عليكم قتال عدوكم فلما سمع القوم
بان ذلك على جهة الفرض صعب عليهم لما فى التكليف من
المشقة فاعرض اكثرهم ورجع عن سؤاله ثم امنت طائفة بما
فرض الله عليها من قتال عدوها فكان الذين امنوا ثلاثمائة و
ثلاثة عشر ثم قال لهم شمويل صلوات الله عليه انى سالت
الله فى ان يبعث لكم ملكا يرجع امركم فى قتال عدوكم اليه فاوحى
الله الى شمويل ونزل عليه جبريل بقارورة فيها دهن القدس
وقال له يا شمويل انظر الى هذا الدهن فى هذه القارورة فاى
رجل دخل اليك ونش هذا الدهن لدخوله فهو الملك الذى
قد قضيت ان ابعثه لبنى اسرائيل وكان فى زمان شمويل
رجل يسقى الماء على حمار له وقيل بل كان دباغا ولم يكن من بيت نبوة
ولا ملك ولا من اشراف بيته وقد ذكرنا نسبه وبيته فضاع
حماره فخرج فى طلبه فمر بمنزل شمويل فدخل عليه يرجو بركة دعائه

فى وجدان حماره فلما دخل عليه نش الدهن فى القارورة فنظر
اليه شمويل وقال له ادنه فدنا منه طالوت فدهن راسه بذلك
الدهن وبرك عليه وقال له يا طالوت ان الله قد اعطاك
ملك بنى اسرائيل وقدمك عليهم وكان طالوت ذا منظر
حسن وهيبة وامتداد قامة وكان قد اتاه الله علما بالحروب
وترتيب الجيوش والمكايد التى يحتاج اليها فى الحروب فقال
شمويل لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وكانوا
يعرفون طالوت بينهم وانه فقير حقير مهان فى عشيرته وعشيرته
فى العشائر حقيرة غير معتبرة فانفوا ان يتقدم عليهم مثل ذلك
وقالوا لشمويل نحن احق بالملك منه فانه رجل لا اصل له فينا
يرجع اليه من ملك ولا نبوة ولا مال له ينفقه فينا فقال
لهم شمويل ان الله قد فضله عليكم بما تحتاجون اليه فى
قتال عدوكم وبما ينبغى ان يكون عليه الملك فاعطاه الله العلم
بالقتال والمغالبة والحروب واعطاه البسطة والجمال فى
صورته بحيث اذا راه عدوه هابه واما المال فان الله بيده
خزائن الارض ومقاليدها فهو يعطيه ويهبه ما ينفقه
فيكم فقالوا له ان كان الله اختاره لنا وبعثه ملكا علينا
كما زعمت فما علامة ذلك وكانت بنوا اسرائيل كثيرا ما
تطلب الايات من انبيائها فقال لهم ان علامة ملكه
فيكم ان يرجع اليكم التابوت الذى اخذ منكم وتاتى به الملائكة

تحمله في الهواء وانتم تنظرون اليه حتى تنزله في بيت طالوت
ففرحوا برد التابوت ورضوا بهذه الاية فبينما هم جلوس
واذا بالتابوت بين السماء والارض تحمله الملائكة وهم ينظرون
اليه حتى نزلت به الملائكة في بيت طالوت وكان في التابوت
صورة يقال لها السكينة لها راس كراس الهر ووجه كوجه
الانسان وجناحان فاذا لقوا العدو نظروا اليها وهي في
التابوت فاذا انت وصوتت وفتحت جناحها ايقنوا بالنصر
وسار التابوت يحركها قدما تجاه العدو وسار الجيش خلف
التابوت فيدبو عدوهم منهزما فلما رات بنوا اسرائيل التابوت
قد نزل عند طالوت علموا ان الله قد اعطاه الملك عليهم
فسمعوا له واطاعوا واجتمعوا عليه فخرج بهم يطلب جالوت
وكان عدوهم بين فلسطين وديار مصر وكان من عبدة الاوثان
فلما جاء الغور وكان زمان قيض واشتد عليهم الحر واخذهم
العطش اخرج الله لهم نهرا من بحيرة طبرية يجري مع طول
الغور الى ان يصب في بحيرة لوط يقال له الاردن فقال
لهم طالوت ان الله يختبركم بهذا النهر مع عطشكم فمن لم
يطعمه صحبني وكان معي ومن شرب منه واخذ منه فوق حاجته
فليس يتبعني ولا يكون معي الا من اخذ منه قدر الحاجة وهي
الغرفة بيده ليسد بها رمقه اذا خاف الهلاك من العطش
فشرب منه كل من تولى حين فرض عليهم القتال ولم يشرب

منه الا الثلثمائة والثلاثة عشر فلما جاوز النهر طالوت وعسكره
ولحقوا بجالوت وعسكره قال اصحاب طالوت الذين شربوا
من النهر لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لما راوه فيه
من العدة والعدد فقال الثلاثمائة والثلاثة عشر لا تقولوا
هكذا فان النصر من عند الله ما هو بكثرة الجموع وكم راينا
وسمعنا من جماعة قليلة ضعيفة في العدة والعدد هزمت
باذن الله لما ثبتت وصبرت جماعة كثيرة قوية في العدة والعدد
والله مع من يثبت في الحرب ولا يبرح معين له وناصر وكان
طالوت لما بشره شمويل بالملك قال له اني اعطيك درعا
يكون معك تخلعه على قاتل جالوت وتزوجه بنتك وتعطيه
نصف ملكك وان هذا الدرع لا يلبسه ويكون على قدمه الا
قاتل جالوت وهذه علامة لك على ذلك وكان داود عليه
السلام يرعى غنما له وهو داود بن ايشا بن عويذ بن غابر بن
شلمون بن يخشون بن عميذاب بن رام بن حصرون بن فارض
بن يهودا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل وكان ابوه
ايشا واخوته في عسكر طالوت واراد داود الغزو معهم
فاودع غنمه رجلا ثقة واخذ يريد الجيش فخاطبه حجر وقال
له خذني يا داود فاني اقتل جالوت فكم قتل بي هرون عليه السلام
من اعداء الله فقل للريح تعينني على ازالة البيضة من راس
جالوت حتى انفذ الى راسه فاشدخه فاخذه فجعله في مخلاة

ثم انصرف فناداه حجر اخر يا داود انا حجر موسى كم قتل بي
من عدو الله فخذني حتى تستعين بي على قتل عسكر جالوت فاخذه
وجعله في مخلاته ثم انصرف فناداه حجر ثالث كذلك فاخذه
فجعله في مخلاته فلما دخل على طالوت قال له داود يا طالوت
اني قاتل جالوت ولي عليك شرط اذا قتلته ان تزوجني بنتك
وتقاسمني في ملكك فقال له طالوت وتذكر ما عهد اليه شمويل
في ذلك يا داود ان لي علامة فيك وهو هذا الدرع فان هو استوى
عليك ولم يقصر عنك ولا طال عليك فانت قاتل جالوت
وكان ذلك الدرع ما يلبسه احد الا طال عليه او قصر فافرغه
على داود فطال عليه فانتقض فيه فتقلص حتى استوى عليه فكان
تقلصه من اكبر الايات لهحتى لا يقال انه وقع له بحكم الموافقة فعلم
طالوت ان ذلك اية كما كان التابوت له اية ثم ان الجمع التقى وجاء
داود حيال جالوت فقال له جالوت ما تريد قال انا قاتلك فازدرى
جالوت وحقره لقلة سلاحه ولذاته وما راى عنده الا الدرع
عليه ومخلاته ومقلاعا فادخل يده داود الى مخلاته فاذا الاحجار
الثلاثة قد التامت باذن الله وصارت واحدا فجعل الحجر في المقلاع
وامر الله الريح ان تلقي البيضة عن راس جالوت ورمى داود عليه السلام
بالمقلاع الحجر كما رمى النبي عليه السلام التراب في وجوه الاعدا
يوم حنين فانقسم الحجر في الهواء ثلاثة اقسام فطار حجر منه
الى راس جالوت فنفذه والحجر الاخر اخذ يمين الجيش واخذ الحجر

ورمى بالبيضة عن راس جالوت

الثالث ميسرة الجيش فانهزم جالوت وجنوده وسقط جالوت
قتيلا وهزمهم الله عن اخرهم واستبشر الناس وجاء داود الى
طالوت وطالبه بالشرط فصعب على طالوت ان يكون ملكا و
يعطيه ابنته وهو رجل راعي غنم فقال يا داود ما كان لمثلك
ان يخطب بنات الملوك وفرح الناس بداود وحسده طالوت
فاراد ان يوقع به فلم يعن عليه وهرب داود امامه وندم
طالوت على ما جرى منه في حق داود فتاب الى الله من ذلك
ووجه الى داود واعطاه ابنته ونصف ملكه واوحى الله
الى طالوت فيما حكي ان توبتك عندي ان تاتي ارض البلقا
وحدك فيقاتلهم فاما ان تفتحها واما ان تقتل بها فتلك
توبتك فنهض طالوت الى بلقا وما زال يقاتلها وحده حتى قتل
واجتمعت الاسباط كلها على داود وملكها وانقادت
ولم تكن قبل ذلك تجتمع على ملك واحد بل كان لكل سبط
ملك منهم الا داود فاتاه الله الملك وانزل عليه الزبور
واقام فيهم الى حين موته والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم

قال مؤلفه انتهى الجزو الثامن من ايجاز البيان في الترجمة عن القران
يتلوه في التاسع قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

٢٤٦

وهذا الأصل الاول بخط يدي من غير مسودة وكتب
محمد بن علي بن محمد بن احمد بن العربي الحاتمي الطائي المترجم
في يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي قعدة سنة احدى وعشرين
وستمائة والحمد لله رب العالمين ∴ وصلى الله على محمد
خاتم النبيين ∴ وعلى آله اجمعين ∴
وتشرف بنسخه على نسخة المؤلف محمد بن عبد الله
بن احمد الزاوي ∴ سلك الله به ما سلك
بآبائه ∴ وغفر الله له ولاخوانه
واحبائه ∴ وصلى الله عليه وسلم

١٢٦٩
٩٠٩ د

بلغ مقابلة بحسب الطاقة





عدد صفحاته ٢٤٦ صفحة
١٧٢

٢٤٦
١٧٣